مَعَالِمُ دَعْوَةِ التَّابِعِينَ

وَالأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ

(٥)

الطَّبعَة الأولى

١٤٤٣-٢٠٢٢

ح محمد عبد العزيز العواجي، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العواجي، محمد عبد العزيز محمد
موسوعة دليل الداعية. / محمد عبد العزيز محمد العواجي. -
المدينة المنورة، ١٤٤٢هـ
١٦ مج.
ردمك: ٦-٧٥٨٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ١-٧٥٨٥-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٥)
١- الدعوة الإسلامية ٢- الدعاة أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٤٢/٧١٧٩

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٧١٧٩ ردمك: ٦-٧٥٨٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ١-٧٥٨٥-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٥)

تم هذا المشروع برعاية

الجميح الخيرية
AL ALJOMAIH CHARITY

مكتب الدار للدراسات والاستشارات التربوية والتعليمية
ADDARR OFFICE FOR STUDIES OF EDUCATIONAL AND CONSULTING

موسوعة دليل الداعية (٥)

معالم دعوة التابعين
والأئمة من بعدهم

مشروع بحثي قام به مكتب
الدار للدراسات والاستشارات التعليمية والتربوية
تحت إشراف معهد البحوث والدراسات
في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

تأليف
أ. د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

١٤٤٣ - ٢٠٢٢

المجلد الرابع

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فريق عمل الموسوعة

المشرف العام والباحث الرئيس:

أ.د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ورئيس مجلس إدارة جمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

الباحث والمشرف العلمي:

د. عبدالرحمن السيد جويل

دكتوراة في الدعوة والثقافة الإسلامية

المستشار بجمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

والباحث في الدعوة والدراسات الإسلامية

التدقيق اللغوي:

أ. السيد مصطفى محمد جويل (رحمه الله)

مشرف التربية الإسلامية في التعليم الخاص

التحكيم العلمي:

أ.د. أحمد عبدالهادي شاهين حمودة

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية- جامعة طيبة

د. فهد بن محمد فرحان الوهبي

باحث في الدراسات الدعوية والثقافة الإسلامية

دكتوراة دعوة وثقافة إسلامية - معلم دراسات إسلامية تعليم المدينة المنورة

أعضاء فريق مكتب الدار للاستشارات:

١- د. علي بن خالد الدويش

الأستاذ المساعد بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

٢- د. محمد بن عمر عقيلي

الأستاذ المساعد بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

«إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]»[1].

وأشهد أن نبينا محمداً ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، تركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وأصحابه وعلى كل من سار على هديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

وبعد:

إن مما يلاحظ في دعوة التابعين ومن بعدهم من سلف الأمة الأمور التالية:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)** -قال عمران: فلا أدري، أذكر بعد قرنه قرنين، أو ثلاثة[2].

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه ويفتتح بها كلامه وخطبته، وقد رواها ابن ماجه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (١٨٩٢)، وأبو داوود، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (٢١٢٠)، والترمذي، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (١١٠٥)، والنسائي، كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح (٣٢٧٧)، وصححه الألباني في كتابه خطبة الحاجة.

(٢) صحيح البخاري كتاب المناقب باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٥٠). ومسلم كتاب فضائل =

والخيرية لا بد أن ينظم لها مع الوصف الزمني موافقة الكتاب والسُّنَّة نَصّاً وروحاً، فمن خالفهما ليس من السلف وإن عاش بين التابعين.

وفي هذا البحث نقدم نماذج عامَّة لمنهج السلف من التابعين وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان في الدعوة إلى الله.

ونؤكد في هذا البحث على أن منهج السلف من التابعين ومن بعدهم في الدعوة يجتمع في أربعة أمور أساسية هي:

أولاً: ارتباطهم بالكتاب والسنة مصدراً للدعوة.

ثانياً: نشر العلم والتعليم والعناية بحفظ العلم وجمعه وتوريثه لمن بعدهم.

ثالثاً: حسن العمل والخلق والقدوة الحسنة.

رابعاً: أن دعوتهم لم تتوقف، فما زال العلماء حتى الآن ينقلون عنهم، ويشرحون كتبهم ويستدلون باجتهاداتهم، ويعزون إلى ما جمعوه في كتبهم، ويرشدون إلى التمسك بمنهجهم..

ويشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وفهارس، على النحو التالي:

✧ الفصل الأول: نماذج الدعوة في حياة أئمة التابعين:

المبحث الأول: دعوة الإمام مسروق بن الأجدع (ت ٦٣هـ):

المطلب الأول: صفات الإمام مسروق الدعوية.

المطلب الثاني: نماذج لمعالم دعوة الإمام مسروق.

المبحث الثاني: دعوة الإمام الربيع بن خُثيم (ت٦٥هـ):

المطلب الأول: صفات الإمام الربيع بن خُثيم الدعوية.

= الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (٢٥٣٥).

- **المبحث السادس: دعوة الإمام ابن ماجه (تـ٢٧٣هـ).**
- **الفصل الخامس: نماذج الدعوة في حياة أعلام السلف:**
- **المبحث الأول: دعوة الإمام ابن جرير الطبري (تـ٣١٠هـ).**
- **المبحث الثاني: دعوة الإمام ابن الجوزي (تـ٥٩٧هـ).**
- **المبحث الثالث: دعوة الإمام العز بن عبد السلام (تـ٦٦٠هـ).**
- **المبحث الرابع: دعوة الإمام النووي (تـ٦٧٦هـ).**
- **المبحث الخامس: دعوة الإمام ابن تيمية (تـ٧٢٨هـ).**
- **المبحث السادس: دعوة الإمام الذهبي (تـ٧٤٨هـ).**
- **المبحث السابع: دعوة الإمام ابن القيم(تـ٧٥١هـ).**
- **المبحث الثامن: نماذج من دور نساء السلف في الدعوة إلى الله.**

والله أسأل أنْ ينفع بهذا العمل وأنْ يجعله حجة لنا لا علينا وأنْ يلهمنا العلم النافع والعمل الصالح، وأنْ يجبر تقصيرنا في هذه الدراسة، وأنْ يغفر ما كان فيه من خطأ وزلل، وأنْ يبارك في الطيب منها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

المشرف العام على الموسوعة
أ.د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي
الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

تأصيل علم الدعوة

الدعوة إلى الله التعريف والتأصيل

- مفهوم الدعوة ومصطلحاتُها.
- الدعوة إلى الله أهميتها وفضلها وحكمها وثمرتها.
- مقاصد الدعوة.
- مقدمات حول علم أصول الدعوة.

معالم دعوة التابعين والأئمة من بعدهم

- الدعوة في حياة أئمة التابعين.
- الدعوة في حياة أتباع التابعين.
- الدعوة في حياة الأئمة الأربعة.
- الدعوة في حياة أئمة الكتب الستة.
- الدعوة في حياة أعلام السلف.

معالم دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

- مقدمات حول تاريخ دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.
- منهج الأنبياء والرسل عليهم السلام في الدعوة إلى الله إجمالا.
- دعوة أولي العزم من الرسل.
- دعوة الرسل الذين تكرر ذكرهم في القرآن.
- دعوة الرسل من ذرية إبراهيم.
- دعوة أنبياء من بني إسرائيل.
- أنبياء أشار إليهم القرآن.
- قصص دعوية لأتباع الأنبياء في القرآن.

معالم دعوة الصحابة رضي الله عنهم

- دعوةالخلفاءالراشدين
- معالم دعوية في حياة علماء الصحابة
- نماذج لمواقف دعوية في قصص الصحابة

الفصل الأول

نماذج الدعوة في حياة أئمة التابعين

نستعرض خمسة عشر نموذجا على النحو التالي:

المبحث الأول: دعوة الإمام مسروق بن الأجدع (ت٦٣هـ).

المبحث الثاني: دعوة الإمام الربيع بن خثيم (ت٦٥هـ).

المبحث الثالث: دعوة الإمام أبي عبدالرحمن السلمي (ت٧٣هـ).

المبحث الرابع: دعوة الإمام أبي العالية رفيع بن مهران (ت٩٠هـ).

المبحث الخامس: دعوة الإمام عروة بن الزبير (ت٩٣هـ).

المبحث السادس: دعوة الإمام سعيد بن المسيب (ت٩٤هـ).

المبحث السابع: دعوة الإمام سعيد بن جبير (ت٩٥هـ).

المبحث الثامن: دعوة الإمام مطرف بن عبدالله بن الشخير (ت٩٥هـ).

المبحث التاسع: دعوة الإمام عمر بن عبدالعزيز (ت١٠١هـ).

المبحث العاشر: دعوة الإمام مجاهد بن جبر (ت١٠٤هـ).

المبحث الحادي عشر: دعوة الإمام عامر بن شراحيل الشعبي (ت١٠٥هـ).

المبحث الثاني عشر: دعوة الإمام الحسن البصري (ت١١٠هـ).

المبحث الثالث عشر: دعوة الإمام محمد بن سيرين (ت١١٠هـ).

المبحث الرابع عشر: دعوة الإمام عطاء بن أبي رباح (ت١١٥هـ).

المبحث الخامس عشر: دعوة الإمام جعفر الصادق (ت١٤٨هـ).

المبحث الأول

دعوة الإمام مسروق بن الأجدع (تـ ٦٣هـ)

هو مسـروق بيـن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبدالله بن مـرة الهمداني، يقال: إنه سُـرِقَ وهو صغير ثم وُجد فسـمي مسـروقاً، وعداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ[١].

قـال العجلـي: تابعي ثقـة كان أحد أصحـاب عبدالله بن مسـعود الذيـن يُقرؤون ويُفتون وكان يصلي حتى ترم قدماه[٢].

قال ابن سعد: كان ثقة له أحاديث صالحة[٣]، وقال ابن حجر: ثقة فقيه عابد[٤].

وكان من علماء التابعـين وعبادهم وله جهود دعوية كبيرة نبرز معالمها في النقاط التالية:

المطلب الأول صفات الإمام مسروق الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الإمام مسروق.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٤.
(٢) الثقات للعجيلي ١/ ٤٢٦.
(٣) الطبقات لابن سعد ٦/ ٨٤.
(٤) تقريب التهذيب ص ٥٢٨.

المطلب الأول

صفات الإمام مسروق الدعوية

أولاً: العبادة:

قال أبو نعيم: ومنهم العالم بربه، الهائم بحبه، الذاكر لذنبه، في العلم معروف، وبالضمان موثوق، ولعباد الله محبوب، أبو عائشة المسمى بمسروق[(١)].

قال أبو الضحى: كان مسروق يقوم فيصلي كأنه راهب، وكان يقول لأهله: هاتوا كل حاجة لكم فاذكروها لي قبل أن أقوم إلى الصلاة[(٢)].

قال إبراهيم بن المنتشر: كان مسروق يرخي الستر بينه وبين أهله ويقبل على صلاته ويخليهم ودنياهم[(٣)].

قال أبو إسحاق: حج مسروق فلم ينم إلا ساجداً على وجهه حتى رجع[(٤)].

وعن امرأته قالت: كان مسروق يصلي حتى تورَّم قدماه، فربما جلست أبكي مما أراه يصنع بنفسه[(٥)].

ثانياً: العلم والهمة العالية في طلب العلم:

قال الشعبي: خرج مسروق إلى البصرة إلى رجل يسأله عن آية فلم يجد عنده

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٩٥ بتصرف يسير.
(٢) حلية الأولياء ٢/ ٩٦.
(٣) حلية الأولياء ٢/ ٩٦.
(٤) تاريخ بغداد ١٥/ ٣١١.
(٥) تاريخ بغداد ١٥/ ٣١١.

فيها علماً، فأخبر عن رجل من أهل الشام، فقدم علينا هاهنا ثم خرج إلى الشام إلى ذلك الرجل(١).

وقال مسروق: «لقد اختلفت إلى ابن مسعود من رمضان إلى رمضان ما أغبه يوماً»(٢).

وقال الشعبي: «ما علمت أن أحداً كان أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق»(٣).

وقد أخذ العلم عن: أبي بن كعب، وعمر، وعن أم رومان، ومعاذ بن جبل، وخباب، وعائشة، وابن مسعود، وعلي، وعبدالله بن عمرو، وابن عمر، وسبيعة، ومعقل بن سنان، والمغيرة بن شعبة، وزيد رضي الله عنهم جميعاً(٤).

○ ثالثاً: التعفف عما في أيدي الناس:

قال إبراهيم بن المنتشر: «أهدى خالد بن عبدالله بن أسيد عامل البصرة إلى عمي مسروق ثلاثين ألفاً وهو يومئذ محتاج فلم يقبلها»(٥).

قال إبراهيم بن المنتشر: كان مسروق لا يأخذ على القضاء أجراً، ويتأول هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]»(٦).

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٩٥.
(٢) تاريخ دمشق٥٧/ ٤٠٧.
(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٣١١.
(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٤.
(٥) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥.
(٦) حلية الأولياء ٢/ ٩٥.

○ **رابعاً: إنفاقه وسخاؤه:**

قال أبو إسحاق السبيعي: «زوج مسروق بنته بالسائب بن الأقرع على عشرة آلاف لنفسه يجعلها في المجاهدين والمساكين»[١].

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الإمام مسروق

◈ **أولاً: العناية بتهذيب النفوس وتزكيتها:**

ومما يبين هذا الأمر ما ورد في توجيهاته ونصائحه، ومنها: قال سعيد بن جبير: قال لي مسروق: ما بقي شيء يُرغَب فيه، إلا أن نُعَفِّر وجوهنا في التراب، وما آسي على شيء إلا السجود لله تعالى[٢].

وقال: «المرء حقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها فيذكر ذنوبه فيستغفر الله»[٣].

◈ **ثانياً: العناية بالقرآن والدعوة إليه:**

قال مسروق: من سره أن يعلم علم الأولين والآخرين، وعلم الدنيا والآخرة، فليقرأ سورة الواقعة[٤]، وعلق الذهبي بقوله: ومعنى قوله: فليقرأ الواقعة، أي: يقرأها بتدبر وتفكر وحضور، ولا يكن كمثل الحمار يحمل أسفاراً[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٩٦، سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٦.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٨٠.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٩٥، سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٨

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٨

روى عمرو بن مرة عن الشعبي، قال: كان مسروق إذا قيل له: أبطأت عن علي وعن مشاهده، فيقول: أرأيتم لو أنه حين صف بعضكم لبعض فنزل بينكم ملك فقال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [النساء: ٢٩]، أكان ذلك حاجزاً لكم؟ قالوا: نعم. قال: فوالله لقد نزل بها ملك كريم على لسان نبيكم، وإنها لمحكمة ما نسخها شيء[١].

◈ ثالثاً: عنايته بالفتوى ونشر العلم:

وقال مسروق: «لأن أفتي يوماً بعدل وحق، أحب إلي من أن أغزو سنة»[٢].

◈ رابعاً: التنبيه على غاية تعلم العلم:

قال مسروق: «كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله»[٣].

◈ خامساً: العناية بدعوة أقاربه:

فقد ورد أن مسروقاً أخذ بيد ابن أخ له فارتقى به على كناسة بالكوفة قال: «ألا أريك الدنيا؟ هذه الدنيا: أكلوها فأفنوها، لبسوها فأبلوها، ركبوها فأمضوها (أخلفوها وأبلوها) واستحلوا فيها محارم، وقطعوا فيها أرحامهم»[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٧.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٦.
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٨٠. حلية الأولياء ٢/ ٩٥.
(٤) الطبقات الكبرى ٦/ ١٤٣.

المبحث الثاني

دعوة الإمام الربيع بن خُثيم (ت٦٥هـ)

هـو الربيع بن عائذ، الإمام القدوة العابد، أبـو يزيد الثوري الكوفي، أحد الأعلام. أدرك زمان النبي ﷺ وتوفي قبل سنة (٦٥)[١].

يمكن إبراز معالم الدعوة عند الربيع بن خُثيم من خلال النقاط التالية:

المطلب الأول صفات الإمام الربيع بن خُثيم الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الإمام الربيع بن خُثيم.

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ١٨٢، حلية الأولياء ٢/ ١٠٥ .سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٨.

المطلب الأول
صفات الإمام الربيع بن خُثيم الدعوية

➢ أولاً: الورع من الوقوع في المحرمات:

قِيلَ للربيع بن خُثيم: يا ربيع، لم لا تجلس في الطرقات مع الناس؟ فقال: «أنا أخشى ألَّا أردَّ السلام ولا أغضَّ بصري»[١].

➢ ثانياً: التواضع والانكسار لله وتذكر الآخرة:

وروى الثوري عن أبيه، قال: كان الربيع بن خُثيم إذا قيل له: كيف أصبحتم؟ قال: «ضعفاء مذنبين، نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا»[٢].

➢ ثالثاً: حفظ اللسان:

وعن بعضهم، قال: «صحبت الربيع عشرين عاماً ما سمعت منه كلمة تعاب»[٣].

وروى الثوري، عن رجل، عن أبيه، قال: «جالست الربيع بن خُثيم سنين، فما سألني عن شيء مما فيه الناس، إلا أنه قال لي مرة: أمك حية»[٤].

وقِيلِ له: يا أبا يزيد، ألا تذمُّ الناس؟ فقال: «والله ما أنا عن نفسي براضٍ فأذمَّ الناس، إن الناس خافوا الله على ذنوب الناس وأمنوه على ذنوبهم»[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٠.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ١٨٥. وحلية الأولياء ٢/ ١٠٦. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٩.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ١٨٥. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٩.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ١١٠ وزاد: «وقال مرة: كم لكم مسجداً؟»، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٩.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٢٢. وحلية الأولياء ٩/ ٥٢.

رابعاً: الكرم والسخاء خصوصاً مع الضعفاء:

عن منذر: «أن الربيع كان إذا أخذ عطاءه، فرقه، وترك قدر ما يكفيه»[(١)].

وروى الأعمش، عن منذر الثوري: «أن الربيع أخذ يطعم مصاباً -أي في عقله جنون- خبيصاً، فقيل له: ما يدريه ما أكل؟ قال: لكن الله يدري»[(٢)].

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الإمام الربيع بن خُثيم

أولاً: الدعوة إلى ترك المعاصي وحسن الاقتداء:

ما ورد عن منذر الثوري، أنه قال: كان الربيع إذا أتاه الرجل يسأله، قال: «اتق الله فيما علمت، وما استؤثر به عليك فكله إلى عالمه، لأنا عليكم في العمد أخوف مني عليكم في الخطأ، وما خيركم اليوم بخير، ولكنه خير من آخر شر منه، وما تتبعون الخير حق اتباعه، وما تفرون من الشر حق فراره، ولا كل ما أنزل الله على محمد ﷺ أدركتم، ولا كل ما تقرؤون تدرون ما هو»[(٣)].

وجاء ابن الكواء إلى الربيع بن خُثيم، فقال: «دلني على من هو خير منك. قال:

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي ٢/ ٥٧٣. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ١٨٨، ١٨٩. وسير أعلام النبلاء مختصراً ٤/ ٢٦٠.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ١٨٥، وحلية الأولياء ٢/ ١٠٨.

نعم، من كان منطقه ذكراً، وصمته تفكراً، ومسيره تدبراً، فهو خير مني»[١].

☜ ثانياً: الدعوة للعناية بالقلوب والخشية من الله تعالى والإقبال على الآخرة:

كان الربيع بن خُثيم يقول: «السرائر اللاتي يخفين من الناس وهن -والله- بواد، التمسوا دواءهن، وما دواؤهن إلا أن يتوب، ثم لا يعود»[٢].

وعنه، قال: «كل ما لا يراد به وجه الله يضمحل»[٣].

☜ ثالثاً: النهي عن الغيبة والرد عن أعراض المسلمين:

وجاء رجلٌ إلى الربيع بن خُثيم، فاغتاب أخاً له، فقال الربيع بن خُثيم: «أقاتلت الروم؟ قال: لا، قال: أقاتلت فارس؟ قال: لا، قال: فيَسلَمُ منك فارس والروم، ولا يسلم منك المسلم؟! قُمْ عني»[٤].

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٠٦. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ١٨٥. وحلية الأولياء ٢/ ١٠٨.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ١٨٦. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٩، صفة الصفوة ٢/ ٧٧.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٣٦٨.

المبحث الثالث

دعوة الإمام أبي عبدالرحمن السلمي (ت٧٣هـ)

هو: أبو عبدالرحمن السلمي مقرئ الكوفة الإمام عبدالله بن حبيب الكوفي من أولاد الصحابة مولده في حياة النبي ﷺ، وتوفي سنة (٧٣هـ) وقيل (٨٠هـ)[١].

ويمكن بيان معالم دعوته في مطلبين:

المطلب الأول صفات الإمام أبي عبدالرحمن السلمي الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة أبي عبدالرحمن السلمي.

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ١٧٢، حلية الأولياء٤/ ١٩١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٩.

المطلب الأول

صفات الإمام أبي عبدالرحمن السلمي الدعوية

من أبرز صفات أبي عبدالرحمن السلمي: الإخلاص في الدعوة، والعفة عما في أيدي الناس، فعن عبدالحميد بن أبي جعفر الفراء: عن أبيه، عن أبي عبدالرحمن السلمي: «أنه جاء وفي الدار جلال وجزر، فقالوا: بعث بها عمر بن حريث؛ لأنك علمت ابنه القرآن. فقال: ردها، إنا لا نأخذ على كتاب الله أجراً»(١).

وعن عطاء بن السائب، قال: «كان رجل يقرأ على أبي عبدالرحمن، فأهدى له قوساً، فردها، وقال: ألا كان هذا قبل القراءة»(٢).

وكان حريصاً على طلب العلم وخصوصاً القرآن الكريم ، فقد قرأ القرآن، وجوده، ومهر فيه، وعرضه على عثمان وعلي، وابن مسعود رضي الله عنهم، وحدث عن: عمر، وعثمان، وطائفة(٣).

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة أبي عبدالرحمن السلمي

أولاً: العناية والبذل في تعليم القرآن:

عن أبي إسحاق السبيعي، قال: «أقرأ أبو عبدالرحمن السلمي القرآن في المسجد أربعين سنة»(٤).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ١٧٣، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٧١.
(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٨.
(٤) حلية الأولياء٤/ ١٩٢.

وعن أبي عبدالرحمن السلمي، عن عثمان بن عفان، أن النبي ﷺ قال: **(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)** قال أبو عبدالرحمن: فذلك الذي أقعدني هذا المقعد[(١)].

وعن عبدالله بن عيسى: «أنهم قرؤوا على أبي عبدالرحمن السلمي، وذكروا أنه أخبرهم أنه قرأ على عثمان عامة القرآن، وكان يسأله عن القرآن، فيقول: إنك تشغلني عن أمر الناس، فعليك بزيد بن ثابت، فإنه يجلس للناس، ويتفرغ لهم، ولست أخالفه في شيء من القرآن. قال: وكنت ألقى علياً، فأسأله، فيخبرني، ويقول: عليك بزيد، فأقبلت على زيد، فقرأت عليه القرآن ثلاث عشرة مرة»[(٢)].

✍ ثانياً: الدعوة إلى كثرة الصلاة وفعل الخيرات:

عن شمر، قال: أخذ بيدي أبو عبدالرحمن السلمي فقال: «كيف قوتك على الصلاة؟ فذكرت ما شاء الله أن أذكره. قال أبو عبدالرحمن: كنت أنا مثلك، أصلي العشاء ثم أقوم أصلي، فإذا أنا حين أصلي الفجر أنشط مني أول ما بدأت»[(٣)].

عن عطاء بن السائب، عن أبي عبدالرحمن، قال: «إن الملك يجيء إلى أحدكم غدوة بصحيفة، فليمل فيها خيراً، فإنه إذا أملى في أول الصحيفة خيراً وفي آخرها خيراً كان عسى أن يكفر ما بينهما»[(٤)].

✍ ثالثاً: التدرج في الدعوة والتعليم:

عن عطاء بن السائب، أن أبا عبدالرحمن قال: «أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الآخر حتى يعلموا ما فيهن،

---

(١) صحيح البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٥٠٢٧).

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٧٠.

(٣) حلية الأولياء٤/ ١٩٢.

(٤) حلية الأولياء٤/ ١٩٢.

فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وسيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء، لا يجاوز تراقيهم»[(١)].

قال إسـماعيل بن أبي خالد: «كان أبو عبدالرحمن السـلمي يعلمنا القرآن خمس آيات، خمس آيات»[(٢)].

رابعاً: الدعوة إلى الارتباط بالعلماء الموثوق بهم:

عن حماد بن زيد، عن عاصم، قال: كنا نأتي أبا عبدالرحمن السلمي ونحن غلمان أيفـاع، فيقـول: «لا تجالسـوا القصاص غير أبـي الأحوص، وإياكم وسـعد بن عبيدة، وشقيقاً»[(٣)].

وعن أبي عبدالرحمن، أن شقيقاً الضبي قال له: لِمَ تنه الناس عن مجالستي؟ قال: «إني رأيتك مضلاً لدينك، تطلب أرأيت أرأيت»[(٤)].

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٩ ، ابن سعد في الطبقات ٦/ ١٧٢ .
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ١٧٢، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٧٠ .
(٣) حلية الأولياء ٤/ ١٩٣ .
(٤) حلية الأولياء ٤/ ١٩٣ .

المبحث الرابع

دعوة الإمام أبي العالية رفيع بن مهران (تـ٩٠هـ)

رفيـع بن مهـران، الإمام المقرئ الحافظ المفسـر، أبو العاليـة الرياحي البصري، أحـد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شـاب، وأسـلم في خلافة أبـي بكر الصديق، ودخل عليه، وتوفي سنة (٩٠هـ)[١].

من أهم معالم الدعوة في سيرة الإمام التابعي أبو العالية ما يأتي:

المطلب الأول صفات الإمام أبي العالية الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الإمام أبي العالية.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١١٢، حلية الأولياء ٢/ ٢١٧. وسير أعلام النبلاء٤/ ٢٠٧.

المطلب الأول

صفات الإمام أبي العالية الدعوية

◆ **أولاً: الدعوة إلى الإخلاص والاجتهاد في طلب العلم وتلمس العلماء الربانيين:**

وعن خالد بن دينار، عن أبي العالية، قال: «تعلمت الكتابة والقرآن، فما شعر بي أهلي، ولا رئي في ثوبي مداد قط»[(١)].

عن أبي العالية قال: «كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام؛ لأسمع منه فأول ما أفتقد منه صلاته، فإن أجده يقيمها أقمت وسمعت منه، وإن أجده يضيعها رجعت ولم أسمع منه، وقلت: هو لغير الصلاة أضيع»[(٢)].

عن أبي العالية رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كنا نسمع بالرواية عن أصحاب، رسول الله ﷺ بالمدينة بالبصرة، فما نرضى حتى أتيناهم فسمعنا منهم»[(٣)].

وعن حفصة بنت سيرين، قالت: قال لي أبو العالية: «قرأت القرآن على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثلاث مرار»[(٤)].

◆ **ثانياً: الابتعاد عن الفتن:**

قال أبو خلدة: قال أبو العالية: «لما كان زمان علي ومعاوية، وإني لشاب،

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢١٧. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٠.

(٢) انظر: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ١/ ٢٣.

(٣) انظر: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ١/ ٢٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٨، تاريخ دمشق ٦/ ١٣٤.

القتال أحب إلي من الطعام الطيب، فتجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم، فإذا صفان ما يرى طرفاهما، إذا كبر هؤلاء، كبر هؤلاء، وإذا هلل هؤلاء، هلل هؤلاء، فراجعت نفسي، فقلت: أي الفريقين أنزله كافراً؟ ومن أكرهني على هذا؟ قال: فما أمسيت حتى رجعت، وتركتهم»[١].

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الإمام أبي العالية:

أولاً: عدم الاعتماد في الدعوة على كثرة العدد وكثرة المحتوى:

قال عاصم الأحول: «كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من أربعة، قام، فتركهم»[٢].

قال أبو خلدة: سمعت أبا العالية يقول: «تعلموا القرآن خمس آيات، خمس آيات، فإنه أحفظ عليكم، وجبريل كان ينزل به خمس آيات، خمس آيات»[٣].

ثانياً: الدعوة إلى التوحد على القرآن والسنة ونبذ الخلاف:

عن ابن عيينة: سمعت عاصماً الأحول، يحدث عن أبي العالية، قال: «تعلموا القرآن، فإذا تعلمتموه، فلا ترغبوا عنه، وإياكم وهذه الأهواء، فإنها توقع العداوة والبغضاء بينكم، فإنا قد قرأنا القرآن قبل أن يقتل -يعني: عثمان- بخمس عشرة سنة،

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١١٤. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٠.
(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢١٨. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٠.
(٣) حلية الأولياء ٢/ ٢١٩، ٢٢٠. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١١.

قال: فحدثت به الحسن، فقال: قد نصحك -والله- وصدقك»[(١)].

ثالثاً: الدعوة إلى التزام الآداب الإسلامية:

قال أبو خلدة: سمعت أبا العالية يقول: «زارني عبدالكريم أبو أمية، وعليه ثياب صوف، فقلت له: هذا زي الرهبان، إن المسلمين إذا تزاوروا تجملوا»[(٢)].

وقال أبو خلدة، قال: «كان أبو العالية إذا دخل عليه أصحابه، يرحب بهم، ويقرأ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الأنعام ٥٤]»[(٣)].

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢١٨. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٠.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢١٧. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١١.

المبحث الخامس

دعوة الإمام عروة بن الزبير (تـ٩٣هـ)

هو عروة بن الزبير بن العوام الأسـدي القرشي أبو عبدالله ولد سنة ٢٢هـ من كبار التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وكان صالحاً كريماً، لم يدخل في شيء من الفتن. رحل إلى البصرة ومصر، وتزوج وأقام بها سـبع سـنين. وتوفي في المدينة سنة ٩٣هـ[(١)].

ويمكن بيان معالم دعوته في النقاط التالية:

المطلب الأول صفات الإمام عروة الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الإمام عروة.

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعده/ ١٣٦، حلية الأولياء٢/ ١٧٦، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢١.

المطلب الأول

صفات الإمام عروة الدعوية

أولاً: سعة العلم وملازمة العلماء وكثرتهم:

كان عروة يقول في ملازمته لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لقد رأيتني قبل موت عائشة بأربع حجج، وأنا أقول: لو ماتت اليوم ما ندمت على حديثٍ عندها إلا وقد وعيته، ولقد كان يبلغني عن الصحابي الحديث فآتيه، فأجده قد قال -نام-، فأجلس على بابه، ثم أسأله عنه»[١].

فقد طلب العلم على مجموعة كبيرة من الصحابة منهم أبيه بشيء يسير؛ لصغره، وأمه؛ أسماء بنت أبي بكر الصديق. وعن: خالته؛ أم المؤمنين عائشة، ولازمها، وتفقه بها.

وكذلك أخذ العلم عن سعيد بن زيد، وعلي بن أبي طالب، وسهل بن أبي حثمة، وسفيان بن عبدالله الثقفي، وجابر، والحسن، والحسين، ومحمد بن مسلمة، وأبي حميد، وأبي هريرة، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وأبي أيوب الأنصاري، والمغيرة بن شعبة، وأسامة بن زيد، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وابنه؛ عبدالله بن عمرو، وأم هانئ بنت أبي طالب، وقيس بن سعد بن عبادة، وحكيم بن حزام، وابن عمر، وخلق سواهم[٢].

وقد وردت آثار كثير عن السلف في سعة علمه ومنها: «قال عمر بن عبدالعزيز: ما أجد أعلم من عروة بن الزبير، وما أعلمه يعلم شيئاً أجهله.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢٤.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢١- ٤٢٢.

وقـال أبو الزنـاد: فقهاء المدينة أربعة: سـعيد، وعروة، وقبيصـة، وعبدالملك بن مروان.

وقـال الزهـري: رأيت عروة بحراً لا تكدره الدلاء. وقال هشـام بن عروة: والله ما تعلمنا جزءاً من ألفي جزء أو ألف جزء من حديث أبي»[١].

ثانياً: ربانية الداعية عروة بن الزبير:

قال هشام بن عروة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خرج أبي إلى الوليد بن عبدالملك فوقع الْأَكِلَةُ[٢]، فقال لـه الوليد: يا أبـا عبدالله أرى لك قطعها، قـال: فقطع وإنه لصائم فمـا تضور[٣] وجهه، قال: ودخل ابنٌ له -أكبرُ ولده- اصطبلَ الدواب فرفسته دابته فقتلته، فما سمع من أبي في ذلك شـيء حتى قدم المدينة فقال: «**اللهم إنـه كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيـت ثلاثة فلك الحمد، وكان لي بنون أربعة فأخـذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد، وايم الله لئن أخذت لقد أبقيت ولئن أبليت طالما عافيت**»[٤].

فمن ربانية الداعية عروة بن الزبير تَذَكر نعم الله وآلائه عليه، وشكر نعم الله وحمده عليها، وصبره على البلاء.

ثالثاً: الهيبة:

عن الزهري، قال: كنت آتي عروة، فأجلس ببابه ملياً، ولو شئت أن أدخل دخلت، فأرجع وما أدخل إعظاماً له[٥].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢٥١١١.

(٢) الأَكِلَة والإِكْلَة: الحِكَّة والجرب. لسان العرب ١١/ ١٩.

(٣) التَّضوُّرُ: التَّلَوِّي والصِّياحُ من الوَجَعِ. المصدر السابق ٤/ ٤٩٤.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ١٧٩.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٣٢ تاريخ دمشق ١١/ ٢٨٨

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الإمام عروة

أولاً: الاهتمام بدعوة أولاده وحثهم على العلم:

عن هشام بن عروة، عن أبيه: أنه كان يقول لنا ونحن شباب: «ما لكم لا تعلمون، إن تكونوا صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار قوم، وما خير الشيخ أن يكون شيخاً وهو جاهل»[١].

وفي رواية: «إنا كنا أصاغر قوم، ثم نحن اليوم كبار، وإنكم اليوم أصاغر، وستكونون كباراً، فتعلموا العلم تسودوا به، ويحتاج إليكم، فوالله ما سألني الناس حتى نسيت»[٢].

وعن هشام، عن أبيه، قال: «كان يقال: أزهد الناس في عالم أهله»[٣].

ولذا كان يوصي أبناءه ويحضهم على طلب العلم قائلاً لهم: «يا بني تعلموا العلم، وابذلوا له حقه... فإنكم إن تكونوا صغار قوم؛ فعسى أن يجعلكم الله بالعلم كبراءهم. ثم يقول: واسوأتاه، هل في الدنيا شيء أقبح من شيخ جاهل»[٤].

قال هشام بن عروة: «كان أبي يدعوني وعبدالله بن عروة وعثمان وإسماعيل إخوتي وآخر سماه هشام، فيقول: لا تغشوني مع الناس لكن إذا خلوت فسلوني، وكان يأخذ

---

(١) أخرج بعضها أبو نعيم في الحلية ٢/ ١٧٧، وانظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢٤، المعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٥٥١.

(٢) تاريخ دمشق ٤٠/ ٢٤٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢٦.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ١٧٧.

بأحاديث في الطلاق ثم الخلع ثم الحج ثم الهدي ثم كذا ثم كذا»[١].

عن هشام بن عروة: أن أباه كان يسرد الصوم، وأنه قال: «يا بني سلوني، فلقد تركت حتى كدت أنسى، وإني لأسأل عن الحديث، فيفتح لي حديث يومين»[٢].

وعن هشام بن عروة قال: «قال لي أبي: أكتبت. قلت: نعم. قال: قابلت. قلت: لا. قال: لم تكتب يا بني»[٣].

ثانياً: دعوة الناس إلى ما يستطيعون إدراكه:

قال هشام، قال لي أبي: «ما حدثت أحداً بشيء من العلم قط لا يبلغه عقله، إلا كان ضلالة عليه»[٤].

وعن الزهري، قال: «كان عروة يتألف الناس على حديثه»[٥].

ثالثاً: الدعوة إلى حسن الخلق والتعامل مع الناس:

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: «مكتوب في الحكمة: لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطاً؛ تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء»[٦].

وقال هشام: «قال أبي: رب كلمة ذل احتملتها أورثتني عزاً طويلاً»[٧].

---

(١) التاريخ الكبير ٧/ ٣١، المعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٣٠٤.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ١٧٩، وانظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٣١، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٥٥٢.

(٣) الإلماع للقاضي عياض ص١٦٠.

(٤) تاريخ دمشق ٤٠/ ٢٥٨، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٣٧. المعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٥٥٠.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢٥.

(٦) حلية الأولياء ٢/ ١٧٨.

(٧) حلية الأولياء ٢/ ١٧٧، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٣٦

رابعاً: الدعوة إلى العبادة وإحسانها:

عن هشام بن عروة قال: قال عروة لبنيه: «يا بني لا يهدين أحدكم إلى ربه ﷻ ما يستحي أن يهديه إلى كريمه، فإن الله ﷻ أكرم الكرماء وأحق من اختير إليه»[(١)].

وقال هشام بن عروة عن أبيه قال: «إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة، فاعلم أن لها عنده أخوات، فإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات، فإن الحسنة تدل على أخواتها، وإن السيئة تدل على أخواتها»[(٢)].

خامساً: الموعظة الحسنة بالقرآن وإيجاد البدائل:

عن هشام بن عروة، قال: قال أبي: إذا رأى أحدكم شيئاً من زينة الدنيا وزهرتها؛ فليأت أهله وليأمرهم بالصلاة وليصطبر عليها، قال: قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣١-١٣٢][(٣)].

فقد رأينا في هذا الموقف مصدرية القرآن الكريم في دعوة عروة بن الزبير رحمه الله واستدلاله بالآية الكريمة على الموضوع الذي يدعو إليه مع الإرشاد إلى البديل الأفضل وهو في قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٧٧، صفة الصفوة ٢/ ٦١.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ١٧٧، صفة الصفوة ٢/ ٦١، البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ١٠٤.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ١٧٩.

المبحث السادس

دعوة الإمام سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ)

هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب، القرشي، الإمام أبو محمد المخزومي، أحد الأعلام وسيد التابعين، ثقة حجة فقيه، رفيع الذكر، رأس في العلم والعمل، ولد سنة (١٤) وتوفي سنة (٩٤هـ)[1].

ويمكن إبراز معالم دعوته في النقاط التالية:

المطلب الأول صفات الإمام سعيد بن المسيب الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الإمام سعيد بن المسيب.

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٢٨٩، حلية الأولياء ٢/ ١٦١، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٦.

المطلب الأول

صفات الإمام سعيد بن المسيب الدعوية

أولاً: بذل الجهد في طلب العلم وسعة علمه:

قال سعيد بن المسيب: «إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد الليالي والأيام»(١).

عن الزهري، قال: «سألت ابن صعير عن شيء من الفقه، فقال: عليك بهذا. وأشار إلى ابن المسيب، فجالسته سبع سنين، لا أرى أن عالماً غيره، ثم تحولت إلى عروة»(٢).

فقد أخذ العلم عن خلق كثير من الصحابة منهم: عثمان، وعلي، وزيد بن ثابت، وأبا موسى، وسعداً، وعائشة، وأبا هريرة، وابن عباس، ومحمد بن مسلمة، وأم سلمة، وسراقة بن مالك، وصهيب، والضحاك بن سفيان، وعبدالرحمن بن عثمان التيمي رضي الله عنهم.

وكان زوج بنت أبي هريرة، وأعلم الناس بحديثه(٣) رضي الله عنهم.

ثانياً: الإخلاص في الدعوة وعدم أخذ أجرة عليها:

فقد كان لسعيد بن المسيب في بيت المال بضعة وثلاثون ألفاً؛ عطاؤه، وكان يدعى إليها، فيأبى، ويقول: «لا حاجة لي فيها»(٤).

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ١/ ٩٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢٥ حلية الأولياء ٢/ ١٧٦، تاريخ دمشق ١١/ ٢٨٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٨.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ١٦٦، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٢٦.

○ ثالثاً: الزهد في الدنيا والاستغناء بالله:

وعن عمران بن عبدالله، قال: «كان ابن المسيب لا يقبل من أحد شيئاً لا ديناراً ولا درهماً ولا شيئاً، وربما عرض عليه الأشربة فيعرض فلا يشرب من شراب أحد منهم»(١).

وعن سفيان بن عيينة، قال: قال سعيد بن المسيب: «إن الدنيا نذلة، وهي إلى كل نذل أميل، وأنذل منها من أخذها بغير حقها، وطلبها بغير وجهها، ووضعها في غير سبيلها»(٢).

وعن محمد بن عبدالله بن أخي الزهري، عن عمه، عن سعيد المسيب، قال: «من استغنى بالله افتقر الناس إليه»(٣).

○ رابعاً: صيانة نفسه عن سؤال الناس:

عن عباد بن يحيى بن سعيد: «أن ابن المسيب خلف ألفين أو ثلاثة آلاف، وقال: ما تركتها إلا لأصون بها ديني»(٤).

وعن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: «لا خير فيمن لا يحب هذا المال؛ يصل به رحمه، ويؤدي به أمانته، ويستغني به عن خلق ربه»(٥).

○ خامساً: الهيبة:

قال سعيد بن المسيب: قلت لسعد بن مالك: «إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أهابك فقال: لا تهابني يا ابن أخي إذا علمت أن عندي علماً فسلني عنه»(٦).

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٦٧، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٣٨.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ١٧٠.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ١٧٢. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٣٩.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ١٧٣. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٣٩.

(٥) حلية الأولياء ٢/ ١٧٣.

(٦) تذكرة السامع والمتكلم ص٤٣.

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الإمام سعيد بن المسيب:

أولاً: متابعة المدعوين وتلمس احتياجاتهم وتلبيتها:

عن ابن أبي وداعة -يعني: كثيراً- قال: «كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدني أياماً، فلما جئته، قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي، فاشتغلت بها. فقال: ألا أخبرتنا، فشهدناها. ثم قال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة!! قال: أنا. فقلت: وتفعل! قال: نعم. ثم تحمد، وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين -أو قال: ثلاثة- فقمت، وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي، وجعلت أتفكر فيمن أستدين. فصليت المغرب، ورجعت إلى منزلي، وكنت وحدي صائماً، فقدمت عشائي أفطر، وكان خبزاً وزيتاً، فإذا بابي يقرع. فقلت: من هذا؟ فقال: سعيد. فأفكرت في كل من اسمه سعيد إلا ابن المسيب، فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فخرجت، فإذا سعيد، فظننت أنه قد بدا له. فقلت: يا أبا محمد، ألا أرسلت إلي فآتيك؟ قال: لا، أنت أحق أن تؤتى، إنك كنت رجلاً عزباً، فتزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك. فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذ بيدها، فدفعها في الباب، ورد الباب. فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم وضعت القصعة في ظل السراج لكي لا تراه، ثم صعدت السطح، فرميت الجيران، فجاؤوني، فقالوا: ما شأنك؟ فأخبرتهم، ونزلوا إليها، وبلغ أمي، فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام. فأقمت ثلاثاً، ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس،

وأحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق زوج. فمكثت شهراً لا آتي سعيد بن المسيب، ثم أتيته وهو في حلقته، فسلمت، فرد علي السلام، ولم يكلمني حتى تقوض المجلس. فلما لم يبق غيري، قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: خير يا أبا محمد، على ما يحب الصديق، ويكره العدو. قال: إن رابك شيء، فالعصا. فانصرفت إلى منزلي، فوجه إلي بعشرين ألف درهم»[(١)].

➢ ثانياً: الدعوة إلى الحذر من فتنة الشهوات:

عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، قال: «ما أيس الشيطان من شيء إلا أتاه من قِبَل النساء.. ثم قال لنا سعيد – وهو ابن أربع وثمانين سنة، وقد ذهبت إحدى عينيه، وهو يعشو بالأخرى –: ما شيء أخوف عندي من النساء»[(٢)].

➢ ثالثاً: الدعوة إلى تعظيم القرآن والسنة:

عن ابن حرملة، قال: قال سعيد: «لا تقولوا مصيحف، ولا مسيجد، ما كان لله فهو عظيم حسن جميل»[(٣)].

وعن يعقوب بن المسيب، قال: «دخل المطلب بن حنظب على سعيد بن المسيب في مرضه وهو مضطجع فسأله عن حديث، فقال: أقعدوني فأقعدوه، قال: إني أكره أن أحدث حديث رسول الله ﷺ وأنا مضطجع»[(٤)].

➢ رابعاً: الدعوة إلى الاستغناء بالحلال:

عن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم قال: حدثني يحيى بن سعيد، سمع ابن المسيب

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٦٧. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٣٣.
(٢) حلية الأولياء ٢/ ١٦٦.سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٣٧.
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ١٣٧. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٣٨.
(٤) حلية الأولياء ٢/ ١٦٩.

يقول: «لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حِلِّه؛ يعطي منه حقه، ويكف به وجهه عن الناس»(١).

خامساً: الدعوة إلى شمولية مفهوم العبادة:

عن بكر بن خنيس، قال: قلت لابن المسيب وقد رأيت أقواماً يصلون ويتعبدون: «يا أبا محمد ألا تتعبد مع هؤلاء القوم؟ فقال لي: يا ابن أخي إنها ليست بعبادة، قلت له: فما التعبد يا أبا محمد؟ قال: التفكر في أمر الله، والورع عن محارم الله، وأداء فرائض الله»(٢).

قال برد مولى ابن المسيب لسعيد بن المسيب: «ما رأيت أحسن ما يصنع هؤلاء! قال سعيد: وما يصنعون؟ قال: يصلي أحدهم الظهر، ثم لا يزال صافاً رجليه حتى يصلي العصر. فقال: ويحك يا برد! أما -والله- ما هي بالعبادة، إنما العبادة التفكر في أمر الله، والكف عن محارم الله»(٣).

وعن خالد بن داوود يعني بن أبي هند عن سعيد بن المسيب، قال: وسألته ما يقطع الصلاة؟ قال: «الفجور، ويسترها التقوى»(٤).

وعن عبدالله بن محمد، قال: حدثنا سعيد بن المسيب، قال: «ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله ﷻ، ولا أهانت أنفسها بمثل معصية الله، وكفى بالمؤمن نصرة من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله»(٥).

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٧٣. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٣٨.
(٢) حلية الأولياء ٢/ ١٦١. وابن سعد في الطبقات ٥/ ١٠٢.
(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤١. الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ١٣٥
(٤) حلية الأولياء ٢/ ١٦٣.
(٥) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤١. والطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ١٣٥

سادساً: الدعوة إلى الصلاة وإحسان القيام بها:

عن سعيد بن المسيب، قال: «من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة»[(١)].

عن سعيد بن المسيب: «أنه اشتكى عينيه فقيل له: يا أبا محمد، لو خرجت إلى العقيق فنظرت إلى الخضرة فوجدت ريح البرية لنفع ذلك بصرك، فقال سعيد: فكيف أصنع بشهود العتمة والصبح»[(٢)].

عن إسماعيل بن أمية، عن سعيد بن المسيب، قال: «ما دخل عليَّ وقت صلاة إلا وقد أخذت أهبتها، ولا دخل على قضاء فرض إلا وأنا إليه مشتاق»[(٣)].

سابعاً: الدعوة إلى الخشية ومراقبة الله وإصلاح القلوب:

عن عبيدالله بن عبدالرحمن، أنه سمع سعيد بن المسيب، يقول: «يد الله فوق عباده؛ فمن رفع نفسه وضعه الله، ومن وضعها رفعه الله. الناس تحت كنفه يعملون أعمالهم، فإذا أراد الله فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه فبدت للناس عورته»[(٤)].

وعن علي بن زيد، قال: «رآني سعيد بن المسيب وعلي جبة خز، فقال: إنك لجيد الجبة، قلت: وما تغني عني وقد أفسدها علي سالم، فقال سعيد: أصلح قلبك والبس ما شئت»[(٥)].

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٦٢.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ١٦٢. والطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ١٠٠.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ١٦٢.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ١٦٣.

(٥) حلية الأولياء ٢/ ١٧٣.

وقال يحيى بن سعيد: «كان سعيد يكثر أن يقول في مجلسه: اللهم سلم سلم»[(١)].

➢ ثامناً: الستر على الناس:

عن عبدالرحمن بن حرملة، «أنه سأل سعيد بن المسيِّب، قال: وجدتُ رجلاً سكراناً، أفتراه يسعني ألا أرفعه إلى السلطان؟ فقال له سعيد: إن استطعتَ أن تستره بثوبك، فاستره»[(٢)].

➢ تاسعاً: إعمال الشدة والقوة في الدعوة حسب الحاجة:

عن علي بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال لسعيد بن المسيب: ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ولا يهيجك ولا يؤذيك؟ قال: «والله لا أدري غير أنه صلى ذات يوم مع أبيه صلاة فجعل لا يتم ركوعها ولا سجودها فأخذت كفّاً من حصباء فحصبته بها قال الحجاج: فما زلت أحسن الصلاة»[(٣)].

فمن أساليب الدعوة؛ الحكمة، والحكمة قد تقتضي أحياناً الشدة، فقد رأى سعيد أن من الحكمة استخدام هذا الأسلوب مع الحجاج؛ ليحسن صلاته، فنفع الله بذلك الحجاج كما ذكر هو عن نفسه، وأنه ما زال يحسن الصلاة بعد ذلك[(٤)].

ولعل تفصيل القصة هي ما أورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ان الحجاج صلى مرة بجنب سعيد بن المسيب - وذلك قبل أن يلي شيئاً- فجعل يرفع قبل الإمام ويقع قبله في السجود، فلما سلم أخذ سعيد بطرف ردائه وكان له ذكر يقوله بعد الصلاة فما زال

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٦٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ١٠٣.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ١٠٢.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ١٦٥.

(٤) مواقف التابعين وأتباعهم في الدعوة، القحطاني ص ٦.

الحجاج ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره، ثم أقبل عليه سعيد فقال له: يا سارق يا خائن، تصلي هذه الصلاة! لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك. فلم يرد عليه، ولما جاء إلى المدينة نائباً عليها، دخل المسجد فإذا مجلس سعيد بن المسيب فقصده الحجاج فخشي الناس على سعيد منه، فجاء حتى جلس بين يديه، فقال له: أنت صاحب الكلمات؟ فضرب سعيد صدره بيده وقال: نعم. قال: فجزاك الله من معلم ومؤدب خيراً، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك. ثم قام ومضى[(١)].

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٥١٣.

المبحث السابع

دعوة الإمام سعيد بن جبير (تـ٩٥هـ)

هو سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبدالله، كان من كبار علماء التابعين، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم، قتله الحجاج سنة (٩٥هـ)[1].

ويمكن إبراز معالم دعوته في النقاط التالية:

المطلب الأول صفات الإمام سعيد بن جبير الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الإمام سعيد بن جبير.

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى٦/ ٢٦٧، الحلية لأبي نعيم ٤/ ٢٧٢، ، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٥٥ وما بعدها.

المطلب الأول

صفات الإمام سعيد بن جبير الدعوية

أولاً: الخشية من الله:

قال سعيد بن جبير: «لو فارق ذكر الموت قلبي، لخشيت أن يفسد علي قلبي»(١).

وقال القاسم بن أبي أيوب الأعرج: «كان سعيد بن جُبَير يبكي بالليل حتى عمش»(٢).

ثانياً: ارتباطه بالقرآن وتدبره:

قال القاسم بن أبي أيوب: سمعتُ سعيد بن جُبَير يردد هذه الآية في الصلاة بضعاً وعشرين مرةً: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١](٣).

قال قيس بن الربيع: عن الصعب بن عثمان، قال: قال سعيد بن جبير: «ما مضت علي ليلتان منذ قتل الحسين إلا أقرأ فيهما القرآن، إلا مريضاً أو مسافراً»(٤).

وكان سعيد بن جُبَير يختم القرآن في كل ليلتين، وقال هلال بن يساف: دخل سعيد بن جُبَير الكعبة فقرأ القرآن في ركعة(٥).

---

(١) الزهد للإمام أحمد ٣٧١، حلية الأولياء ٤/ ٢٧٩. سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٣٤.
(٢) الزهد للإمام أحمد ١/ ٣٠٠.
(٣) الزهد للإمام أحمد ١/ ٣٠٠.
(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٦٠. سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٣٦.
(٥) الزهد للإمام أحمد ١/ ٣٠٠.

ثالثاً: حرصه على أولاده:

عن سعيد بن جبير: «إني لأزيد في صلاتي من أجل ابني هذا. قال مخلد: قال هشام: رجاء أن يحفظ فيه»(١).

رابعاً: الحرص على العلم وسعة علمه:

عن سعيد بن جبير، قال: «ربما أتيت ابن عباس، فكتبت في صحيفتي حتى أملأها، وكتبت في نعلي حتى أملأها، وكتبت في كفي»(٢).

قال سعيد بن جُبَير: كنا إذا اختلفنا بالكوفة في شيء كتبته عندي حتى ألقى ابن عمر فأسأله عنه(٣).

قال مسلم البطين، عن سعيد بن جبير: «أنه كان لا يدع أحداً يغتاب عنده، يَقُولُ: إِنْ أردت ذلك ففي وجهه»(٤).

قال النووي: «كان سعيد بن جُبَير من كبار أئمة التابعين ومتقدميهم في التفسير، والحديث، والفقه، والعبادة، والورع، وغيرها من صفات أهل الخير»(٥).

أخذ العلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فأكثر وَجَوَّدَ، وكذلك عن عبدالله بن مغفل، وعائشة، وعدي بن حاتم، وأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة، وأبي مسعود البدري، وابن عمر، وابن الزبير، والضحاك بن قيس، وأنس، وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٢٧٩.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٥٧ وزاد في آخره: «..وربما أتيته فلم أكتب حديثاً حتى أرجع، لا يسأله أحد عن شيء». وانظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٣٥

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٦٩.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد الكبرى ٦/ ٢٧٢. سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٣٦.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٢١٦.

وأخذ العلم كذلك عن التابعين؛ مثل: أبي عبدالرحمن السلمي، وكان من كبار العلماء(١).

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الإمام سعيد بن جبير

أولاً: حرصه على الدعوة وتعليم الناس:

وروى حبيب بن أبي ثابت: قال لي سعيد بن جبير: «لأن أنشر علمي؛ أحب إلي من أن أذهب به إلى قبري»(٢).

وعن سعيد، قال: «وددت الناس أخذوا ما عندي، فإنه مما يهمني»(٣).

قال عبدالواحد بن زياد: حدثنا أبو شهاب، قال: «كان يقص لنا سعيد بن جبير كل يوم مرتين، بعد الفجر وبعد العصر»(٤).

ثانياً: فقهه في الدعوة والتعليم والإجابة عن الأسئلة:

عن عمر بن حبيب، قال: «كان سعيد بن جبير بأصبهان لا يحدث، ثم رجع إلى الكوفة، فجعل يحدث. فقلنا له في ذلك، فقال: انشر بزك حيث تُعْرَف»(٥).

وعن الأصبغ بن زيد، قال: «كنت إذا سألت سعيد بن جبير عن حديث فلم يرد أن

---

(١) سير أعلام النبلاء٤/ ٣٢٢.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢٦. وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٥٨.
(٣) حلية الأولياء ٤/ ٢٨٣، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢٧.
(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٣٦.
(٥) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢٤.

يحدثني، قال: كيف تباع الحنطة؟»[١].

◈ ثالثاً: الجمع بين الترغيب والرهيب:

قال عطاء بن السائب: كان سعيد بن جبير بفارس، وكان يتحزن، يقول: «ليس أحد يسألني عن شيء. وكان يبكينا، ثم عسى أن لا يقوم حتى نضحك»[٢].

◈ رابعاً: الدعوة إلى الربانية وحسن الإقبال على الله:

قال ضرار بن مرة: عن سعيد بن جبير، قال: «التوكل على الله جماع الإيمان. وكان يدعو: اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك»[٣].

سأله يوماً عطاء بن دينار وكان من رواد مجلس ابن جبير، فقال: يا أبا عبدالله، ما الخشية؟ وما الذكر؟ فقال له: «إن الخشية أن تخشى الله تعالى حتى تحول خشيتك بينك وبين معصيتك؛ فتلك الخشية. وأما الذكر فطاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر، وإن أكثر التسبيح وقراءة القرآن»[٤].

وسأله رجلاً قائلاً: «من أعبدالناس؟ فقال رجل اجترح من الذنوب، فكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله»[٥].

◈ خامساً: الاستفادة من الفرص في الدعوة:

وما كانت تأتي فرصة للدعوة أو للنصح إلا اغتنمها سعيد بن جبير، فكان يراسل أحد طلابه، فعن عمر بن ذر قال: كتب سعيد بن جبير إلى أبي كتاباً أوصاه بتقوى الله، وقال:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤١.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢٤، تهذيب الكمال ١٠/ ٣٦٢.
(٣) حلية الأولياء ٤/ ٢٧٤، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢٥.
(٤) حلية الأولياء ٤/ ٢٧٦، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢٦.
(٥) حلية الأولياء ٤/ ٢٧٩.

«إن بقاء المسلم كل يوم غنيمة..، فذكر الفرائض والصلوات وما يرزقه الله من ذكره»[1].

وعن هلال بن خباب قال: «خرجنا مع سعيد بن جبير في جنازة، فكان يحدثنا في الطريق، ويذكرنا حتى بلغ، فلما جلس، لم يزل يحدثنا حتى قمنا، فرجعنا، وكان كثير الذكر لله»[2].

سادساً: بيان أهمية العلماء:

قال هلال بن خباب: قلت لسعيد بن جبير: «ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا ذهب علماؤهم»[3].

فسعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبيِّن أنه بذهاب العلماء الفقهاء يقبض العلم، ويظهر الجهل، وتكثر البدع، ويفشو الفساد، فإذا مات العالم ذهب ما كان معه، وفي ذلك هلاك للناس، فلا بدَّ من تعلّم السنة وتعليمها.

سابعاً: الدعوة إلى طلب العلم:

قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يزال الرجل عالماً ما تعلم، فإذا ترك العلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون»[4].

ثامناً: التحذير من ضلال العلماء:

قال هلال بن خبّاب: لِقيت سعيد بن جُبَير بمكة، فقلت: مِن أين هلاك الناس؟ قال: «مِن قِبَل علمائهم»[5].

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٢٨٠، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢٦.

(٢) حلية الأولياء ٤/ ٢٨٠، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢٧.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٦٢. وأبو نعيم في الحلية ٤/ ٢٧٦، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢٦.

(٤) المجموع شرح المهذب للنووي ١/ ٤٩.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٧٣.

المبحث الثامن

دعوة الإمام مطرف بن عبدالله بن الشخير (ت ٩٥هـ)

هو مطرف ابن الصحابي الجليل: عبدالله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة رضي الله عنهما وأرضاهما ومطرف من كبار التابعين والفقهاء، ولد بعد الهجرة في زمن النبي ﷺ وتوفي سنة (٩٥هـ)(١).

وكان له دور كبير في الدعوة إلى الله نبرزه من خلال النقاط التالية:

المطلب الأول صفات الإمام مطرف بن عبدالله الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الإمام مطرف بن عبدالله.

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٤١،حلية الأولياء١/ ١٩٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٧.

المطلب الأول

صفات الإمام مطرف بن عبدالله الدعوية:

☜ أولاً: تلمس حاجة الناس بما يحفظ لهم كرامتهم:

عن مطرف: أنه قال لبعض إخوانه: «يا أبا فلان، إذا كانت لك حاجة، فلا تكلمني، واكتبها في رقعة، فإني أكره أن أرى في وجهك ذل السؤال»(١).

☜ ثانياً: الارتباط بالقرآن:

لما مات عبدالله بن مطرف خرج مطرف على قومه وهو مترجل في ثياب حسنة فغضبوا وقالوا: يا أبا عبدالله، يموت عبدالله بن مطرف فتخرج مدهناً في ثيابك هذه، فقال مطرف: أفأستكين لها؟ وقد وعدني الله على مصيبتي ثلاث خصال كل خصلة منها أحب إلي من الدنيا كلها، قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦ - ١٥٧]، أفأستكين لها بعد هذا؟(٢).

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الإمام مطرف بن عبدالله:

✍ أولاً: الدعوة إلى العلم والعبادة والعناية بالقلوب:

فقد روى: قتادة، عن مطرف بن عبدالله، قال: «فضل العلم أحب إلي من فضل

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢١٠. سير أعلام النبلاء ٤/ ١٩٤.
(٢) الطبقات الكبرى ٧/ ١٧١.

العبادة، وخير دينكم الورع»[(١)].

قال مطرف بن عبدالله: «لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً، أحب إلي من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً»[(٢)].

وعن قتادة، عن مطرف، قال: «إن هذا الموت قد أفسـد على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيماً لا موت فيه»[(٣)].

✍ ثانياً: التحذير من الفتن وسؤال الله العافية:

قال أيوب: قال مطرف: «لأن آخذ بالثقة في القعود، أحب إلي من أن ألتمس فضل الجهاد بالتغرير»[(٤)].

أتـت الحرورية[(٥)] مطرف بن عبدالله ليدعوه إلى رأيهم فقال: يا هؤلاء إنه لو كانت لي نفسـان تابعتكم بإحداهما وأمسـكت الأخرى، فإن كان الذي تقولون هدى اتبعتها بالأخرى وإن كانت ضلالة هلكت نفس وبقيت لي نفس، ولكنها نفس واحدة وأنا أكره أن أغرر بها[(٦)].

قـال مُطَرِّف: «إن الفتنة لا تجيء حين تجيء لتهدي الناس، ولكن لتقارع المؤمن عن دينه، ولأنْ يقول اللهُ: لِمَ لا قتلتَ فلاناً؟ أحبّ إليّ مِنْ أنْ يقولَ: لِمَ قتلتَ فُلاناً؟»[(٧)].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٤٢، والزهد للإمام أحمد٢٤٠، وحلية الأولياء ٢/ ٢١٢.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٠٠، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٩٠.

(٣) الزهد للإمام أحمد ٢٣٨، وحلية الأولياء ٢/ ٢٠٤.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٤٣. سير أعلام النبلاء ٤/ ١٩١.

(٥) من الخوارج الذين قاتلهم عَلِيٌّ بن أبي طالب وكان عندهم من التشديد في الدين ما هو معروف.

(٦) الطبقات الكبرى ٧/ ١٠٤.

(٧) حلية الأولياء ٢/ ٢٠٤.

قال قتادة: قال مطرف: «لأن أعافى فأشكر، أحب إليَّ من أن أبتلى فأصبر»(١).

ثالثاً: الدعوة إلى حفظ اللسان:

قال ابن عيينة: قال مطرف بن عبدالله: «ما يسرني أني كذبت كذبة وأن لي الدنيا وما فيها»(٢).

رابعاً: الدعوة إلى التمسك بفهم الصحابة للقرآن:

فقد ورد أنه قال رجل لمطرف «إنا نريد كتاب الله، فقال مطرف: إنا لا نريد بكتاب الله بدلاً ولكن نريد من هو أعلم به»(٣).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٤٤ وحلية الأولياء ٢/ ٢٠٠.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ١٩٥.
(٣) ذم الكلام وأهله للإمام الهروي ٢/ ٢٤٦.

المبحث التاسع

دعوة الخليفة عمر بن عبدالعزيز (ت١٠١هـ)

عمر بن عبدالعزيز بن مروان الأموي الحافظ، العلامة، المجتهد، الزاهد، العابد، السيد، أمير المؤمنين، أبو حفص القرشي، الأموي، المدني، ثم المصري، الخليفة، الراشد، أشج بني أمية، مات عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه سنة ١٠١هـ وعمره تسع وثلاثون سنة، مدة خلافته سنتان وخمسة أشهر[١].

لما مات عمر بن عبدالعزيز، قال الحسن البصري: «مات خير الناس»[٢].

ويمكن بيان دعوة الإمام عمر بن عبدالعزيز من خلال النقاط التالية:

المطلب الأول الصفات الدعوية للخليفة عمر بن عبدالعزيز.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الخليفة عمر بن عبدالعزيز.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٤.

(١) تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٦١.

المطلب الأول

الصفات الدعوية للخليفة عمر بن عبدالعزيز

◆ **أولاً: العلم:**

قال عنه مجاهد: أتينا عمر بن عبدالعزيز ونحن نرى أنه سيحتاج إلينا، فما خرجنا من عنده حتى احتجنا إليه.. وقال: أتيناه نعلمه، فما برحنا حتى تعلمنا منه(١).

وقال ميمون بن مهران: كان عمر بن عبدالعزيز معلم العلماء، وقال أيوب السختياني: «لا نعلم أحداً ممن أدركنا كان أخذ عن النبي ﷺ أكثر منه»(٢).

وقال عنه الذهبي: «كان إماماً فقيهاً مجتهداً عارفاً بالسنن، كبير الشأن حافظاً»(٣).

قال الليث بن سعد: حدثني رجل كان صحب ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم، وكان عمر بن عبدالعزيز يستعمله على الجزيرة، فقال: «ما التمسنا علمَ شيءٍ إلا وجدنا عمر بن عبدالعزيز أعلم الناس بأصله وفروعه، وما كان العلماء عند عمر بن عبدالعزيز إلا تلامذة»(٤).

وقد أخذ العلم عن عدد من علماء السلف منهم: عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، والسائب بن يزيد، وسهل بن سعد، وسعيد بن المسيب، وعروة، وأبي سلمة بن عبدالرحمن، وأبي بكر بن عبدالرحمن، وعبدالله بن إبراهيم بن قارظ،

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٣٩٨، والبداية والنهاية ٩/ ١٩٤.

(٢) تهذيب التهذيب ٧/ ٤١٩.

(٣) تذكرة الحفّاظ ١/ ١١٨.

(٤) البداية والنهاية ٩/ ١٩٤.

وعامر بن سعد، ويوسف بن عبدالله بن سلام، وطائفة، وكان من أئمة الاجتهاد، ومن الخلفاء الراشدين[(١)].

◆ **ثانياً: حسن سيرته وخلقه ودينه:**

قال عنه الذهبي: كان «قانتاً لله، أوّاهاً منيباً، يُعَدُّ في حُسن السيرة والقيام بالقسط مع جده لأمه عمر، وفي الزهد مع الحسن البصري، وفي العلم مع الزهري، وقد احتج العلماء والفقهاء بقوله وفعله»[(٢)].

◆ **ثالثاً: الرفق والعفو:**

كان عمر بن عبدالعزيز يقول: إن أحب الأمور إلى الله القصد في الجد، والعفو في المقدرة، والرفق في الولاية، وما رفق عبد بعبد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة.. ويُروى أنه خرج ابن له وهو صغير يلعب مع الغلمان فشجَّه صبي منهم، فاحتملوا الصبي الذي شج ابنه وجاءوا به إلى عمر، فسمع الجلبة فخرج إليهم، فإذا مُرَيْئَة تقول: إنه ابني وإنه يتيم. فقال لها عمر: هوِّني عليك، ثم قال لها: أله عطاء في الديوان؟ فقالت: لا. فقال: اكتبوه في الذرية. فقالت زوجته فاطمة: أتفعل هذا به وقد شج ابنك؟ فعل الله به وفعل، المرة الأخرى يشج ابنك ثانية. فقال: ويحك! إنه يتيم وقد أفزعتموه[(٣)].

◆ **رابعاً: إحساسه بالمسؤولية:**

فعن زوجته فاطمة بنت عبدالملك أنها دخلت يوماً عليه وهو جالس في مصلاه واضعاً خده على يده، ودموعه تسيل على خديه، فقالت له: ما لك؟ فقال: «ويحك يا فاطمة! قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٤.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٩٠.

(٣) البداية والنهاية ٩/ ٢٢٦.

الضائع، والعاري المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة، والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال الكثير، والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ؛ فخشيت أن لا تثبت لي حجة عند خصومته، فرحمت نفسي فبكيت[(١)].

◆ **خامساً: عبادته ورقة قلبه وخشيته لله:**

قال أنس بن مالك: «ما صليت وراء إمام أشبه بصلاة رسول الله من هذا الفتى يقصد عمر بن عبدالعزيز»[(٢)].

تقول زوجة عمر بن عبدالعزيز: «ما رأيت أحداً أكثر صلاة وصياماً منه، ولا أحداً أشد فرقاً من ربه منه، كان يصلي العشاء، ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه، ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه.. كان يكون معي في الفراش، فيذكر الشيء من أمر الآخرة، فينتفض كما ينتفض العصفور في الماء، ويجلس يبكي، فأطرح عليه اللحاف رحمةً له، وأنا أقول: يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بُعد المشرقين! فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها»[(٣)].

وبكى مرة، فبكى لبكائه أهل الدار، فلما سُرِّي عنه سألوه، فقال: «ذكرت منصرف الناس يوم القيامة، فريق في الجنة وفريق في السعير»[(٤)]..

◆ **سادساً: الزهد والتواضع:**

قال مالك بن دينار: «يقولون مالك زاهد، أي زهد عندي؟! إنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز أتته الدنيا فاغرة فاها، فتركها جملة»[(٥)].

---

(١) تاريخ دمشق ٤٥/ ١٩٧.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٢١٩.

(٣) البداية والنهاية ٩/ ٢١٩.

(٤) صفوة الصفوة ٢/ ٢٢١.

(٥) تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٠٩.

قال له رجل: جزاك الله عن الإسلام خيراً. فقال: «بل جزى الله الإسلام عني خيراً»[(١)].

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الخليفة عمر بن عبدالعزيز:

أولاً: الحرص على العمل بالكتاب والسنة وإحياء السنن ومحاربة البدع:

من أهم ما يميز منهج عمر في دعوته، حرصه على العمل بالكتاب والسنة، ونشر العلم بين رعيته، وتفقيههم في الدين وتعريفهم بالسنة، فقد ورد عنه أنه قال في إحدى خطبه: «إن للإسلام حدوداً وشرائع وسنناً، فمن عمل بها استكمل الإيمان، ومن لم يعمل بها لم يستكمل الإيمان، فلئن أعش أعلمكموها وأحملكم عليها»[(٢)].

وقال أيضاً: «فلو كانت كل بدعة يُميتُها الله على يديَّ، وكل سُنَّة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي حتى يأتي آخر ذلك على نفسي كان في الله يسيراً»[(٣)]، وفي موضع آخر قال: «والله لولا أن أنعش سُنَّة أو أسير بحق، ما أحببت أن أعيش فواقاً»[(٤)].

ثانياً: العناية بالتعليم ونشر الدعوة:

فقد جاء في كتابه الذي بعث به إلى عماله: «ومُرْ أهل العلم والفقه من جندك

---

(١) حلية الأولياء٥/ ٣٣١.

(٢) سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، لعبدالله بن عبدالحكم ص٦٠.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٢٦٤.

(٤) سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه ص٤٢، والطبقات لابن سعد ٥/ ٢٦٥.

فلينشروا ما علَّمهم الله من ذلك، ليتحدثوا به في مجالسهم»[١].

وكتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يأمره: «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ، أو سنة ماضية، أو حديث عمرة فاكتبه، فإني خفت دُروس العلم وذهاب العلماء[٢]، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يُعَلَّم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً[٣].

ومما كتب به إلى بعض عماله: «أما بعد، فأمر أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم، فإن السُّنَّة كانت قد أميتت»[٤].

وذكر ابن عبدالبر أن ابن شهاب قال: «أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن، فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً»[٥].

ثالثاً: فقه التعامل مع غير المسلمين ودعوتهم:

ففي رسالة لعامله على الكوفة: «كتبت إلي تسألني عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة، وتستأذنني في أخذ الجزية منهم، وإن الله جل ثناؤه بعث محمداً ﷺ داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه جابياً، فمن أسلم من أهل تلك الملل فله في ماله الصدقة ولا جزية عليه»[٦].

وجاء في رسالة لعامله على البصرة: «الناس قد كثروا في الإسلام وخفت أن يقل

(١) التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة ٣/ ٢٢٦.
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ٤٨٠.
(٣) انظره معلقاً في صحيح البخاري: كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم
(٤) المحدث الفاصل ص١٥٣.
(٥) جامع بيان العلم ١/ ٩١
(٦) الخراج لأبي يوسف صـ١٤٢ وانظر: عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم صـ٢٣٤.

الخـراج؟»، فيجيبـه عمر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهمـت كتابك، والله لوددت أن الناس كلهم أسـلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا»[(١)].

وكتب لعامله في مصر: «إن الله بعث محمداً داعياً، ولم يبعثه جابياً، فإذا أتاك كتابي، فإن كان أهل الذمة أشرعوا في الإسلام، وكسروا الجزية، فاطو كتابك، وأقبل»[(٢)].

وقال: «والله ما استطيع أن أُخرِجَ لهم شيئاً من أمر الدين إلا ومعه طرف من الدنيا؛ استلين به قلوبهم خوفاً أن ينخرق عليّ منهم ما لا طاقة لي به»[(٣)].

رابعاً: فقه التدرج ومراعاة أحوال الناس:

عن زياد عن مالك قال: قال عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز لأبيه: يا أبت، مالك لا تنفـذ الأمور؟ فـو الله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبـك في الحق! قال له عمر: لا تعجل يا بنيّ؛ فإنّ الله ذمّ الخمر في القرآن مرتين وحرّمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعونه جملة ويكون من ذلك فتنة»[(٤)].

وفي روايـة: لما ولي عمر بن عبدالعزيز قال له ابنه عبدالملك: إني لأراك يا أبتاه قد أخرت أموراً كثيرة كنت أحسـبك لو وليت سـاعة من النهار عجلتها، ولوددت أنك قد فعلت ذلك ولو فارت بي وبك القدور. قال له عمر: أي بني إنك على حسـن قسـم الله لـك وفيك بعض رأي أهل الحداثة، والله ما أسـتطيع أن أخرج لهم شـيئاً من الدين إلا

---

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه لابن عبدالحكم ص٥٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٤٧ والطبقات لابن سعد ٥/ ٣٨٤.

(٣) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم ص٥٧.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه٥/ ١٨٥، واستدل به الدكتور محمد عبدالله دراز في رسالته للدكتوراة «دستور الأخلاق في القرآن» والشيخ خليل الميس في بحثه «سبل الاستفادة من النوازل» والمنشور في العدد ١٢ من «مجلة مجمع الفقه».

ومعه طرف من الدنيا أستلين به قلوبهم؛ خوفاً أن ينخرق علي منهم ما لا طاقة لي به»[١].

وفي رواية قال له ابنه: يا أمير المؤمنين: «ما أنت قائل لربِّك غداً إذا سألك فقال: رأيتَ بدعةً فلم تُمِتْها، أو سنةً فلم تُحْيِها؟!» فأجابه والده: «رحمك الله، وجزاك من ولدٍ خيراً، يا بني؛ إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدةً عقدةً، وعروةً عروةً، ومتى أردتُ مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمَنْ أن يفتقوا علي فتقاً يكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون عليَّ من أن يُراقَ في سببي محجمة من دمٍ، أَوَ ما ترضى ألَّا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت بدعة، ويُحيي سنة»[٢].

هذه المواقف من حياة الخليفة عمر بن عبدالعزيز داخلة في باب مهم جداً في منهج الدعوة وهو التدرج ومراعاة أحوال المدعوين في التغيير، ومراعاة قدرة الداعية، ودرء أشد المفسدتين باحتمال أدناهما كذلك، فإن الله تعالى لا يكلف إلا بالوسع، والواجبات تسقط بعدم القدرة، فما قدر على تنفيذه من أحكام الشريعة من غير مفسدة راجحة وجب تنفيذه فوراً ودفعة واحدة، بخلاف ما لا يقدر عليه، أو كان في تطبيقه مفسدة راجحة[٣].

خامساً: الدعوة بالموعظة الحسنة:

قال عبيد الله بن العيزار: خطبنا عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالشام على منبر من طين، فحمد الله وأثنى عليه، ثم تكلم بثلاث كلمات فقال: «أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم، واعملوا لآخرتكم تكفوا دنياكم، واعلموا أن رجلاً

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم ص٥٧.

(٢) حلية الأولياء٥/ ٢٨٢، صفة الصفوة ٢/ ١٢٨.

(٣) استدل بهذه الروايات الشاطبي في الموافقات ٢/ ١٤،، والدكتور صالح بن حميد في بحثه، تطبيق الشريعة في العدد الخامس من (مجلة مجمع الفقه).

ليس بينه وبين آدم أب حي لمغرق له في الموت والسلام عليكم»[١].

سادساً: إقامة العدل وحفظ حقوق الناس وإزالة المنكرات:

عن الأوزاعي قال: كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عمر بن الوليد كتاباً فيه: «وقسم لك أبوك الخمس كله، وإنما لك سهم أبيك، كسهم رجل من المسلمين، وفيه حق الله، والرسول، وذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، فما أكثر خصماء أبيك يوم القيامة، فكيف ينجو من كثر خصماؤه، وإظهارك المعازف والمزامير بدعة في الإسلام، لقد هممت أن أبعث إليك من يَجزُّ جُمَّتَكَ جمةَ السوء»، قال: وكان عمر بن عبدالعزيز يجعل كل يوم درهماً من خاصة ماله في طعام المسلمين، ثم يأكل معهم[٢].

وفي موقف عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ هنا، مثال رائع للعدل الاجتماعي والانصاف بين الرعية، فما رضي رَحِمَهُ اللَّهُ أن ينال عمر بن الوليد لقرابته منه؛ تمييزاً عن باقي المسلمين، بل جعله واحداً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم.

سابعاً: طلب النصيحة وقبولها:

لما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة، دعا سالم بن عبدالله، ومحمد بن كعب، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا علي؟

فقال له سالم: إن أردت النجاة فصم الدنيا، وليكن إفطارك منها الموت.

وقال له ابن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطهم أخاً، وأصغرهم ولداً، فوقر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك.

وقال له رجاء: إن أردت النجاة من عذاب الله، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك،

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٥.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٧٠.

واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت، وإني أقول لك هذا، وإني أخاف عليك أشد الخوف يوماً تزل فيه الأقدام...»[(١)].

وفي هذا الموقف تواضع جمّ للخليفة عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهضمٌ للنفس، فيقول وهو من هو رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إني قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا علي».

فأمر النصيحة يعظم إذا تولى أحد الدعاة منصباً ما، فيلزم عليه طلب النصيحة، ويلزم على إخوانه إعانته، ووجب عليه سماع توجيهاتهم.

ثامناً: المرجعية لأهل العلم وتوقيرهم والحفاظ على مكانتهم:

عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان عمر بن عبدالعزيز لا يقضي بقضية -يعني: وهو أمير المدينة- حتى يسأل سعيد بن المسيب، فأرسل إليه إنساناً يسأله، فدعاه، فجاء، فقال عمر له: «أخطأ الرسول، إنما أرسلناه يسألك في مجلسك»، وكان عمر يقول: «ما كان بالمدينة عالم إلا يأتيني بعلمه، وكنت أوتى بما عند سعيد بن المسيب»[(٢)].

تاسعاً: عنايته بدعوة وتربية أبنائه:

فيقول لأحد أبنائه: «يا بُنَيَّ كُنْ عالماً، فإن لم تستطع فمتعلماً»[(٣)].

واختار لهم مؤدِّباً عالماً تقياً، بعث به إليهم، وأرسل إليه رسالة يحدد له فيها الطريقة المثلى للتأديب فقال له: «فإني قد اخترتك على علمٍ منِّي بك، لتأديب ولدي، فصرفتهم إليك من غيرك من موالي وذَوِيَّ الخاصة بي،.. وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يثبت في قراءته، فإذا فرغ تناول قوسه ونبله وخرج للرمي...»[(٤)].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٢٤.
(٣) سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي، ص ٢١٩.
(٤) سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي، ص ٢٢٠.

وكتب إلى أحد أبنائه يقول: «يا بُني احذر الصرعة على الغفلة، حين لا تستجاب الدعوة، ولا سبيل إلى الرجعة، ولا تغترنَّ بطول العافية، فإنما هو أجل ليس دونه فناء، ولا بعد أن تستكمله بقاء»[(١)].

وقال لابنه عبدالعزيز: «يا بُني إذا سمعت كلمة من امرئ مسلم، فلا تحملها على شيء من الشر، ما وجدت لها محملاً على الخير»[(٢)].

وبلغه أن ابناً له اتخذ خاتماً، واشترى له فصاً بألف درهم، فكتب إليه عمر قائلاً: «أما بعدُ، فقد بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم، فبعه، وأشبِع به ألف جائع، واتخذ خاتماً من حديد، واكتب عليه: رحم الله امرأ عرف قدر نفسه»[(٣)].

(١) مجلس في رؤية الله لمحمد بن عبدالواحد بن محمد الأصبهاني ص١٧٠.

(٢) كتاب الأشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا ص٣٠٢، حلية الأولياء ٥/ ٢٧٧- ٢٧٨.

(٣) سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي، ص ٣١٥.

المبحث العاشر

دعوة الإمام مجاهد بن جبر (تـ١٠٤هـ)

هو مُجاهِد بْن جَبْر مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القرشي. تلميذ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المشهور، وهو إمامٌ وفقيه وعالمٌ ثقة، وكان بارعاً في تفسير وقراءة القرآن الكريم والحديث النبوي. ولد سنة (٢١هـ) وتوفي بمكة وهو ساجدٌ سنة (١٠٤هـ)(١).

ويمكن إبراز دعوة الإمام مجاهد في النقاط التالية:

المطلب الأول صفات الإمام مجاهد الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الإمام مجاهد.

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٤٦٦،حلية الأولياء ٣/ ٢٧٩. وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٩.

المطلب الأول

صفات الإمام مجاهد الدعوية

من أبرز ما اشتهر عن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: سعة علمه واتقانه للقرآن تعلماً وتعليماً وفهماً وحفظاً، فعن الفضل بن ميمون، سمعت مجاهداً يقول: «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة»[(١)]، وقال: «عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقفه عند كل آية، أسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت»[(٢)].

قال يحيى بن سعيدٍ القطان: «كان مُجاهِد فقيهاً عالماً ثقةً، كثير الحديث»[(٣)].

قال سفيان الثوري: «خذوا التفسير من أربعةٍ: مُجاهِد، وسعيد بن جبيرٍ، وعكرمة، والضحاك»[(٤)].

قال قتادة بن دعامة: «إن أعلم من بقي بالقرآن مُجاهِد»[(٥)] يعني التفسير.

قال الأعمش: «كان مُجاهِد كأنه حمالٌ، فإذا نطق خرج مِن فِيهِ اللؤلؤُ»[(٦)].

قال مُجاهِد: قال لي ابن عمر: «وددتُ أن نافعاً يحفظ كحفظك»[(٧)].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ١٩. وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٨٠.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٧٩، ٢٨٠، تاريخ دمشق ١٦/ ١٢٧.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٠.

(٤) تاريخ دمشق ٥٧/ ٢٨.

(٥) تاريخ دمشق ٥٧/ ٢٨.

(٦) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٣.

(٧) طبقات الحفاظ للسيوطي ١/ ٤٢.

وورد أن عمرو بن العاص قدم على عمر بن الخطاب، فسأله عمر: من استخلفت على مصر؟ قال: مجاهد بن جبير. فقال له عمر: مولى ابنة غزوان. قال: نعم، إنه كاتب. فقال عمر: إن العلم ليرفع بصاحبه(١).

وقد أخذ العلم عن جمع كبير من السلف منهم: ابن عباس - فأكثر وأطاب - وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه.

وكذلك أخذ العلم من أبي هريرة، وعائشة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، ورافع بن خديج، وأم كرز، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وأم هانئ، وأسيد بن ظهير، وعدة رضي الله عنهم(٢).

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الإمام مجاهد

أولاً: تربية طلاب العلم:

عن مجاهد، قال: «طلبنا هذا العلم وما لنا فيه نية، ثم رزق الله النية بعد»(٣).

وروى أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي علية عن ليث عن مجاهد قال: «ذهبت العلماء فما بقي إلا المتعلمون، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم»(٤).

قال مجاهد رحمه الله: «لا يتعلم العلم مستحٍ ولا مستكبر»(٥).

---

(١) كنز العمال ١٠/ ٢٥٤.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٢. المعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٧١٢، تاريخ دمشق ١٦/ ١٢٩.

(٤) حلية الأولياء ٣/ ٢٨٠.

(٥) صحيح البخاري معلقاً، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، (١/ ٣٨)؛ تغليق التعليق لابن حجر ٢/ ٩٣.

قال مُجاهِد: «الفقيهُ من يخاف الله ﷻ وإن قل علمه، والجاهل من عصى الله وإن كثر علمه»[(١)].

قـال يونس بن خبـابٍ: قال لي مُجاهِد: «ألا أنبئك بـالأوَّاب الحفيظ، قلت: بلى، قال: هو الذي يذكُرُ ذنبه إذا خلا فيستغفر اللهَ منه»[(٢)].

⌑ ثانياً: التحذير من البدع وإزالة شبهات المبتدعة:

عن الأعمش، عن مجاهد، قال: «ما أدري أي النعمتين أعظم: أن هداني للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء»[(٣)].

روى أبـو نعيم، عن عثمان بن الأسـود، عن مُجاهِد، قال: «أتتـه امرأةٌ فقالت: إني أجد في نفسـي شـيئاً لا أسـتطيع أن أتكلم به، قال: ذاك محض الإيمان، فقلت: ما هو يا أبا الحجاج؟ قال: إن المؤمن إذا عُصِم من الشيطان في الذنوب جاءه فقال: أرأيت اللهَ، مَن خلَقه؟»[(٤)].

⌑ ثالثاً: العناية بالصحبة الصالحة وآدابها:

وروى ابن أبي شـيبة أيضاً عن ابن إدريس عن ليث عن مجاهد قال: «لو لم يصب المسلم من أخيه إلا أن حياء منه يمنعه من المعاصي لكان في ذلك خير»[(٥)].

وقال: «إن العبد إذا أقبل على الله بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه»[(٦)].

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢٨٠.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٦٤ (٣٦٦٠٤).
(٣) حلية الأولياء ٣/ ٢٩٣.
(٤) حلية الأولياء ٣/ ٢٩٣.
(٥) حلية الأولياء ٣/ ٢٨٠.
(٦) حلية الأولياء ٣/ ٢٨٠. صفة الصفوة ٢/ ٢٠٩.

وكان يقول: «لا تحد النظر إلى أخيك، ولا تسأله من أين جئت وأين تذهب»[١].

⌑ رابعاً: العناية بدعوة الأقربين وصلاحهم:

وعن عبدالوهاب بن مجاهد، قال: كنت عند أبي، فجاء ولده يعقوب، فقال: «يا أبتاه، إن لنا أصحاباً يزعمون أن إيمان أهل السماء وأهل الأرض واحد. فقال: يا بني، ما هؤلاء بأصحابي، لا يجعل الله من هو منغمس في الخطايا كمن لا ذنب له»[٢].

وقال مجاهد: «إن الله عز وجل ليصلح بصلاح العبد ولده، وولد ولده»[٣].

⌑ خامساً: الدعوة إلى تزكية النفوس:

قال مُجاهِد: «لو أن رجلاً أنفق مثل أُحُدٍ في طاعة الله تعالى لم يكن مِن المسرفين»[٤].

قال مجاهد: «من أكرم نفسه وأعزها أذل دينه، ومن أذل نفسه أعز دينه»[٥].

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٢٠٩.
(٢) تاريخ دمشق ٥٧/ ٣٩، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٥.
(٣) حلية الأولياء ٣/ ٢٨٠. صفة الصفوة ٢/ ٢٠٨.
(٤) حلية الأولياء ٣/ ٢٩٣.
(٥) حلية الأولياء ٣/ ٢٧٩. صفة الصفوة ٢/ ٢٠٨.

المبحث الحادي عشر

دعوة الإمام عامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٥هـ)

هو عامر بن شَراحيل بن عبد بن ذي كِبَار -وذو كبار: قَيْلٌ من أقيال اليمن- الإمام، علَّامة العصر، أبو عمرو الهمداني ثم الشَّـعْبِيُّ. وُلِد بالكوفة سنةَ ١٦ هـ، وقيل غير ذلك وتوفي سنة (١٠٥ هـ)[١].

ويمكن إبراز معالم من الإمام الشعبي في النقاط التالية:

المطلب الأول صفات الإمام الشعبي الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الإمام الشعبي.

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٤٦، حلية الأولياء ٤/ ٣١٠، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٤.

المطلب الأول

صفات الإمام الشعبي الدعوية

مما تميز به الإمام الشعبي دعوياً وكان له أثر كبير في دعوته وتعليمه وحفظه، وتفوقه:

أولاً: الاقبال على العلم والعلماء والتضحية في ذلك:

قال أبو الحسن المدائني: «قيل للشعبي: من أين لك كل هذا العلم؟ قال: بنفي الاغتمام، والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد، وبكور كبكور الغراب»[(١)].

وقال عامر الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لسائل عندما سأل عن مسألة وأجاب عليها: «أعطيناكها بغير شيء، وقد كان الرجل ليرحل فيما دونها إلى المدينة»[(٢)].

فقد كان الشعبي يقول: «ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا، ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته، ولا أحببت أن يعيده علي»[(٣)].

وعن ابن شبرمة سمعت الشعبي يقول: «ما سمعت منذ عشرين سنة رجلاً يحدث بحديث إلا أنا أعلم به منه، ولقد نسيت من العلم ما لو حفظه رجل لكان به عالماً»[(٤)].

وقد أخذ العلم عن جمع كثير من السلف منهم: سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبي موسى الأشعري، وعدي بن حاتم، وأسامة بن زيد، وأبي مسعود البدري،

---

(١) سير أعلام النبلاء٤/ ٣٠٠.

(٢) فتح الباري ١/ ٢٢٩، وقد ذكرها البخاري في كتاب العلم باب تعليم الرجل أمته وأهله (٩٧).

(٣) الكامل في الضعفاء ١/ ٢٢٢. وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد٦/ ٢٤٩ وتاريخ بغداد للبغدادي ٢/ ٢٢٩.

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ١٤٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٠١.

وأبي هريرة، وأبي سعد، وعائشة، وجابر بن سمرة، وابن عمر، وعمران بن حصين، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن عمرو، وجرير بن عبد الله، وابن عباس، وكعب بن عجرة، وعبد الرحمن بن سمرة، وسمرة بن جندب، والنعمان بن بشير، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وبريدة بن الحصيب، والحسن بن علي، وحبشي بن جنادة، والأشعث بن قيس الكندي، ووهب بن خنبش الطائي، وعروة بن مضرس، وجابر بن عبد الله، وعمرو بن حريث، وأبي سريحة الغفاري، وميمونة، وأم سلمة، وأسماء بنت عميس، وفاطمة بنت قيس، وأم هانئ، وأبي جحيفة السوائي، وعبد الله بن أبي أوفى، وعبد الله بن يزيد الأنصاري، وعبد الرحمن بن أبزى، وعبد الله بن الزبير، والمقدام بن معد يكرب، وعامر بن شهر، وعروة بن الجعد البارقي، وعوف بن مالك الأشجعي، وعبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي، وأنس بن مالك، ومحمد بن صيفي، وغير هؤلاء الخمسين من الصحابة رضي الله عنهم.

وحدث عن: علقمة، والأسود، والحارث الأعور، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، والقاضي شريح، وعدة[(١)].

ثانياً: سعة وقوة العلم:

فقد سمع ابن عمر الشَّعبي يحدث بالمغازي، فقال: «لكأن هذا الفتى شهِد معنا»[(٢)].

وقال ابن سيرين: «قدمت الكوفة، وللشعبي حلقةٌ عظيمةٌ، والصحابة يومئذٍ كثيرٌ»[(٣)].

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ١٤٣.

(٣) تاريخ دمشق ٢٥/ ٣٥٧.

وقال عاصم بن سليمان: «ما رأيت أحداً أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشَّعبي»[١]، وقال مكحولٌ: «ما رأيتُ أحداً أعلم بسنةٍ ماضيةٍ من الشَّعبي»[٢].

وقال أبو حصينٍ عثمان بن عاصم: «ما رأيت أحداً قط كان أفقهَ مِن الشَّعبي»[٣].

وقال أبو بكرٍ الهذلي: قال لي محمد بن سيرين: يا أبا بكر، إذا دخلت الكوفة فاستكثر من حديث الشَّعبي؛ فإنه كان يُسأَلُ وإن أصحاب محمد ﷺ لأحياءٌ[٤].

ثالثاً: التواضع:

قال الشعبي: «إنا لسنا بالفقهاء، ولكنا سمعنا الحديث فرويناه»[٥].

وقال الشعبي: «لسنا بفقهاء ولا علماء ولكنا قوم قد سمعنا حديثاً فنحن نحدثكم بما سمعنا، إنما الفقيه من ورع عن محارم الله، والعالم من خاف الله»[٦].

رابعاً: الخوف من الله ومحاسبته على العلم:

ورد عن الشعبي قوله: «يا ليتني أنفلت من علمي كفافاً، لا عليَّ ولا ليَّ»[٧].

وقال الشعبي: «ليتني لم أكن علمت من ذا العلم شيئاً»[٨].

---

(١) تاريخ دمشق ٢٥/ ٣٦١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٦٦.

(٣) حلية الأولياء ٤/ ٣١٠.

(٤) تاريخ بغداد ١٤/ ١٤٣.

(٥) المتفق والمفترق للخطيب البغدادي ٣/ ١٩١٩.

(٦) حلية الأولياء ٤/ ٣١١.

(٧) سنن الدارمي ١/ ١٤٤ (٥٣١)، حلية الأولياء ٤/ ٣١٣، شرف أصحاب الحديث للخطيب ص١١٩.

(٨) حلية الأولياء ٤/ ٣١١، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٠٣.

قال الإمام الذهبي تعليقاً على هذا النقل: «لأنه حجة على العالم، فينبغي أن يعمل بـه، وينبه الجاهل، فيأمره وينهاه، ولأنه مظنة أن لا يخلص فيه، وأن يفتخر به، ويماري به، لينال رئاسة، ودنيا فانية»(١).

خامساً: الحلم:

قال أبو نعيم: «جمع الشعبي إلى العلم الحلم، فقد روي أن رجلاً شتمه أقبح الشتم، وأسمعه أقذع الكلام، فلم يزِدْ عن أن قال له: «إن كنت صادقاً فيما تقول فغفر اللهُ لي، وإن كنت غير صادق فغفر اللهُ لك»(٢).

سادساً: الكرم والزهد في الدنيا:

كان يقول: «والله ما حللتُ حبوتي إلى شيءٍ مما ينظر إليه الناس، ولا ضربتُ غلاماً لي قط، وما مات ذو قرابةٍ لي وعليه دينٌ إلا قضيته عنه(٣).

سابعاً: الحكمة:

دخل الشَّعبي على عبدالملك بن مروان فقال: يا شعبي، ما العلم؟ قال: يا أمير المؤمنين، العلم ما يقربك من الجنة، ويباعدك من النار. قال: يا شعبيُّ، ما العقل؟ قال: ما يعرِّفُك عواقب رشدك، ومواقع غيِّك. قال: يا شعبي، متى يعرف الرجلُ كمالَ عقله؟ قال: إذا كان حافظاً للسانه، مدارياً لأهل زمانه، مقبلاً على شانه(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٠٣.

(٢) مجمع الأمثال ٢/ ٤٥٦.

(٣) تهذيب التهذيب ٥/ ٦٩.

(٤) تاريخ دمشق ٢٥/ ٣٨٦.

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الإمام الشعبي

○ أولاً: الدعوة إلى طلب العلم والارتباط بالعلماء:

وعن الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال:** «لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره رأيت أن سفره لا يضيع»[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جالسوا العلماء فإنكم إن أحسنتم حمدوكم، وإن أسأتم تأولوا لكم وعذروكم، وإن أخطأتم لم يعنفوكم، وإن جهلتم علموكم، وإن شهدوا لكم نفعوكم»[2].

عن الأعمش قال: قال الشعبي: «ألا تعجبون من هذا الأعور؟! يأتيني بالليل، فيسألني، ويفتي بالنهار - يعني: إبراهيم»[3].

وقال يونس بن أبي إسحاق: «كنت مع الشَّعبي والناس يسألونه من صلاة العصر إلى المغرب»[4].

○ ثانياً: الدعوة إلى الجمع بين العلم والعمل:

قال زكريا بن أبي زائدة: «كان الشعبي يمر بأبي صالح، فيأخذ بأذنه، ويقول: تفسر القرآن وأنت لا تقرأ القرآن!»[5].

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٣١٣، وانظر: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ١/ ٢٨.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ١/ ١٣٠.

(٣) المعرفة والتاريخ للفسوي ٢/ ٦٠٣. سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٠٢.

(٤) تاريخ بغداد ١٤/ ١٤٣.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٠٨.

ومر بنا قول الشعبي: «ولكن الفقهاء من إذا علم عمل»[(١)].

وقال الشَّــعبي: «اتقوا الفاجر من العلماء، والجاهل من المتعبِّدين؛ فإنهما آفةُ كل مفتون»[(٢)].

○ ثالثاً: الورع عن التسرع في الفتوى أو نقل أقوال العلماء من غير تثبت:

عن ابن شبرمة: «سئل الشعبي عن شيء، فلم يجب فيه، فقال رجل عنده: أبو عمرو يقول فيه كذا وكذا. فقال الشعبي: هذا في المحيا، فأنت في الممات علي أكذب»[(٣)].

وروى مجالد، عن الشــعبي: «كره الصالحــون الأولون الإكثار من الحديث، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما حدثت إلا بما أجمع عليه أهل الحديث»[(٤)].

وقال الصلت بن بهرام: «ما بلغ أحد مبلغ الشعبي أكثر منه يقول: لا أدري»[(٥)].

وعن مغيرة، عن الشعبي، قال: «لا أدري: نصف العلم»[(٦)].

قال محمد بن مزاحم: قيل للشعبي: إنا لنستحي من كثرة ما تُسأَلُ فتقول: لا أدري! فقال: لكن ملائكة الله المقربون لم يستحيوا حيث سئلوا عما لا يعلمون أن قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢][(٧)].

---

(١) المتفق والمفترق للخطيب البغدادي ٣/ ١٩١٩.

(٢) تهذيب الكمال ١٤/ ٣٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٠٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٠٤.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٥٠. سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٠٢.

(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٥٠، الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٥٨.

(٧) تاريخ دمشق ـ ٢٥/ ٣٦٦.

قال الصلت بن بهرام: ما رأيت رجلاً بلغ مبلغ الشَّعبي، أكثر يقول: لا أدري منه[1].

○ رابعاً: التحذير من الاختلاف في الدين:

عن عطاء بن السائب، عن الشعبي، قال: «ما اختلفت أمة بعد نبيها، إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها»[2].

○ خامساً: التحذير من القول بالرأي في الدين:

روي عن الشعبي، قال: «لعن الله أرأيت»[3]، يعني الخوض في مسائل الدين بالرأي.

قال الشعبي: «ما حدثوك هؤلاء عن النبي ﷺ فخذه، وما قالوه برأيهم، فألقه في الحش[4]»[5].

قال عيسى الخياط: سأل رجل الشَّعبي عن شيء، فقال: قال ابن مسعود: كذا وكذا، فقال: أخبرني برأيك، فقال: ألا ترون إلى هذه! أخبره عن ابن مسعود ويسألني عن رأيي[6].

وقال الشَّعبي: ما أتاكم عن أصحاب محمد ﷺ فخذوا به، وما جاءكم عن أصحاب الرأي فاطرحوه[7].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ـ ٦/ ٢٦٢.

(٢) حلية الأولياء ٤/ ٣١٣. سير أعلام النبلاء ٤/ ٣١١.

(٣) حلية الأولياء ٤/ ٣٢٠. سير أعلام النبلاء ٤/ ٣١١.

(٤) الحش، بضم الحاء: المخرج، لانهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين. وهذه كناية عن عدم الاعتداد بالرأي.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣١٩.

(٦) تاريخ دمشق ـ ٢٥/ ٣٧٠.

(٧) تاريخ دمشق ٢٥/ ٣٧٠.

قال صالح بن مسلم: قال لي عامرٌ الشَّعبي: إنما هلكتم بأنكم تركتم الآثار وأخذتم بالمقاييس (أي بالرأي)[١].

○ سادساً: ذم البدعة وعدم الخوض في مواطن الفتن:

قال الشَّعبي: اقتصادٌ في سنَّةٍ: خيرٌ مِن اجتهاد في بدعة[٢].

قال الحسن بن عقبة المرادي: سمعت الشَّعبي يقول: أَحِبَّ أهل بيت نبيك ولا تكُنْ رافضيّاً، واعمَلْ بالقرآن ولا تكن حَرُورياً[٣]، واعلم أن ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا تكن قدَريّاً -أي: مِن الذين ينفُون القدَر-، وأطِعِ الإمام وإن كان عبداً حبَشيّاً[٤].

وقال النضر بن عبدالرحمن: كنت جالساً عند الشَّعبي وإلى جنبه المغيرة بن سعيد، قال الشَّعبي: افترق الناس أربعَ فِرَق: محب لعليٍّ مُبغِض لعثمان، ومحب لعثمان مُبغِض لعليٍّ، ومحب لهما جميعاً، ومُبغِض لهما جميعاً، قال: قلت: يا أبا عمرو، مِن أيِّهم أنت؟ فضرب على فخِذِ المغيرة بن سعيد وقال: أما إني مخالف لهذا، قال: قد علمت، قال عامر الشَّعبي: أنا ممن يحبهما جميعاً، ويستغفر لهما جميعاً[٥].

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٣٢٠.

(٢) تاريخ دمشق ٢٥/ ٣٧١.

(٣) بلدة بالعراق تجمع فيها الخوارج.

(٤) تاريخ دمشق ٢٥/ ٣٧١.

(٥) تاريخ دمشق٢٥/ ٣٧١.

المبحث الثاني عشر

دعوة الإمام الحسن البصري (ت ١١٠هـ)

هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، شيخ أهل البصرة، سيد أهل زمانه في العلم والعمل، كان حجة، فصيحاً، كثير الجهاد، ولد سنة (٢١هـ) وتوفي سنة (١١٠هـ)[١].

وكان لـه دورٌ كبيـرٌ في الدعـوة ينطلق من التربية الإيمانية وهي التي كانت أساس الدعوة عند التابعين ومن بعدهم، ومن معالم دعوته:

المطلب الأول صفات الإمام الحسن البصري الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الإمام الحسن البصري.

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٥٦، حلية الأولياء٢/ ١٣٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣.

المطلب الأول

صفات الإمام الحسن البصري ﵀ الدعوية

➢ أولاً: محبته النبي ﷺ:

روى الحسن البصري، عن أنس بن مالك، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب يوم الجمعة، يسند ظهره إلى خشبة، فلما كثر الناس قال: (ابنوا لي منبراً) أراد أن يسمعهم، فبنوا له عتبتين، فتحول من الخشبة إلى المنبر، قال: فأخبرني أنس بن مالك، أنه سمع الخشبة تحن حنين الواله، قال: فما زالت تحن حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر، فمشى إليها فاحتضنها، فسكنت»[(١)].

وكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث، بكى، ثم قال: «يا عباد الله، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه»[(٢)].

➢ ثانياً: القدوة الحسنة:

عن خالد بن صفوان، قال: «لقيت مسلمة بن عبدالملك، فقال: يا خالد، أخبرني عن حسن أهل البصرة؟ قلت: أصلحك الله، أخبرك عنه بعلم، أنا جاره إلى جنبه، وجليسه في مجلسه، وأعلم من قبلي به: أشبه الناس سريرة بعلانية، وأشبهه قولاً بفعل، إن قعد على أمر، قام به، وإن قام على أمر، قعد عليه، وإن أمر بأمر، كان أعمل الناس به، وإن نهى عن شيء، كان أترك الناس له، رأيته مستغنياً عن الناس، ورأيت الناس محتاجين إليه. قال: حسبك، كيف يضل قوم هذا فيهم»[(٣)].

---

(١) مسند أحمد ٢١/ ٧١ (١٣٣٦٣)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

(٢) مسند أبي يعلى ٥/ ١٤٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٠.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ١٤٧، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٦.

وكما قال أعرابي لأهل البصرة: من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دنياهم»[(١)].

➢ ثالثاً: الزهد في الدنيا:

عن مطر، قال: «دخلنا على الحسن نعوده، فما كان في البيت شيء، لا فراش، ولا بساط، ولا وسادة، ولا حصير، إلا سرير مرمول[(٢)] هو عليه»[(٣)].

عن يونس بن عبيد قال: أخذ الحسن عطاءه فجعل يقسمه، فذكر أهله حاجة فقال لهم: دونكم بقية العطاء أما إنه لا خير فيه إلا أن يصنع به هذا[(٤)].

➢ رابعاً: الهيبة:

عن أيوب السختياني: كان الرجل يجلس إلى الحسن ثلاث حجج ما يسأله عن المسألة هيبة له[(٥)].

➢ خامساً: الكرم:

عن قتادة قال: «دخلنا على الحسن وهو نائم وعند رأسه سلة فجذبناها فإذا خبز وفاكهة وجعلنا نأكل فانتبه فرآنا فسره فتبسم وهو يقرأ: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [النور٦١]»[(٦)].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب ص ٣٠٠-٣٠١.

(٢) السرير المرمول: الذي نسج وجهه بالسعف ولم يكن على السرير وطاء سوى الحصير.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨٢. والمعرفة والتاريخ للفسوي ٢/ ٤٨.

(٤) الطبقات الكبرى ٧/ ١٢٦.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٣.

(٦) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٧.

ولقي الحسن بن أبي الحسن البصري بعض إخوانه فلما أراد أن يفارقه خلع عمامته فألبسه إياه وقال: «إذا أتيت أهلك فبعها واستنفق ثمنها»[(١)].

➢ سادساً: محبته للمسلمين والزوار:

وعن جرير بن حازم قال: «كنا عند الحسن وقد انتصف النهار وزاد فقال ابنه: خفوا عن الشيخ، فإنكم قد شققتم عليه فإنه لم يطعم طعاماً ولا شراباً، قال: مه وانتهره، دعهم فوالله ما شيء أقر لعيني من رؤيتهم أو منهم، إن كان الرجل من المسلمين ليزور أخاه فيتحدثان ويذكران ويحمدان ربهما حتى يمنعه قائلته»[(٢)].

➢ سابعاً: سعة علمه:

فعن حميد بن هلال: قال لنا أبو قتادة: الزموا هذا الشيخ، فما رأيت أحداً أشبه رأياً بعمر منه -يعني: الحسن-[(٣)].

وقال قتادة: ما جمعت علم الحسن إلى أحد من العلماء، إلا وجدت له فضلاً عليه، غير أنه إذا أشكل عليه شيء، كتب فيه إلى سعيد بن المسيب يسأله، وما جالست فقيها قط، إلا رأيت فضل الحسن[(٤)].

وقال قتادة: كان الحسن من أعلم الناس بالحلال والحرام[(٥)].

---

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص٩٦.
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد الكبرى ٧/ ١٢٥.
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٦ سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٣. ، والمعرفة والتاريخ للفسوي ٢/ ٤٧، ٤٨ بنحوه.
(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٣.
(٥) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٨. الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٦٣.

عن حجاج بن أرطاة: سألت عطاء عن القراءة على الجنازة، قال: ما سمعنا ولا علمنا أنه يقرأ عليها. قلت: إن الحسن يقول: يقرأ عليها[١]. قال عطاء: عليك بذاك، ذاك إمام ضخم يقتدى به[٢].

وعن بكر بن عبدالله المزني، قال: من سره أن ينظر إلى أفقه من رأينا، فلينظر إلى الحسن[٣].

وقد أخذ العلم عن جمع كبير من السلف منهم: عمران بن حصين، والمغيرة بن شعبة، وعبد الرحمن بن سمرة، وسمرة بن جندب، وأبي بكرة الثقفي، والنعمان بن بشير، وجابر، وجندب البجلي، وابن عباس، وعمرو بن تغلب، ومعقل بن يسار، والأسود بن سريع، وأنس، وخلق من الصحابة رضي الله عنهم[٤].

➢ ثامناً: قبوله النصائح الدعوية من غيره:

لقد روي أنه كان يقص في الحج فمر به علي بن الحسين رضي الله عنهما فقال له: يا شيخ، أترضى نفسك للموت؟ قال: لا قال: فلله في أرضه معاد غير هذا البيت؛ قال: لا. قال: فثم دار للعمل غير هذه الدار؟ قال: لا. قال: فعملك للحساب؟ قال: لا. قال: فلم تشغل الناس عن طواف البيت! قال: فما قص الحسن بعدها[٥].

(١) وهو في الصحيح، فقد أخرج البخاري في صحيحه ٣/ ١٦٤ عن طلحة بن عبدالله بن عوف، قال: صليت خلف ابن عباس على جنازة، فقرأ بفاتحة الكتاب وقال: لتعلموا أنها سنة.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٥.

(٥) وفيات الأعيان ٢/ ٧٠.

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الإمام الحسن البصري :

◈ أولاً: العناية بالصلاة:

قال أبانُ: «دخلت على الحسن المسجد، فقلت: هل صليت رحمك الله؟ فقال: لا! قلت: فإن أهل السوق قد صلَّوْا، فقال: ومن يأخذ عن أهل السوق دينَه! إن نفَقت سلعتهم أخَّروا الصلاة، وإن كسدت قدموها»(١).

◈ ثانياً: التحذير من البدع وأهلها:

وكان يقول: «من وقَّر صاحب بدعة، فقد سعى في هدم الإسلام»(٢).

◈ ثالثاً: عنايته بدعوة الشباب:

فعن الحسن البصري قال: «يا معشر الشباب عليكم بالآخرة فاطلبوها، فكثيراً رأينا من طلب الآخرة فأدركها مع الدنيا، وما رأينا أحداً طلب الدنيا فأدركها مع الآخرة»(٣).

◈ رابعاً: التحذير من التسويف وضياع الأوقات:

عن الحسن قال: «إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بغدك، فإن يكن غداً لك فكن في غدٍ كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لك غد لم تندم على ما فرطت في اليوم»(٤).

---

(١) آداب الحسن البصري لابن الجوزي ص٥٤.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢١٨.

(٣) الزهد للبيهقي برقم (١٢).

(٤) قصر الأمل لابن أبي الدنيا برقم (٢١٩).

خامساً: الدعوة إلى الجمع بين العلم والعمل:

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح؛ فاطلبوا العلم طلباً لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا تضروا بالعلم، فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم، فخرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ - يقصد بذلك الخوارج - ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا»[(١)] من الخروج عن منهج محمد ﷺ.

وعن الحسن، قال: «كان الرجل يطلب العلم، فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه، وزهده، ولسانه، وبصره»[(٢)].

عن عمران القصير، قال: «سألت الحسن عن شيء، فقلت: إن الفقهاء يقولون كذا وكذا. فقال: وهل رأيت فقيهاً بعينك! إنما الفقيه: الزاهد في الدنيا، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه»[(٣)].

وكان يقول: «احذروا العابد الجاهل، والعالم الفاسق؛ فإن فيهما فتنةً لكل مفتون»[(٤)].

وكان يقول: «إذا أظهر الناس العلم، وضيعوا العمل، وتحابُّوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا في الأرحام، لعنهم الله جل ثناؤه، فأصمَّهم وأعمى أبصارهم»[(٥)].

---

(١) جامع بيان العلم وفضلة لابن عبدالبر ١/ ١٣٦، الاعتصام للشاطبي ٢/ ١٧٥.

(٢) الزهد للإمام أحمد ٢٦١ و٢٨٥ باختلاف يسير. وانظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨٣.

(٣) الزهد للإمام أحمد بلفظ: «البصير بذنبه» ص ٢٦٧ و٢٧٩. وحلية الأولياء ٢/ ١٤٧.

(٤) حلية الأولياء ٦/ ٣٧٦ ولم يعزه للحسن. وعزاه للحسن ابن الجوزي في آداب الحسن ص٥٥.

(٥) آداب الحسن البصري لابن الجوزي ص٥٩.

وقال: «همة العلماء الرعاية، وهمة السفهاء الرواية»[١].

وقال: «إن هذا الدين قويٌّ، وإن الحق ثقيل، وإن الإنسان ضعيف، فليأخذ أحدكم ما يطيق؛ فإن العبد إذا كلَّف نفسَه من العمل فوق طاقتها، خافَ عليها السآمة والتَّرْكَ»[٢].

سادساً: عنايته العلمية بطلاب العلم:

عن الربيع بن أنس، قال: «اختلفت إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله، فليس من يوم إلا أسمع منه ما لم أسمع قبل ذلك»[٣].

قام الحسن من الجامع، فاتبعه ناس، فالتفت إليهم، وقال: «إن خفق النعال حول الرجال قلما يلبث[٤] الحمقى»[٥].

وقال الحس: «لولا النسيان كان العلم كثيراً»[٦].

وقال له رجل يوماً: «يا أبا سعيد، كنت حدَّثتني بحديث فنسيتُه؟ فقال الحسن: لولا النسيانُ لَكثُر الفقهاء»[٧].

سابعاً: الدعوة حتى عند الموت:

عن الحسن: أنه لما حضره الموت دخل عليه رجال من أصحابه فقالوا له: يا أبا

(١) تاريخ دمشق ٦٧/ ١٨٣.

(٢) آداب الحسن البصري لابن الجوزي ص٥٣.

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ٤٢، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٥.

(٤) يلبث: من اللبث، وهو المكث والتوقف. والمقصود: أنه ذلك مما يغتر به الحمقى من المنتسبين للعلم.. والله أعلم.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٦٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٥.

(٦) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٩.

(٧) آداب الحسن البصري لابن الجوزي ص٥٣.

سعيد زودنا منك كلمات تنفعنا بهن قال: «إني مزودكم ثلاث كلمات ثم قوموا عني ودعوني ولما توجهت له، ما نهيتم عنه من أمر فكونوا من أترك الناس له، وما أمرتم به من معروف فكونوا من أعمل الناس به، واعلموا أن خطاكم خطوتان؛ خطوة لكم وخطوة عليكم فانظروا أين تغدون وأين تروحون»[(١)].

ثامناً: حثه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقد أدركت أقواماً كانوا أأمر الناس بالمعروف وآخذهم به، وأنهى الناس عن منكر وأتركهم له، ولقد بقينا في أقوام أأمر الناس بالمعروف وأبعدهم منه، وأنهى الناس عن المنكر وأوقعهم فيه، فكيف الحياة مع هؤلاء؟»[(٢)].

تاسعاً: الدعوة إلى الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة:

عن الحسن، قال: «لقيت أقواماً كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم، وصحبت أقواماً كان أحدهم يأكل على الأرض، وينام على الأرض، منهم: صفوان بن محرز، كان يقول: إذا أويت إلى أهلي، وأصبت رغيفا، فجزى الله الدنيا عن أهلها شراً. والله ما زاد على رغيف حتى مات، كان يظل صائماً، ويفطر على رغيف، ويصلي حتى يصبح، ثم يأخذ المصحف، فيتلو حتى يرتفع النهار، ثم يصلي، ثم ينام إلى الظهر، فكانت تلك نومته حتى فارق الدنيا، ويصلي من الظهر إلى العصر، ويتلو في المصحف إلى أن تصفر الشمس»[(٣)].

عاشراً: الاهتمام بالقلوب وخشوعها وإصلاحها وتزكية النفوس:

قال أبو سعيد بن الأعرابي: «كان عامة النساك يأتون الحسن، ويسمعون كلامه،

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٥٤.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ١٥٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٨٦. صفة الصفوة ٣/ ٢٢٧.

ويذعنون له بالفقه في هذه المعاني خاصة، وكان عمرو بن عبيد، وعبدالواحد بن زيد من الملازمين له، وكان له مجلس خاص في منزله، لا يكاد يتكلم فيه إلا في معاني الزهد والنسك وعلوم الباطن، فإن سأله إنسان غيرها، تبرم به، وقال: إنما خلونا مع إخواننا نتذاكر.

فأما حلقته في المسجد، فكان يمر فيها الحديث، والفقه، وعلم القرآن واللغة، وسائر العلوم، وكان ربما يسأل عن التصوف، فيجيب، وكان منهم من يصحبه للحديث، وكان منهم من يصحبه للقرآن والبيان، ومنهم من يصحبه للبلاغة، ومنهم من يصحبه للإخلاص وعلم الخصوص»[(١)].

عن حمزة الأعمى قال ذهبت بي أمي إلى الحسن، فقالت: «يا أبا سعيد ابني هذا قد أحببت أن يلزمك فلعل الله أن ينفعه بك. قال: فكنت أختلف إليه فقال لي يوماً: يا بني أدم الحزن على خير الآخرة لعله أن يوصلك إليه، وأبك في ساعات الخلوة لعل مولاك يطلع عليك فيرحم عبرتك فتكون من الفائزين. قال: وكنت أدخل عليه منزله وهو يبكي، وآتيه مع الناس وهو يبكي، وربما جئت وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه؛ قال: فقلت له يوماً: يا أبا سعيد إنك لتكثر من البكاء!!؟ قال: فبكى؛ ثم قال: يا بني فما يصنع المؤمن إذا لم يبك!! يا بني إن البكاء داع إلى الرحمة، فإن استطعت أن لا تكون عمرك إلا باكياً فافعل؛ لعله يراك على حالة فيرحمك بها، فإذا أنت قد نجوت من النار»[(٢)].

عن حفص بن عمر قال: «بكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالي»[(٣)].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٩.

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٦/ ١١٥.

(٣) صفة الصفوة ٣/ ٢٣٣.

جلس محمد بن واسع إلى ثابت بن محمدٍ البناني، فرآه يضحك في مجلسه ويمزح، فقال: «عافاك الله! إنك لتمزح في مجلسك، ولقد كنا نجلس إلى الحسن فكأنه إذا خرج إلينا كأنه جاء من الآخرة يحدثنا عن أهوالها»(١).

◈ الحادي عشر: التحذير من المعاصي:

سأل رجل الحسن فقال له: «يا أبا سعيد، ما الإيمان؟ قال: الصبر والسماحة. فقال: يا أبا سعيد ما الصبر والسماحة؟ قال: الصبر عن معصية الله، والسماحة بأداء فرائض الله(٢).

وجاء شاب إلى الحسن فقال: أعياني قيام الليل - أي حاولت قيام الليل فلم استطعه، فقال: قيدتك خطاياك»(٣).

وسأله رجل عن الفتنة ما هي؟ وما يوجبها؟ فقال: «هي والله عقوبة الله ﷻ، يحلها بالعباد إذا عصوه، وتأخروا عن طاعته»(٤).

◈ الثاني عشر: العناية بالتربية الأخلاقية:

فقد كان الحسن يقول: «هجران الأحمق قربة إلى الله، ومواصلة العاقل إقامة لدين الله، وإكرام المؤمن خدمة لله، ومصارمة الفاسق عون من الله. وكان يقول: لا تكن شاة الراعي أعقل منك. تزجرها الصيحة، وتطردها الإشارة»(٥).

---

(١) آداب الحسن البصري لابن الجوزي ص٢٥.
(٢) حلية الأولياء ٢/ ١٥٦.
(٣) صفة الصفوة ٢/ ٢٣٥.
(٤) آداب الحسن البصري لابن الجوزي ص٥٩.
(٥) آداب الحسن البصري لابن الجوزي ص٥٩.

◈ الثالث عشر: مناصحة ولاة الأمور:

لما استخلف عمر بن عبدالعزيز كتب إليه الحسن البصري كتاباً بدأ فيه بنفسه:

«أما بعد، فإن الدنيا دار مخيفة إنما أهبط آدم من الجنة إليها عقوبة، واعلم أن صرعتها ليست كالصرعة، من أكرمها يهن، ولها في كل حين قتيل، فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء خيفة طول البلاء، والسلام»(١).

◈ الرابع عشر: نصحه للعلماء:

وكان الحسن البصري شديداً في الحق لا يخشى في الله لومة لائم ولا يثنيه عن الصدق سطوة سلطان ولا تجبر ظالم، فبعد تولي يزيد بن عبدالملك الخلافة ولَّى على العراق وخراسان عمر بن هبيرة الفزاري، وكان الخليفة أحياناً يرسل إلى ابن هبيرة بتنفيذ أمور قد تخالف الشرع ويوجب عليه تنفيذها فأرسل ابن هبيرة إلى الحسن البصري وعامر بن شراحيل المشهور بالشعبي يستفتيهما في هذا الأمر، وقال لهم: أن الخليفة ولاه الله على العباد وهو واجبة طاعته ويرسل إليَّ أحياناً بإنفاذ أشياء لا أطمئن لعدالتها فهل تجدان لي في متابعتي إياه وإنفاذ أوامره مخرجاً في الدين؟

فقال الحسن: يا ابن هبيرة خَفِ الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله، واعلم أن الله ﷻ يمنعك من يزيد وأن يزيد لا يمنعك من الله.

يا ابن هبيرة إنه يوشك أن ينزل بك ملك غليظ شديد لا يعصي الله ما أمره فيزيلك عن سريرك هذا وينقلك من سعة قصرك إلى ضيق قبر حيث لا تجد هناك يزيد وإنما تجد هناك عملك الذي خالفت فيه رب يزيد. يا ابن هبيرة إنك إن تك مع الله تعالى وفي طاعته يكفك بائقة يزيد بن عبدالملك في الدنيا والآخرة. وإن تك مع يزيد في معصية الله تعالى فإن الله يكلك إلى يزيد. واعلم يا ابن هبيرة أنه لا طاعة لمخلوق كائناً من كان في معصية الله تعالي.

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٤٨.

فبكى بن هبيرة حتى بلت دموعه لحيته، ومال عن الشعبي إلى الحسن وبالغ في إعظامه وإكرامه[١].

الخامس عشر: حسن وعظه للعصاة:

عن إياس بن أبي تميمة يقول: شهدت الحسن في جنازة أبي رجاء على بغلة والفرزدق إلى جنبه على بعير، فقال له الفرزدق: قد استشرفنا الناس يقولون: خير الناس، وشر الناس!! قال: يا أبا فراس: كم من أشعث أغبر ذي طمرين خير مني! وكم من شيخ مشرك أنت خير منه! ما أعددت للموت؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله. قال: إن معها شروطاً، فإياك وقذف المحصنة. قال: هل من توبة؟ قال: نعم[٢].

السادس عشر: دعوته عند وقوع الفتن:

ولما كانت فتنة بن الأشعث -إذ قاتل الحجاج بن يوسف- انطلق عقبة بن عبدالغافر وأبو الجوزاء وعبدالله بن غالب في نفر من نظرائهم فدخلوا على الحسن فقالوا: يا أبا سعيد، ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وترك الصلاة وفعل وفعل؟ فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه، فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. قال: فخرجوا من عنده وهم يقولون: نطيع هذا العلج! فخرجوا مع بن الأشعث؛ فقتلوا جميعاً[٣].

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٧١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٤.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٦٣، ١٦٤.

المبحث الثالث عشر

دعوة الإمام محمد بن سيرين (ت١١٠هـ)

هو أبوبكر محمد بن سـيرين البصري، مولى أنس بن مالك خادم رسـول الله ﷺ. التابعي الكبير والإمـام القدير في التفسـير، والحديث، والفقه، وتعبير الرؤيا، والمقدم في الزهد والورع، توفي سنة (١١٠)[١].

وتبرز دعوة الإمام ابن سيرين في النقاط التالية:

المطلب الأول صفات الامام محمد بن سيرين الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الإمام ابن سيرين.

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٩٣، حلية الأولياء ٢/ ٢٦٣. وسير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠٦.

المطلب الأول

صفات الإمام محمد بن سيرين الدعوية:

أولاً: ورعه في نقل العلم والفتوى وتحرزه منها:

قال أشعث: «كان ابن سيرين إذا سئل عن الحلال والحرام تغير لونه حتى تقول: كأنه ليس بالذي كان»(١).

قال ابن شبرمة: «دخلت على محمد بن سيرين بواسط، فلم أر أجبن من فتوى منه»(٢).

قال ابن عون: «كان محمد بن سيرين إذا حدث كأنه يتقي شيئاً أو يحذر شيئاً»(٣).

قال مورق العجلي: «ما رأيت رجلاً أفقه في ورعه ولا أورع في فقهه من محمد بن سيرين»(٤).

ثانياً: حفظ اللسان:

عن ابن عون: «سمع ابن سيرين ينهى عن الجدال، إلا رجاء إن كلمته أن يرجع»(٥).

وعن هشام قال، قال ابن سيرين: «قلت مرة لرجل: يا مفلس، فعوقبت، قال أبو

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٩٥، حلية الأولياء ٢/ ٢٦٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٦١١.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٤٥.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٩٦، والمعرفة والتاريخ ٢/ ٥٦.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/ ٦١١.

سليمان الداراني وبلغه هذا فقال: قلت ذنوب القوم فعرفوا من أين أُتُوا، وكثرت ذنوبنا فلم ندر من أين نؤتى»(١).

عن ابن عون، قال: «كانوا إذا ذكروا عند محمد رجلاً بسيئة ذكره هو بأحسن ما يعلم»(٢).

وعن جرير بن حازم، قال: سمعت محمد بن سيرين: «رأيت ذلك الرجل الأسود؟ ثم قال: «استغفر الله ما أرانا إلا وقد اغتبناه»(٣).

ثالثاً: تعظيم العلم:

عن مهدي بن ميمون، قال: «كان محمد بن سيرين يتمثل الشعر ويذكر الشيء ويضحك حتى إذا جاء الحديث من السنة كلح وانضم بعضه إلى بعض»(٤).

رابعاً: عدم التكلف:

كان محمد بن سيرين يقول: «لا تكرم أخاك بما يشق عليك»(٥).

وقال أحدهم دخلت على محمد بن سيرين وبين يديه شهدة فقال لي: «هلم فكل فإن الطعام أهون من أن يقسم عليه»(٦).

خامساً: استقبال المدعوين في بيته وإكرامهم والدعاء لهم:

فعن ابن عون، قال: «ما أتينا محمد بن سيرين في يوم قط إلا أطعمنا خبيصاً أو فالوذجاً»(٧).

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٧١.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٦١١.
(٣) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٨.
(٤) حلية الأولياء ٢/ ٢٧٤.
(٥) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٤.
(٦) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٨.
(٧) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٩.

وقال أبو خلدة، قال: «دخلت على محمد بن سيرين أنا وابن عون، وسهم الفرائضي فقال: ما أدري ما أتحفكم به.. فقدم إلينا شهدة وجعل يقطع لنا بيده ونأكل»[(١)].

وعن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، عن أبيه، قال: «دخلت على محمد بن سيرين في يوم حار فرأى في وجهي اللغب فقال: يا جارية هات لحبيب غداء فلما جاءت به قلت: لا أريده قال: كل لقمة وأنت بالخيار فلما أكلت لقمة نشطت فأكلت حتى شبعت»[(٢)].

عن الجريري قال كنا عند محمد بن سيرين فلما أردنا القيام قلنا: دعوة يا أبا بكر قال: «اللهم تقبل منا أحسن ما نعمل وتجاوز عنا في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون»[(٣)].

◈ سادساً: توقيره لأمه وبره بها:

عن حفصة بنت سيرين، قالت: كانت والدة محمد حجازية، وكان يعجبها الصبغ، وكان محمد إذا اشترى لها ثوباً، اشترى ألين ما يجد، فإذا كان عيد، صبغ لها ثياباً، وما رأيته رافعاً صوته عليها، كان إذا كلمها كالمصغي إليها»[(٤)].

وعن ابن عون قال: «دخل رجل على محمد وهو عند أمه فقال ما شأن محمد يشتكى شيئاً فقالوا لا ولكن هكذا يكون إذا كان عند أمه»[(٥)].

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٩.
(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٩.
(٣) حلية الأولياء ٢/ ٢٧٢.
(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ٦١٩.
(٥) صفة الصفوة ٣/ ٢٤٥.

سابعاً: الشجاعة في الحق:

ومن ذلك أن عمر بن هبيرة الفزاري العالم الجليل والوزير لبني أمية الذي كان والياً على العراق آنذاك دعا محمد بن سيرين لزيارته ومعه ابن أخيه ولما قدما عليه رحّب بهما الوالي وأكرمهما ثم بدأ يسأل ابن سيرين عن كثير من أمور الدنيا والدين لأنه عالم من علماء الدين ورجل مال من كبار التجار ثم قال: كيف تركت أهل مصرك يا أبا بكر وكان عمر بن هبيرة في الكوفة وابن سيرين في البصرة..؟

فقال: تركتهم والظلم فيهم فاشٍ وأنت عنهم لاه.

فوكزه ابن أخيه حتى لا يتكلم فقال له ابن سيرين: إنك لم تُسْأَل، وإنما أنا الذي أُسْأَل وإنها لشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه(١).

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الإمام ابن سيرين

أولاً: الاهتمام بتوثيق العلم والدقة في نقله:

عن أبي بكر الهذلي: قال لي ابن سيرين: «الزم الشعبي، فلقد رأيته يستفتى وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون»(٢).

قال ابن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم»(٣).

وعن يونس بن عبيد يصف الحسن وابن سيرين فقال: «أما ابن سيرين، فإنه لم يعرض له أمران في دينه إلا أخذ بأوثقهما»(٤).

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٤، تاريخ دمشق٤٥/ ٣٧٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٠٠.

(٣) الثقات للعجلي ١/ ٦، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي برقم(١٣٨).

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٨.

عن عاصم الأحول، قال: «كنت عند ابن سيرين فدخل عليه رجل فقال: يا أبا بكر، ما تقول في كذا؟ قال: ما أحفظ فيها شيئاً، فقلنا له: فقل فيها برأيك قال: أقول فيها برأيي ثم أرجع عن ذلك الرأي، لا والله»(١).

وعن ابن عون، قال: سمعت محمداً، يقول في شيء راجعته فيه: «إني لم أقل لك: ليس به بأس، وإنما قلت لك: لا أعلم به بأساً»(٢).

☜ ثانياً: التحذير من البدع والتلقي عن أهلها:

عن عاصم الأحول، عن ابن سيرين قال: «لقد أتى على الناس زمان وما يسأل عن إسناد الحديث، فلما وقعت الفتنة سئل عن إسناد الحديث، فنظر من كان من أهل البدع، ترك حديثه»(٣).

عن شعيب بن الحبحاب، «قلت لابن سيرين ما ترى في السماع من أهل الأهواء؟ قال: لا نسمع منهم ولا كرامة»(٤).

☜ ثالثاً: الإجابة الواعية الحكيمة لأسئلة المدعوين:

عن يحيى بن عتيق، قال: قلت لمحمد بن سيرين: الرجل يتبع الجنازة لا يتبعها حسبة يتبعها حياء من أهلها، له في ذلك أجر؟ قال: «له أجران، أجر لصلاته على أخيه، وأجر لصلته الحي»(٥).

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٧.
(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٣.
(٣) حلية الأولياء ٢/ ٢٧٨. وانظر: الثقات للعجلي ١/ ٦.
(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ٦١١.
(٥) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٤.

عن عمران بن عبدالعزيز، قال: سمعت محمد بن سيرين، وسئل عمن يسمع القرآن فيصعق؟ قال: «ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط، فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره، فإن سقطوا فهم كما يقولون»[(١)].

☜ رابعاً: العناية بحسن الخلق والسلوك:

عن ابن عون، عن ابن سيرين، قال: «كانوا يرون حسن الخلق عوناً على الدين»[(٢)].

وعن ابن عون، قال: سمعت محمد بن سيرين، يقول: «ثلاثة ليس معهم غربة: حسن الأدب وكف الأذى ومجانبة الريب»[(٣)].

☜ خامساً: الحث على الاشتغال بالنفس وترك الوقوع في أعراض الآخرين:

سمع ابن سيرين رجلاً يسب الحجاج فأقبل عليه فقال: «مه أيها الرجل، فإنك لو قد وافيت الآخرة: كان أصغرُ ذنب عملته قط أعظمَ عليك من أعظم ذنب عمله الحجاج، واعلم أن الله تعالى حكم عدل: إن أخذ من الحجاج لمن ظلمه فسوف يأخذ للحجاج ممن ظلمه، فلا تشغلن نفسك بسب أحد»[(٤)].

وفي هذ الموقف رأينا ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يحث الرجل على الاشتغال بنفسه وأن يترك العباد لخالقهم، فهو الحكم العدل جَلَّ جَلَالُهُ، ويذكر الرجل بالحساب يوم القيامة، وتخويفه من عاقبة الذنب وجزاء الظلم والظالمين.

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٥.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٧٤.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ٢٧٥.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٢٧١.

☜ **سادساً: العناية بدعوة أهله:**

عن ابن عون، قال: كانت وصية محمد بن سيرين: «ذكر ما أوصى به محمد بن أبي عمرة أهله وبنيه؛ أن يتقوا الله، ويصلحوا ذات بينهم، وأن يطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصى به: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢]، وأوصاهم أن لا يدَعوا أن يكونوا إخوان الأنصار ومواليهم في الدين، فإن العفاف والصدق خير وأبقى وأكرم من الزنا والكذب...»(١).

☜ **سابعاً: العناية بحقوق الأخوة بين المسلمين:**

قال ابن سيرين: «ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم وتكتم خيره»(٢).

☜ **ثامناً: تأويل الرؤى:**

عُرف ابن سيرين بتفسير الرؤى والأحلام وله كتاب مشهور في ذلك وكان الرجل إذا سأل ابن سيرين عن الرؤيا قال: اتق الله عز وجل في اليقظة، ولا يضرك ما رأيت في المنام(٣).

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٢٠.

(٢) صفة الصفوة ٣/ ٢٤٥.

(٣) صفة الصفوة ٣/ ٢٧٤.

المبحث الرابع عشر

دعوة الإمام عطاء بن أبي رباح(تـ115هـ)

هو: عطاء بن أبي رَباحٍ، مفتي الحرم المكي، واسم أبي رَباحٍ: أسلم، نشأ بمكة، وهو مولى آل أبي ميسرة بن أبي خثيمٍ الفهري، وكان عطاءٌ أسود أعور أفطس أشل أعرج، ثم عَمِيَ بعد ذلك، وتوفي بمكة سنة (١١٥هـ)،وكان له يوم مات ثمان وثمانون سنة[1].

المطلب الأول صفات الإمام عطاء الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الإمام عطاء.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٢.

المطلب الأول

صفات الإمام عطاء الدعوية

أولاً: سعة العلم وإتقانه:

قال محمد بن علي بن حسين: «ما بقي أحدٌ أعلم بمناسك الحج من عطاء بن أبي رَباحٍ»[(١)]، وقال الشافعي: «ليس في التابعين أحد أكثر اتباعاً للحديث من عطاء»[(٢)].

وقال إبراهيم بن كيسان: «أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحاج صائحاً يصيح: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رَباحٍ»[(٣)].

قال النووي: «اتفق العلماء على توثيق عطاء بن أبي رَباحٍ وجلالته وإمامته»[(٤)].

وقدِم ابن عمر مكة فسألوه، فقال: «تجمعون لي المسائل وفيكم عطاء بن أبي رَباحٍ؟!»[(٥)]. وقال محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان: «ما رأيت مفتياً خيراً من عطاء بن أبي رَباحٍ، إنما كان في مجلسه ذكر الله لا يفتُرُ وهم يخوضون، فإن تكلم أو سئل عن شيءٍ أحسن الجواب»[(٦)].

وقد أخذ العلم على جمع كبير من الصحابة منهم: عائشة، وأم سلمة، وأم هانئ، وأبي هريرة، وابن عباس، وحكيم بن حزام، ورافع بن خديج، وزيد بن أرقم، وزيد بن

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢١.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٣٣٣.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٣٣٤.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي ١/ ٣٣٤.

(٥) حلية الأولياء ٣/ ٣١١.

(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد٦/ ٢١.

خالـد الجهني، وصفوان بن أمية، وابن الزبيـر، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، وجابر، ومعاوية، وأبي سعيد، وعدة من الصحابة رضي الله عنهم.

ثانياً: العبادة:

قـال عبدالملك بن جريج: «كان عطاءٌ بعدما كبِـرَ وضعُف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آيةٍ من البقرة وهو قائمٌ، ما يزول منه شيءٌ ولا يتحرك»(١).

قال محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى: «حج عطاء بن أبي رَباحٍ سبعين حجة»(٢).

قال عبدالملك بن جريجٍ: «كان المسجد فراش عطاء بن أبي رَباحٍ عشرين سنةً»(٣).

ثالثاً: حسن الخلق:

قال معاذ بن سعدٍ الأعور: «كنت جالساً عند عطاء بن أبي رَباحٍ، فحدث بحديث، فعـرض رجلٌ من القوم في حديثه، فغضب وقال: مـا هذه الأخلاق؟ وما هذه الطبائع؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه به، فأُريه أني لا أحسن شيئاً منه»(٤).

رابعاً: التواضع:

قال ابن أبي ليلى: «دخلت على عطاء فجعل يسألني، فكأن أصحابه أنكروا ذلك، وقالوا: تسأله؟ قال: ما تنكرون؟ هو أعلم مني»(٥).

---

(١) المعرفة والتاريخ ليعقوب الفسوي ١/ ٧٠٣.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٣٣٣.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ٣١٠.

(٤) حلية الأولياء٣/ ٣١٠.

(٥) تاريخ دمشق٤٠/ ٣٨٩.

خامساً: الزهد:

قال عمر بن ذر: «ما رأيت مثل عطاء بن أبي رباح، ما رأيت عليه قميصاً قط ولا رأيت عليه ثوباً يساوي خمسة دراهم»(١).

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الإمام عطاء

◆ أولاً: العناية بالقرآن والتدبر فيه:

قيل لعطاء: إن ها هنا قوماً يقولون: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، فما هذا الهدى الذي زادهم؟(٢).

وقيل لعطاء: يزعم بعض الناس أن الصلاة والزكاة ليستا من دين الله، فقال: قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]؛ فجعَل ذلك دِيناً(٣).

روى أبو نعيم عن عطاء بن أبي رَباحٍ، قال: ما قال عبدٌ قط: يا رب يا رب يا رب ثلاث مراتٍ إلا نظر الله إليه، قال: فذكرت ذلك للحسن، فقال: أما تقرؤون القرآن: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٣ - ١٩٥](٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٨٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٣١٩.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٣١٩.

(٤) حلية الأولياء ٣/ ٣١٣.

◆ ثانياً: العناية بمسائل الاعتقاد:

قال عبدالملك بن جريج: رأيت عطاءً يطوف بالبيت، فقال لقائده: أمسكوا واحفظوا عني خمساً: القدر خيره وشره حُلوه ومرُّه من الله تعالى، ليس للعبد فيه مشيئةٌ ولا تفويضٌ، وأهل قبلتنا مؤمنون، حرامٌ دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، وقتال الفئة الباغية بالأيدي والنعال لا بالسلاح، والشهادة على الخوارج بالضلالة[١].

◆ ثالثاً: الدعوة إلى حفظ اللسان:

قال محمد بن سوقة: ألا أحدثكم بحديثٍ لعله ينفعكم؟ فإنه نفعني، قال لنا عطاء بن أبي رَباحٍ: يا بن أخي، إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعُدُّون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى أن يقرأ، أو أمراً بمعروفٍ، أو نهياً عن منكرٍ، أو تنطق في حاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها، أتنكرون: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١]، ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٧، ١٨]، أما يستحي أحدكم لو نشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه»[٢].

◆ رابعاً: تحقيق الوحدة ونبذ الخلاف والفرقة وعلمه بالواقع:

يقول أبو حنيفة: «لقيت عطاء بمكة فسألته عن شيء، فقال: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً؟ قلت: نعم، قال: فمن يدري أي الأصناف أنت؟ قلت: ممن لا يسب السلف، ويؤمن بالقدر، ولا يكفر أحداً بذنب، فقال لي عطاء: عرفت فالزم»[٣].

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٣١٢.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٣١٤.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ٣١٤.

◆ **خامساً: النصيحة لولاة الأمور والعفة عن أموالهم:**

قال الأصمعي رَحِمَهُ اللَّهُ: دخل عطاء بن أبي رباح على عبدالملك وهو جالس على السرير، وحوله الأشراف، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته، فلما بصر به عبدالملك، قام إليه، فسلم عليه، وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه، وقال: يا أبا محمد، حاجتك؟

قال: يا أمير المؤمنين! اتق الله في حرَم الله وحرَم رسوله، فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار، فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور، فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين، فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك، فلا تغفل عنهم، ولا تغلق دونهم بابك.

فقال له: أفعل.

ثم نهض وقام، فقبض عليه عبدالملك، وقال: يا أبا محمد! إنما سألتنا حوائج غيرك، وقد قضيناها، فما حاجتك؟

قال: ما لي إلى مخلوق حاجة، ثم خرج.

فقال عبدالملك: هذا - وأبيك - الشرفُ، هذا - وأبيك - السؤدد[1].

◆ **سادساً: حرصه على مصالح الناس وجرأته في طلب الحق:**

دخل عطاء بن أبي رباح على هشام بن عبدالملك، فرحب به وقال: ما حاجتك يا أبا محمد؟ وكان عنده أشراف الناس يتحدثون، فسكتوا، فذكره عطاء بأرزاق أهل الحرمين وأُعطياتهم..

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٨٤.

فقـال: نعم؛ يا غلام اكتب لأهل المدينة وأهل مكـة بعطاء أرزاقهم، ثم قال: يا أبا محمد هل من حاجة غيرها؟

فقـال: نعم، فذكره بأهل الحجاز وأهـل نجد وأهل الثغور، ففعل مثل ذلك، حتى ذكره بأهل الذمة أن لا يكلفوا ما لا يطيقون، فأجابه إلى ذلك.

ثم قال له في آخر ذلك: هل من حاجة غيرها؟

قـال: نعـم يا أميـر المؤمنين، اتـق الله في نفسـك، فإنك خلقت وحـدك، وتموت وحدك، وتحشر وحدك، وتحاسب وحدك، لا والله ما معك ممن ترى أحد..

قال: فأكب هشـام يبكي، وقام عطاء. فلما كان عند الباب إذا رجل قد تبعه بكيس ما ندري ما فيه، أدراهم أم دنانير؟ وقال: إن أمير المؤمنين قد أمر لك بهذا، فقال عطاء: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩]، ثـم خرج ولا والله ما شرب عندهم حسوة ماء فما فوقها(١).

◆ سابعاً: عدم القول على الله بلا علم:

قـال عبدالعزيز بن رفيع رَحِمَهُ اللهُ: «سـئل عطاء عن شـيء، فقـال: لا أدري، قيل: ألا تقول برأيك؟ قال: إني أستحيي من الله أن يدان في الأرض برأيي»(٢).

---

(١) المتفق والمفترق ٢/ ١٠٦٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/ ٨٦.

المبحث الخامس عشر

دعوة الإمام جعفر الصادق (تـ١٤٨هـ)

جعفر بن محمد بن علي بن أبي عبدالله الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولد سنة(٨٠هـ)، وعده الإمام الذهبي من التابعين وتوفي سنة (١٤٨هـ)[١].

قال الذهبي: «كان يغضب من الرافضة، ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر ظاهراً وباطناً، هذا لا ريب فيه، ولكن الرافضة قوم جهلة، قد هوى بهم الهوى في الهاوية، فبعداً لهم»[٢].

ويمكن بيان دعوة الإمام جعفر الصادق من خلال النقاط التالية:

المطلب الأول صفات الإمام جعفر الصادق الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الإمام جعفر الصادق.

---

(١) ينظر: حلية الأولياء٣/ ١٩٢، سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥.

المطلب الأول
صفات الإمام جعفر الصادق الدعوية

من أهم صفات الإمام جعفر الصادق: الجمع بين التوسيع على النفس والزهد في **الدنيا** فعن سفيان، قال: «دخلت على جعفر بن محمد، وعليه جبة خز دكناء، وكساء خز أيدجاني، فجعلت أنظر إليه تعجباً. فقال: ما لك يا ثوري؟ قلت: يا ابن رسول الله! ليس هذا من لباسك، ولا لباس آبائك. فقال: كان ذاك زماناً مقتراً، وكانوا يعملون على قدر إقتاره وإفقاره، وهذا زمان قد أسبل كل شيء فيه عزاليه. ثم حسر عن ردن جبته، فإذا فيها جبة صوف بيضاء، يقصر الذيل عن الذيل، وقال: لبسنا هذا لله، وهذا لكم، فما كان لله، أخفيناه، وما كان لكم، أبديناه»[1].

واهتم بالعلم وجمعه وأكثر من العلماء الكبار منهم: أبيه؛ أبي جعفر الباقر، وعبيد الله بن أبي رافع، وعروة بن الزبير، وعطاء بن أبي رباح وجده؛ القاسم بن محمد، ونافع العمري، ومحمد بن المنكدر، والزهري، ومسلم بن أبي مريم، وغيرهم، وليس هو بالمكثر إلا عن أبيه، ولذا كان هو وأبوه من جلة علماء المدينة.

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٩٣.

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الإمام جعفر الصادق

أولاً: حرصه على الدعوة وبالأخص دعوة أهله:

عن عمرو بن أبي المقدام، قال: «كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد، علمت أنه من سلالة النبيين، قد رأيته واقفاً عند الجمرة يقول: سلوني، سلوني»[(١)].

وعن صالح بن أبي الأسود: «سمعت جعفر بن محمد، يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي»[(٢)].

ثانياً: التحذير من الركون لغير الله والتذكير بمهمة العلماء:

عن هشام بن عباد، سمعت جعفر بن محمد يقول: «الفقهاء أمناء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين، فاتهموهم»[(٣)].

ثالثاً: ربط قلوب المدعوين بالله تعالى:

عن جعفر بن محمد، قال: «لما قال له سفيان: لا أقوم حتى تحدثني، قال: أما إني أحدثك، وما كثرة الحديث لك بخير، يا سفيان! إذا أنعم الله عليك بنعمة، فأحببت بقاءها ودوامها، فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله قال في كتابه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وإذا استبطأت الرزق، فأكثر من الاستغفار، فإن الله قال في كتابه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٣] الآية.

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال للجرجاني ٢/ ٣٥٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٥٧، تهذيب الكمال ٥/ ٥٧.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ٩٤.

يا سفيان! إذا حزبك أمر من السلطان، أو غيره، فأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها مفتاح الفرج، وكنز من كنوز الجنة»[١].

رابعاً: الدعوة إلى فضائل الأخلاق وحسن السلوك:

عن جعفر بن محمد: «إذا بلغك عن أخيك ما يسوؤك، فلا تغتم، فإنه إن كان كما يقول، كانت عقوبة عجلت، وإن كان على غير ما يقول، كانت حسنة لم تعملها»[٢].

عن عبدالله بن أبي يعفور، عن جعفر بن محمد قال: «بني الإنسان على خصال، فمما بني عليه أنه لا يبنى على الخيانة والكذب»[٣].

وعن يحيى بن الفرات: أن جعفراً الصادق، قال: «لا يتم المعروف إلا بثلاثة: بتعجيله، وتصغيره، وستره»[٤].

وعن عنبسة الخثعمي -وكان من الأخيار- سمعت جعفر بن محمد، يقول: «إياكم والخصومة في الدين، فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق»[٥].

وعن عائذ بن حبيب: قال جعفر بن محمد: «لا زاد أفضل من التقوى، ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدو أضر من الجهل، ولا داء أدوأ من الكذب»[٦].

خامساً: شمولية دعوة جعفر الصادق:

قال الأصمعي: قال جعفر بن محمد: «الصلاة قربان كل تقي، والحج جهاد كل ضعيف، وزكاة البدن الصيام، والداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر، واستنزلوا الرزق

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٩٣.
(٢) حلية الأولياء ٣/ ٩٨.
(٣) حلية الأولياء ٣/ ٩٤.
(٤) حلية الأولياء ٣/ ٩٨.
(٥) حلية الأولياء ٣/ ٩٨.
(٦) حلية الأولياء ٣/ ٩٦.

بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة، وما عال من اقتصد، والتقدير نصف العيش، وقلة العيال أحد اليسارين، ومن أحزن والديه، فقد عقهما، ومن ضرب بيده على فخذه عند مصيبة، فقد حبط أجره، والصنيعة لا تكون صنيعة إلا عند ذي حسب أو دين، والله ينزل الصبر على قدر المصيبة، وينزل الرزق على قدر المؤنة، ومن قدر معيشته، رزقه الله، ومن بذر معيشته، حرمه الله»[(١)].

وعن رجل، عن بعض أصحاب جعفر بن محمد، قال: رأيت جعفراً يوصي موسى يعني ابنه: «يا بني! من قنع بما قسم له، استغنى، ومن مد عينيه إلى ما في يد غيره، مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم له، اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة غيره، استعظم زلة نفسه، ومن كشف حجاب غيره، انكشفت عورته، ومن سل سيف البغي، قتل به، ومن احتفر بئراً لأخيه، أوقعه الله فيه، ومن داخل السفهاء حقَّر، ومن خالط العلماء وقرَّ، ومن دخل مداخل السوء، اتُهم. يا بني! إياك أن تزري بالرجال، فيزرى بك، وإياك والدخول فيما لا يعنيك، فتذل لذلك. يا بني! قل الحق لك وعليك، تستشار من بين أقربائك، كن للقرآن تالياً، وللإسلام فاشياً، وللمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سكت عنك مبتدئاً، ولمن سألك معطياً، وإياك والنميمة، فإنها تزرع الشحناء في القلوب، وإياك والتعرض لعيوب الناس، فمنزلة المتعرض لعيوب الناس، كمنزلة الهدف، إذا طلبت الجود، فعليك بمعادنه، فإن للجود معادن، وللمعادن أصولاً، وللأصول فروعاً، وللفروع ثمراً، ولا يطيب ثمر إلا بفرع، ولا فرع إلا بأصل، ولا أصل إلا بمعدن طيب، زر الأخيار، ولا تزر الفجار، فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها، وشجرة لا يخضر ورقها، وأرض لا يظهر عشبها»[(٢)].

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٩٤.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٩٥- ٩٦.

الفصل الثاني

نماذج الدعوة في حياة أتباع التابعين

وهم على النحو التالي:

المبحث الأول: دعوة الإمام عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي (تـ١٥٧هـ).

المبحث الثاني: دعوة الإمام سفيان الثوري (تـ١٦١هـ).

المبحث الثالث: دعوة الإمام الليث بن سعد (تـ١٧٥هـ).

المبحث الرابع: دعوة الإمام عبدالله بن المبارك (تـ١٨١هـ).

المبحث الخامس: دعوة الإمام أبي يوسف صاحب أبي حنيفة (تـ١٨١هـ).

المبحث السادس: دعوة الإمام سفيان بن عيينة (تـ١٩٨هـ).

المبحث الأول

دعوة الإمام عبدالرحمن الأوزاعي (ت ١٥٧هـ)

عبدالرحمـن بن عمرو بن يحمد، شَـيخ الإِسـلام، وعالِم أَهلِ الشـامِ، أَبو عمرٍو الأوزاعي. ولِد في بعلبك سنةَ ٨٨هـ، ويعد الإِمِام الأوزاعي أحد الفقهَاء الأعلام الذين أثرُوا في مَسِيرة الفقه الإِسلَامِي، خَاصة في بلادِ الشامِ والأندلس. توفي سنة (١٥٧ هـ)[١].

قال الحافظ ابن كثير: «وقد بقي أهل دمشق وما حولها من البلاد على مذهبه نحواً من مائتين وعشرين سنة»[٢].

المطلب الأول صفات الإمام الأوزاعي الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الأوزاعي.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٠٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٠/ ١١٥.

المطلب الأول

صفات الإمام الأوزاعي الدعوية:

أولاً: التآلف بينه وبين إخوانه الدعاة:

عن الوليد بن مسلم، قال: حدثنا الأوزاعي: كتب إلي قتادة من البصرة: «إن كانت الدار فرقت بيننا وبينك، فإن ألفة الإسلام بين أهلها جامعة»[(١)].

ثانياً: التعفف عما فيما في أيدي الناس:

عن سعيد بن سالم صاحب الأوزاعي قال: قدم أبو مرحوم من مكة على الأوزاعي، فأهدى له طرائف، فقال له: «إن شئت، قبلت منك، ولم تسمع مني حرفاً، وإن شئت، فضم هديتك، واسمع»[(٢)].

ثالثاً: العناية بسمت الدعاة:

عن موسى بن أعين: أن الأوزاعي قال: «كنا نضحك ونمزح، فلما صرنا يقتدى بنا، خشيت أن لا يسعنا التبسم»[(٣)].

رابعاً: حسن الخلق والأدب:

قال العباس بن الوليد: فما رأيت أبي يتعجب من شيء في الدنيا، تعجبه من الأوزاعي، فكان يقول: سبحانك، تفعل ما تشاء! كان الأوزاعي يتيماً فقيراً في حجر أمه، تنقله من بلد إلى بلد، وقد جرى حكمك فيه أن بلغته حيث رأيته، يا بني! عجزت

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٢١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٣٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٣٢. تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ١٣٦.

الملـوك أن تؤدب نفسـها وأولادها أدب الأوزاعي في نفسـه، ما سـمعت منه كلمة قط فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ولا رأيته ضاحكاً قط حتى يقهقه، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد، أقول في نفسي: أترى في المجلس قلب لم يبك؟!(١).

⌑ خامساً: حرصه على السنة والأثر في التبليغ:

وعن محمد بن عبدالوهاب، قال: كنا عند أبي إسحاق الفزاري، فذكر الأوزاعي، فقال: «ذاك رجل كان شـأنه عجباً، كان يسـأل عن الشيء عندنا فيه الأثر، فيرد -والله- الجواب كما هو في الأثر، لا يقدم منه ولا يؤخر»(٢).

⌑ سادساً: النباهة والفطنة والجدية:

وعن الأوزاعي قال: مات أبي وأنا صغير، فذهبت ألعب مع الغلمان، فمر بنا فلان -وذكر شيخاً جليلاً من العرب- ففر الصبيان حين رأوه، وثبت أنا، فقال: ابن من أنت؟ فأخبرته، فقال: يا ابن أخي! يرحم الله أباك. فذهب بي إلى بيته، فكنت معه حتى بلغت، فألحقني في الديوان، وضرب علينا بعثاً إلى اليمامة، فلما قدمناها، ودخلنا مسجدها الجامع، وخرجنا، قـال لـي رجل من أصحابنـا: رأيت يحيى بن أبـي كثير معجباً بك، يقول: مـا رأيت في هذا البعث أهدى من هذا الشاب! قال: فجالسته، فكتبت عنه أربعة عشر كتاباً، أو ثلاثة عشر(٣).

⌑ سابعاً: قبوله النصيحة:

وعن محمد بن أيوب بن سويد، عن أبيه: أن الأوزاعي خرج في بعث اليمامة، فأتى مسجدها، فصلى، وكان يحيى بن أبي كثير قريباً منه، فجعل ينظر إلى صلاته، فأعجبته، ثـم إنه جلس إليه، وسـأله عن بلده، وغيـر ذلك، فترك الأوزاعي الديـوان، وأقام عنده

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ١١١.

(٢) سير أعلام النبلاء٦/ ٥٥٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ١١٠.

مدة يكتب عنه، فقال له: ينبغي لك أن تبادر البصرة لعلك تدرك الحسن وابن سيرين، فتأخذ عنهما. فانطلق إليهما، فوجد الحسن قد مات، وابن سيرين حي[١].

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الأوزاعي

أولاً: التنبيه على العناية باختيار العلماء:

فقد ورد عن الوليد أنه قال: كان الأوزاعي يقول: «كان هذا العلم كريماً، يتلاقاه الرجال بينهم، فلما دخل في الكتب، دخل فيه غير أهله»[٢].

وعن محمد بن الأوزاعي، قال: قال لي أبي: «يا بني! لو كنا نقبل من الناس كل ما يعرضون علينا، لأوشك أن نهون عليهم»[٣].

قال بشر بن بكر التنيسي: قيل للأوزاعي: «يا أبا عمرو! الرجل يسمع الحديث عن النبي ﷺ فيه لحن، أيقيمه على عربيته؟ قال: نعم، إن رسول الله ﷺ لا يتكلم إلا بعربي»[٤].

وقال الأوزاعي: «من أخذ بنوادر العلماء، خرج من الإسلام»[٥].

ثانياً: التحذير من عدم العمل بالعلم وتحريف العلم:

قال الوليد بن مزيد: سمعت الأوزاعي يقول: كان يقال: «ويل للمتفقهين لغير العبادة، والمستحلين الحرمات بالشبهات»[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ١١١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ١١٤.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ١٤٣، الثقات لابن حبان ٩/ ٤٦، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٢٠.

(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ١١٥.

(٥) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٢٥، تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ١٣٥.

(٦) اقتضاء العلم العمل للطيب البغدادي ص١١٩، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٢٦.

ثالثاً: الدعوة إلى التزام السنة والتحذير من البدع:

عن العباس بن الوليد: حدثنا أبي: سمعت الأوزاعي يقول: «عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي، وأنت على طريق مستقيم»[١].

وعن إسحاق الفزاري، قال: قال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم، ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول ولا يستقيم القول إلا بالعمل ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنية موافقة للسنة»[٢].

قال بقية بن الوليد: قال لي الأوزاعي: «يا بقية، لا تذكر أحداً من أصحاب نبيك إلا بخير، يا بقية، العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ وما لم يجئ عنهم، فليس بعلم»[٣].

وعن الأوزاعي، قال: «ما ابتدع رجل بدعة، إلا سلب الورع»[٤].

وقال: «إذا ظهرت البدع ولم ينكرها أهل العلم صارت سُنَّة»[٥].

وقال: «إنكم لا ترجعون عن بدعة إلَّا تعلقتم بأخرى، هي أضرُّ عليكم منها»[٦].

رابعاً: الدعوة إلى تزكية النفوس:

عن الوليد بن مزيد: سئل الأوزاعي عن الخشوع في الصلاة؟ قال: «غض البصر،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٢٠.
(٢) حلية الأولياء ٦/ ١٤٣.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٢٠.
(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٢٥، تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ١٣٥.
(٥) التعديل والتجريح للباجي المالكي ١/ ٤٦.
(٦) ذم الكلام للهروي ٩١٢.

وخفض الجناح، ولين القلب، وهو الحُزْنُ والخوفُ»[١].

وقال الأوزاعي: «ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يوماً فيوماً وساعة فساعة، ولا تمر به ساعة لم يذكر الله تعالى فيها إلا تقطعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويوم مع يوم وليلة مع ليلة»[٢].

وعنه: «من أكثر ذكر الموت، كفاه اليسير، ومن عرف أن منطقه من عمله، قل كلامه»[٣].

قال الأوزاعي: «من أطال قيام الليل، هون الله عليه وقوف يوم القيامة»[٤].

وعن الوليد، أخبرني أبي قال: سمعت الأوزاعي، يقول: «بلغني أنه ما وعظ رجل قوماً لا يريد به وجه الله إلا زلت عنه القلوب كما زل الماء عن الصفا»[٥].

وعن الوليد قال: سألت الأوزاعي: من الأبله؟ قال: «العمي عن الشر، البصير بالخير»[٦].

وروى أبو صالح كاتب الليث: عن الهقل بن زياد، عن الأوزاعي: أنه وعظ، فقال في موعظته: «أيها الناس! تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، فإنكم في دار؛ الثواء فيها قليل، وأنتم مرتحلون، وخلائف بعد القرون، الذين استقالوا من الدنيا زهرتها، كانوا أطول منكم أعماراً، وأجد أجساماً،

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ١١٧. البداية والنهاية لابن كثير ١٠/ ١١٩.
(٢) حلية الأولياء ٦/ ١٤١.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٢٢.
(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ١١٩.
(٥) حلية الأولياء ٦/ ١٤١.
(٦) سير أعلام النبلاء ٧/ ١١٦.

وأعظم آثاراً، فجددوا الجبال، وجابوا الصخور، ونقبوا في البلاد، مؤيدين ببطش شديد، وأجسام كالعماد، فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مدتهم، وعفت آثارهم، وأخوت منازلهم، وأنست ذكرهم: فما تحس منهم من أحد، ولا تسمع لهم ركزاً، كانوا بلهو الأمل آمنين، ولميقات يوم غافلين، ولصباح قوم نادمين، ثم إنكم قد علمتم ما نزل بساحتهم بياتاً من عقوبة الله، فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين، وأصبح الباقون ينظرون في آثار نقمه، وزوال نعمه، ومساكن خاوية، فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم، وعبرة لمن يخشى، وأصبحتم في أجل منقوص، ودنيا مقبوضة، في زمان قد ولى عفوه، وذهب رخاؤه، فلم يبق منه إلا حمة شر، وصبابة كدر، وأهاويل غير، وأرسال فتن، ورذالة خلف»[(١)].

خامساً: التحذير من الجدال العقيم:

قال الوليد بن مزيد: سمعت الأوزاعي يقول: «إذا أراد الله بقوم شراً، فتح عليهم الجدل، ومنعهم العمل»[(٢)].

وعن أبي أيوب الزنادي، عن الأوزاعي؛ قال: «العافية عشرة أجزاء: تسعة أجزاء منها صمت، وجزء منها اعتزالك عن الناس»[(٣)].

سادساً: الدعوة إلى كثرة العمل وقلة الكلام:

عن الوليد بن مزيد: سمعت الأوزاعي يقول: «إن المؤمن يقول قليلاً، ويعمل كثيراً، وإن المنافق يتكلم كثيراً، ويعمل قليلاً»[(٤)].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ١١٧.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ٢/ ١٨٨، سير أعلام النبلاء ٧/ ١٢١.

(٣) العزلة والانفراد لابن أبي الدنيا ص٦٩.

(٤) حلية الأولياء ٦/ ١٤٢. سير أعلام النبلاء ٧/ ١٢٥.

المبحث الثاني

دعوة الإمام سفيان الثوري (ت١٦١هـ)

هو: سـفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله، أمير المؤمنين في الحديث. سيد أهل زمانه في العلم والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، وسكن مكة والمدينة. ولد سنة (٩٧)، وتوفي بالبصرة سنة (١٦١هـ)[١].

ويمكن إبراز جوانب معالم دعوة هذا الإمام من خلال النقاط التالية:

المطلب الأول صفات الإمام سفيان الثوري الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة سفيان الثوري

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٣٧١، حلية الأولياء: ٦/ ٣٥٦، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٢٩.

المطلب الأول

صفات الإمام سفيان الثوري رحمه الله الدعوية:

○ أولاً: تفوقه وتقدمه في العلم:

عن المبارك بن سعيد، قال: رأيت عاصم بن أبي النجود يجيء إلى سفيان الثوري، يستفتيه، ويقول: يا سفيان! أتيتنا صغيراً، وأتيناك كبيراً[١].

وقال الفريابي: زارني ابن المبارك، فقال: أخرج إلي حديث الثوري.

فأخرجته إليه، فجعل يبكي حتى أخضل لحيته، وقال: رحمه الله، ما أرى أني أرى مثله أبداً[٢].

○ ثانياً: قبول النصيحة:

قال زيد بن أبي الزرقاء: كان المعافى يعظ الثوري، يقول: يا أبا عبدالله! ما هذا المزاح؟ ليس هذا من فعل العلماء، وسفيان يقبل منه[٣].

○ ثالثاً: الحرص على العمل بالسنة:

قال عبدالرحمن بن مهدي: «سمعت سفيان يقول: ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث قط، إلا عملت به ولو مرة»[٤].

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ٨٤. تاريخ بغداد ١٠/ ٢١٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٠.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٠.
(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٢.

رابعاً: الخوف والخشية من الله وتذكر الآخرة:

قال قبيصة: «ما جلست مع سفيان مجلساً إلا ذكرت الموت، ما رأيت أحداً كان أكثر ذكراً للموت منه»(١).

وقال: قال لي سفيان بعد العشاء: «ناولني المطهرة أتوضأ، فناولته، فأخذها بيمينه، ووضع يساره على خده، فبقي مفكراً، ونمت، ثم قمت وقت الفجر، فإذا المطهرة في يده كما هي، فقلت: هذا الفجر قد طلع. فقال: لم أزل منذ ناولتني المطهرة أتفكر في الآخرة، حتى الساعة»(٢).

وقال أحمد بن يونس: سمعت الثوري ما لا أحصيه، يقول: «اللهم سلم سلم، اللهم سلمنا، وارزقنا العافية في الدنيا والآخرة»(٣).

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة سفيان الثوري

أولاً: وصية جامعة تبرز معالم منهجية في دعوة سفيان الثوري:

كتب سفيان إلى عباد بن عباد: «أما بعد: فإنك في زمان كان أصحاب النبي ﷺ يتعوذون أن يدركوه ولهم من العلم ما ليس لنا، ولهم من القدم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركناه على قلة علم، وقلة صبر، وقلة أعوان على الخير، وفساد من الناس، وكدر من الدنيا.

فعليك بالأمر الأول والتمسك به.

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٠.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٥٣. سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤١.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٣.

وعليك بالخمول فإن هذا زمن خمول.

وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس، فقد كان الناس إذا التقوا ينتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذاك، والنجاة في تركهم فيما نرى.

وإياك والأمراء أن تدنو منهم وتخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تخدع فيقال لك تشفع وتدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة فإن ذلك خديعة إبليس، وإنما اتخذها فجار القراء سلماً.

وكان يقال: اتقوا فتنة العابد الجاهل، والعالم الفاجر، فإن فتنتها فتنة لكل مفتون.

وما لقيت من المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم فيه.

وإياك أن تكون كمن يحب أن يعمل بقوله أو ينشر قوله أو يسمع من قوله، فإذا ترك ذاك منه عرف فيه.

وإياك وحب الرياسة فإن الرجل تكون الرياسة، أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، فتفقد نفسك واعمل بنية، واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت. والسلام»[(١)].

➢ ثانياً: الدعوة إلى كسب المعاش والترفع عما في أيدي الناس:

عن عبدالرحيم بن سليمان الرازي قال: «كنا عند سفيان الثوري، فكان إذا أتاه الرجل يطلب العلم؛ سأله هل لك وجه معيشة؟ فإن أخبره أنه في كفاية أمره بطلب العلم. وإن لم يكن في كفاية أمره بطلب المعاش»[(٢)].

وروي عن الثوري قال: «أحب أن يكون صاحب العلم في كفاية، فإن الآفات إليه أسرع، والألسنة إليه أسرع»[(٣)].

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٧٦.

(٢) الزهد لابن أبي حاتم ص ٦٦. والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٩٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٤، تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٢٤٣.

وروى موسى بن العلاء، عن حذيفة المرعشي، قال: قال سفيان: «لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها، أحب إلي من أن أحتاج إلى الناس»(١).

وقال رواد بن الجراح: سمعت الثوري يقول: «كان المال فيما مضى يكره، فأما اليوم، فهو ترس المؤمن»(٢).

وقال عبدالله بن محمد الباهلي: جاء رجل إلى الثوري يشاوره في الحج. قال: «لا تصحب من يكرم عليك، فإن ساويته في النفقة أضر بك، وإن تفضل عليك استذلك»(٣).

ونظر إليه رجل وفي يده دنانير، فقال: يا أبا عبدالله! تمسك هذه الدنانير؟! قال: «اسكت، فلولاها لتمندل بنا الملوك»(٤).

وعن سفيان: «ما وضع رجل يده في قصعة رجل، إلا ذل له»(٥).

ثالثاً: العناية بدعوة الأهل والحث على ذلك:

عن سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «ينبغي للرجل أن يُكْرِه ولده على العلم، فإنه مسؤول عنه»(٦).

رابعاً: العناية بالعلم والحث على مصاحبة المتقنين من العلماء:

يقول يحيى بن أبي بكير: قيل لسفيان الثوري: إلى متى تطلب الحديث؟ قال:

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٨١، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤١.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٨١، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤١.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٨١، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤١.

(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤١.

(٥) حلية الأولياء ٧/ ٥٩، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٣.

(٦) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٣.

«وأي خير أنا فيه خير من الحديث، فأصير إليه؟ إن الحديث خير علوم الدنيا»[١].

يقول يحيى القطان: «ما رأيت رجلاً أفضل من سفيان، لولا الحديث كان يصلي ما بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، فإذا سمع مذاكرة الحديث، ترك الصلاة وجاء»[٢].

عن شعيب بن حرب، قال: إني لأحسب أنه يجاء غداً بسفيان حجة من الله على خلقه، يقول لهم: لم تدركوا نبيكم، قد رأيتم سفيان[٣].

وقال شعبة: «ساد سفيان الناس بالورع والعلم»، وقوله: «سفيان أمير المؤمنين في الحديث»[٤].

قال سفيان الثوري: «خذوا التفسير من أربعة: مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والضحاك»[٥]، وقال عثمان بن زائدة: «قلت لسفيان الثوري: ممن نسمع؟ قال: عليك بابن عيينة، وزائدة»[٦].

➢ خامساً: الدعوة إلى إخلاص العمل لله، والعمل للآخرة:

قال سفيان الثوري: «ما نعلم شيئاً أفضل من طلب العلم بنية»[٧].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٣.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٦٣، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٨.

(٥) تاريخ دمشق ١٦/ ١٢، سير أعلام النبلاء٤/ ٤٥١.

(٦) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦٢.

(٧) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٤.

وقال: «إن أقبح الرعية أن يطلب الدنيا بعمل الآخرة»[١].

وقال: «ما عملٌ أفضل من الحديث، إذا صحت النية فيه»[٢].

قال: «ما عالجت شيئاً أشد عليَّ من نفسي، مرةً عليَّ، ومرة لي»[٣].

وقال: «طلبت العلم، فلم يكن لي نية، ثم رزقني الله النية»[٤]. أي أنه جاهد نفسه حتى خلُصت نيته لله فيه.

➢ سادساً: عنايته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال أبو هشام الرفاعي: سمعت يحيى بن يمان، عن سفيان، قال: «إني لأرى الشيء يجب علي أن آمر فيه وأنهى عنه، فلا أفعل، فأبول دماً»[٥].

قال شجاع بن الوليد: كنت أحج مع سفيان، فما يكاد لسانه يفتر من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ذاهباً وراجعاً[٦].

➢ سابعاً: الدعوة إلى المفهوم الحقيقي للزهد في الدنيا:

قال أبو هشام: حدثنا وكيع، سمعت سفيان يقول: «ليس الزهد بأكل الغليظ، ولبس الخشن، ولكنه قصر الأمل، وارتقاب الموت»[٧].

وقال يحيى بن يمان: سمعت سفيان يقول: «المال داء هذه الأمة، والعالم طبيب هذه الأمة، فإذا جر العالم الداء إلى نفسه، فمتى يبرئ الناس»[٨]؟

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٦.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٦٢. سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٢.

(٥) حلية الأولياء ٧/ ١٤. سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٣،

(٦) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٩.

(٧) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٣.

(٨) حلية الأولياء: ٦/ ٣٦١. سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٣.

وعن الخريبي: عن سفيان، قال: «احذر سخط الله في ثلاث: احذر أن تقصر فيما أمرك، واحذر أن يراك وأنت لا ترضى بما قسم لك، وأن تطلب شيئاً من الدنيا فلا تجده، أن تسخط على ربك»(١).

وقال خالد بن نزار الأيلي: قال سفيان: «الزهد زهدان: زهد فريضة، وزهد نافلة. فالفرض: أن تدع الفخر والكبر، والعلو، والرياء، والسمعة، والتزين للناس. وأما زهد النافلة: فأن تدع ما أعطاك الله من الحلال، فإذا تركت شيئاً من ذلك، صار فريضة عليك ألا تتركه إلا لله»(٢).

وقال مؤمل: دخلت على سفيان وهو يأكل طباهج ببيض، فكلمته في ذلك، فقال: «لم آمركم أن لا تأكلوا طيباً، اكتسبوا طيباً وكلوا»(٣).

وقال ابن المبارك: عن سفيان قال: «ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة، والرخاء مصيبة»(٤).

ثامناً: العناية بتعليم طلاب العلم:

قال ابن مهدي: قال لي سفيان: «لو كانت كتبي عندي لأفدتك علماً، كتبي عند عجوز بالنيل»(٥).

وعن ابن حميد: سمعت مهران الرازي يقول: «كتبت عن سفيان الثوري أصنافه، فضاع مني كتاب الديات، فذكرت ذلك له، فقال: إذا وجدتني خالياً، فاذكر لي حتى

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٤.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٤.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٧.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٥٥، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٦.
(٥) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٦.

أمله عليك. فحج، فلما دخل مكة، طاف بالبيت، وسعى، ثم اضطجع، فذكرته، فجعل يملي علي الكتاب باباً في إثر باب، حتى أملاه جميعه من حفظه»[١].

وعن عبدالرزاق: سمعت سفيان يقول: «سلوني عن علم القرآن والمناسك، فإني عالم بهما»[٢].

وقال يحيى القطان: «مات ابن أبي خالد، وأنا بالكوفة، فجلس إلى جنبي سفيان ننتظر الجنازة، فقال: يا يحيى! خذ حتى أحدثك عن إسماعيل بعشرة أحاديث، لم تسمع منها بشيء. فحدثني بعشرة، وكنت بمكة وبها الأوزاعي، فلقيني سفيان الثوري على الصفا، فقال: يا يحيى! خرج الأوزاعي الليلة؟ قلت: نعم. فقال: اجلس، لا تبرح حتى أحدثك عنه بعشرة لم تسمع منها بشيء. وأي شيء سمعت أنا منه؟ فلم يدعني حتى حدثني عنه بعشرة أحاديث، لم أسمع منها بواحد»[٣].

وقال عبدالرزاق: «رأيت سفيان بصنعاء يملي على صبي، ويستملي له»[٤].

ويحكي سفيان عن نفسه: «لو لم يأتني أصحاب الحديث، لأتيتهم»[٥].

➢ تاسعاً: التحذير من القول على الله بلا علم:

قال الأشجعي: «سمعت سفيان يقول: لو هم رجل أن يكذب في الحديث وهو في بيت في جوف بيت، لأظهر الله عليه»[٦].

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٧.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٧.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٨.
(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٦.
(٥) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٧.
(٦) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٨٤.

وقال أبو داوود: سمعت الثوري يقول: «ما أخاف على شيء أن يدخلني النار، إلا الحديث»[(١)].

وقال زيد بن الحباب: سمعت سفيان يقول: «إن قلت: إني أحدثكم كما سمعت، فلا تصدقوني»[(٢)].

وعن سفيان، قال: «وددت أني قرأت القرآن ووقفت عنده، لم أتجاوزه إلى غيره»[(٣)].

◄ عاشراً: التحذير من كثرة العلم من غير عمل ولا دعوة:

قال سفيان: «من يزدد علما يزدد وجعاً، ولو لم أعلم كان أيسر لحزني»[(٤)].

وعنه، قال: «وددت أن علمي نسخ من صدري، ألست أريد أن أسأل غداً عن كل حديث رويته: أيش أردت به؟»[(٥)].

وقال قال سفيان: «زينوا العلم والحديث بأنفسكم، ولا تتزينوا به»[(٦)].

◄ الحادي عشر: التحذير من الشهرة وحب الرئاسة:

عن ابن المبارك قال: قال لي سفيان: «إياك والشهرة، فما أتيت أحداً إلا وقد نهى عن الشهرة»[(٧)].

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٦، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٥.
(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٧٠، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٦.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٥.
(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٥.
(٥) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٥.
(٦) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٤.
(٧) حلية الأولياء ٧/ ٢٣. سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٠.

وعن يوسف بن أسباط، قال: سمعت سفيان يقول: «ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع الرئاسة حامى عليها، وعادى»(١).

الثاني عشر: التحذير من البدع وأهلها:

قال سفيان الثوري: «من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة -وهو يعلم- خرج من عصمة الله، ووكل إلى نفسه»(٢).

وقال: «من سمع ببدعة، فلا يحكها لجلسائه، لا يلقها في قلوبهم»(٣).

قال الذهبي تعليقاً على قول سفيان: «أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة».

الثالث عشر: توجيهات إيمانية تربوية:

عن يعلى بن عبيد، قال سفيان: «لو كان معكم من يرفع حديثكم إلى السلطان، أكنتم تتكلمون بشيء؟ قلنا: لا. قال: فإن معكم من يرفع الحديث»(٤).

الرابع عشر: العناية بدعوة الشباب:

فعن سفيان الثوري، قال: «يا معشر الشباب تعجلوا بركة هذا العلم فإنكم لا تدرون لعلكم لا تبلغون ما تؤملون منه ليفيد بعضكم بعضاً»(٥).

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٩، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٢.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٣٣، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦١.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦١.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٦٩، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٨.
(٥) حلية الأولياء ٦/ ٣٧٠.

المبحث الثالث

دعوة الإمام الليث بن سعد (تـ١٧٥هـ)

هـو: الليـث بن سـعْد بـن عبدالرحمن المصري شـيخ الإِسـلامِ الإِمَـام الحَافظ العالِـم أَبُو الحارث، ولد بمصر سـنة (٩٤)، وتوفي سـنة (١٧٥)، فقيه ومحدث وإمام أهل مصر في زمانه[١].

يمكن بيان معالم دعوة الليث بن سعد في النقاط التالية:

المطلب الأول صفات الإمام الليث بن سعد الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الليث بن سعد.

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٥١٧، حلية الأولياء: ٧/ ٣١٨، وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٣٦.

المطلب الأول

صفات الإمام الليث بن سعد الدعوية:

أولاً: سعة العلم:

لقد شهد الكثير من كبار العلماء والفقهاء للإمام الليث بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنبوغه وكثرة علمه وفقهه؛ فقال الشافعي: «الليث بن سعد أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به»[(١)]. وقال الفضل بن زياد: «قال أحمد: ليث كثير العلم، صحيح الحديث»[(٢)].

قال يعقوب بن داوود وزير الخليفة المهدي: قال لي أمير المؤمنين المهدي لما قدم اللَّيْث العراق: الزم هذا الشيخ؛ فقد ثبت عندي أنه لم يبقَ أحدٌ أعلم بما حمل منه[(٣)].

قال اللَّيْث بن سعدٍ: لما ودعت الخليفة أبا جعفر المنصور ببيت المقدس، قال: أعجبني ما رأيت من شدة عقلك، والحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلك[(٤)].

قال العلاء بن كثير: الليث بن سعد سيدنا وإمامنا وعالمنا»[(٥)].

ثانياً: الكرم والسخاء:

فمع كثرة علمه وفقهه وورعه كان الليث بن سعد كريماً معطاءً، حتى عُرف بهذه

---

(١) طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها١/ ٤٠٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢١٤.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٥٢٤.

(٤) المعرفة والتاريخ ـ ليعقوب بن سفيان الفسوي ١/ ١٦٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢١٧.

الصفة وصارت من سجاياه التي لا تنفك عنه بحال من الأحوال. ومن ذلك:

عن يحيى بن بكير، قال: «وصل الليث بن سعد ثلاثة أنفس بثلاثة آلاف دينار، احترقت دار ابن لهيعة، فبعث إليه بألف دينار، وحج فأهدى إليه مالك بن أنس رطباً على طبق فرد إليه على الطبق ألف دينار، ووصل منصور بن عمار القاضي بألف دينار، وقال: لا تسمع بهذا ابني فتهون عليه، فبلغ ذلك شعيب بن الليث، فوصله بألف دينار إلا ديناراً، وقال: إنما نقصتك هذا الدينار لئلا أساوي الشيخ في عطيته»[١].

وعن قتيبة بن سعيد قال: «قدم منصور بن عمار على الليث فوصله بألف دينار واحترق بيت بن لهيعة فوصله بألف دينار ووصل مالك بن أنس بألف دينار وكساني قميص سندس فهو عندي»[٢].

وعن أسد بن موسى قال: «كان عبدالله بن علي يطلب بني أمية فيقتلهم، قال: فدخلت مصر في هيئة رثة، فأتيت الليث، فلما فرغت من المجلس، تبعني خادم له بمائة دينار، وكان في حزتي[٣] هميان فيه ألف دينار، فأخرجتها، فقلت: أنا في غنى، استأذن لي على الشيخ، فاستأذن، فدخلت، وأخبرته بنسبي واعتذرت من الرد، فقال: هي صلة. قلت: أكره أن أعود نفسي. قال: ادفعها إلى من ترى من أصحاب الحديث»[٤].

وعن حرملة قال: «كان الليث بن سعد يصل مالكاً بمائة دينار في السنة، فكتب مالك إليه: علي دين. فبعث إليه بخمس مائة دينار، فسمعت ابن وهب يقول: كتب مالك إلى

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٢٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ١٥٢.

(٣) الحزة بضم الحاء: الحجزة، وهي موضع شد الأزار والسراويل.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ١٥٨ حلية الأولياء ٧/ ٣٢٢.

الليث: إني أريد أن أدخل بنتي على زوجها، فأحب أن تبعث لي بشيء من عصفر. فبعث إليه بثلاثين حملاً عصفراً، فباع منه بخمس مائة دينار، وبقي عنده فضلة»[(١)].

عن أبي صالح كاتب الليث، قال: «كنا على باب مالك، فامتنع عن الحديث، فقلت: ما يشبه هذا صاحبنا؟ قال: فسمعها مالك، فأدخلنا، وقال: من صاحبكم؟ قلت: الليث. قال: تشبهونا برجل كتبت إليه في قليل عصفر، نصبغ به ثياب صبياننا، فأنفذ منه ما بعنا فضلته بألف دينار»[(٢)].

وعن عبدالله بن صالح، قال: «صحبت الليث، عشرين سنة لا يتغدى، ولا يتعشى وحده إلا مع الناس، وكان لا يأكل اللحم إلا أن يمرض»[(٣)].

وعن سعيد الآدم، قال: «مررت بالليث بن سعد، فتنحنح لي، فرجعت إليه، فقال لي: يا سعيد، خذ هذا القنداق[(٤)]، فاكتب لي فيه من يلزم المسجد، ممن لا بضاعة له ولا غلة. فقلت: جزاك الله خيراً يا أبا الحارث. وأخذت منه القنداق، ثم صرت إلى المنزل، فلما صليت، أوقدت السراج، وكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قلت: فلان بن فلان. ثم بدرتني نفسي، فقلت: فلان بن فلان. قال: فبينا أنا على ذلك، إذ أتاني آت، فقال: ها الله يا سعيد، تأتي إلى قوم عاملوا الله سراً، فتكشفهم لآدمي؟! مات الليث، ومات شعيب، أليس مرجعهم إلى الله الذي عاملوه؟ فقمت ولم أكتب شيئاً، فلما أصبحت، أتيت الليث، فتهلل وجهه، فناولته القنداق، فنشره، فما رأى فيه غير: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: ما الخبر؟ فأخبرته بصدق عما كان، فصاح صيحة،

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣١٩، وانظر: وتاريخ بغداد ١٣/ ٧، ٨، ووفيات الأعيان ٤/ ١٣٠.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٣١٩، سير أعلام النبلاء ٨/ ١٥٧.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٣٢١.

(٤) القنداق: صحيفة الحساب.

فاجتمع عليه الناس من الحلق، فسألوه، فقال: ليس إلا خير. ثم أقبل علي، فقال: يا سعيد، تبينتها وحرمتها، صدقت، مات الليث أليس مرجعهم إلى الله!»[(١)].

◈ ثالثاً: حب الناس له وتأثرهم به:

قال خالد بن عبدالسلام الصدفي: «شهدت جنازة الليث بن سعد مع والدي، فما رأيت جنازة قَطُّ أعظم منها، رأيت الناس كلهم عليهم الحزن، وهم يعزِّي بعضهم بعضاً، ويبكون؛ فقلت: يا أبتِ، كأنَّ كل واحد من الناس صاحب هذه الجنازة. فقال: يا بُنيَّ، لا ترى مثله أبداً»[(٢)].

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الليث بن سعد

◈ أولاً: البعد عن جدال أصحاب الهوى:

فقد كان منهجه ترك الجدال الذي لا ينفع، فعن سعيد بن أبي مريم، سمعت ليث بن سعد يقول: «بلغت الثمانين، وما نازعت صاحب هوى قط»[(٣)].

◈ ثانياً: اهتمامه بتثبيت المعلومة لدى المدعويين:

قال أبو صالح: «كان الليث يقرأ بالعراق من فوق علية على أصحاب الحديث، والكتاب بيدي، فإذا فرغ، رميت به إليهم، فنسخوه»[(٤)].

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ١٣/ ١١، ١٢، وتهذيب الكمال ١١٥٣. سير أعلام النبلاء ٨/ ١٥٧.

(٢) تاريخ دمشق ٥٠/ ٣٧٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ١٤٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ١٥٣.

ثالثاً: عنايته بتغيير المنكر الأكثر انتشاراً:

فقد «كان أهل مصر ينتقصون عثمان بن عفان، حتى نشأ فيهم اللَّيْث بن سعد، فحدَّثهم بفضائله، فكفُّوا»[(١)].

رابعاً: مجالس اللَّيْث الدعوية:

قال أشهب بن عبدالعزيز: كان اللَّيْث بن سعدٍ له كل يومٍ أربعة مجالس يجلس فيها:

أما أولها، فيجلس لنائبة السلطان في نوائبه وحوائجه، وكان اللَّيْث يغشاه السلطان، فإذا أنكر من القاضي أمراً، أو من السلطان، كتب إلى أمير المؤمنين، فيأتيه العزل.

ويجلس لأصحاب الحديث، وكان يقول: نجحوا أصحاب الحوانيت؛ فإن قلوبهم معلقةٌ بأسواقهم.

ويجلس للمسائل، يغشاه الناس، فيسألونه.

ويجلس لحوائج الناس، لا يسأله أحدٌ فيرده، كبُرت حاجته أو صغُرت، وكان يُطعم الناس في الشتاء الهرائس بعسل النحل وسمن البقر، وفي الصيف سويق اللوز في السكر[(٢)].

خامساً: مناصحته لولاة الأمور:

روى أبو نعيم عن عبدالله بن صالحٍ، قال: سمعت اللَّيْث بن سعدٍ، يقول: «لما قدمت على هارون الرشيد، قال لي: يا ليث، ما صلاح بلدكم؟ قلت: «يا أمير المؤمنين، صلاح بلدنا بإجراء النيل، وإصلاح أميرها، ومن رأس العين يأتي الكدر، فإذا صفا رأس العين صفت السواقي»، فقال: صدقت يا أبا الحارث»[(٣)].

---

(١) تاريخ بغداد ـ ١٤/ ٥٢٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٥٢٤.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٣٢٢.

المبحث الرابع

دعوة الإمام عبدالله بن المبارك (تـ١٨١هـ)

هو: عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم التركي ثم المروزي الحافظ. فريد الزمان وشيخ الإسلام. عالم زمانه، من الأتقياء في وقته، ولد سنة ١١٨هـ وتوفي سنة ١٨١هـ[١].

ويمكن بيان معالم دعوة عبدالله بن المبارك من خلال النقاط التالية:

المطلب الأول صفات الإمام عبدالله بن المبارك الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة عبدالله بن المبارك.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٧٨.

المطلب الأول

صفات الإمام عبدالله بن المبارك الدعوية:

أولاً: البذل المادي في سبيل الله وإكرام أهل العلم:

وهذا الجانب اشتهر به رَحِمَهُ اللهُ حتى أنه لا يذكر ابن المبارك إلا ويذكر الكرم والجود على أهل العلم، حيث كان من أثرياء السلف الذين جمعوا بين العلم والزهد والثراء.

فعن علي بن الفضيل، «سمعت أبي يقول لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع، كيف ذا؟ قال: يا أبا علي، إنما أفعل ذا لأصون وجهي، وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي. قال: يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذا»(١).

فصدق الله الإمام ابن المبارك في ذلك، فاستعان بالمال على طاعة ربه، ومن أعظم الطاعات إنفاقه على أهل العلم من طلاب ومشايخ، ومما يشهد لذلك ما يأتي:

عن عباس بن يزيد قال: حدثنا حبان بن موسى قال: عوتب ابن المبارك فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، قال: «إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم. احتاجوا؛ فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم»(٢).

وعن إسماعيل بن عياش أنه قال: «لقد حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة، فكان يطعمهم الخبيص، وهو الدهر صائم»(٣).

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٣٨٨، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٧.
(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣٨٨، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٧.
(٣) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٨٧.

قال نعيم بن حماد: «قدم ابن المبارك أيلة على يونس بن يزيد، ومعه غلام مفرغ لعمل الفالوذج، يتخذه للمحدثين»[(١)].

قال علي بن خشرم: «قلت لعيسى بن يونس: كيف فضلكم ابن المبارك، ولم يكن بأسن منكم؟ قال: كان يقدم، ومعه الغلمة الخراسانية، والبزة الحسنة، فيصل العلماء، ويعطيهم، وكنا لا نقدر على هذا»[(٢)].

وعن محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، سمعت أبي، قال: «كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك. فيقول: هاتوا نفقاتكم. فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها، ثم يكتري لهم، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم، ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي، وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طُرَفِها؟ فيقول: كذا وكذا. ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا. فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصص بيوتهم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسروا، دعا بالصندوق، ففتحه، ودفع إلى كل رجل منهم صرته عليها اسمه»[(٣)].

وعن محمد بن عيسى، قال: «كان ابن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرقة في خان، فكان شاب يختلف إليه، ويقوم بحوائجه، **ويسمع منه الحديث**، فقدم عبدالله مرة، فلم يره، فخرج في النفير مستعجلاً، فلما رجع سأل عن الشاب، فقيل: محبوس على عشرة آلاف درهم. فاستدل على الغريم، ووزن له عشرة

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٨١٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٨١٠.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٣٨٨، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٥.

آلاف، وحلفه ألا يخبر أحداً ما عاش، فأخرج الرجل، وسرى ابن المبارك، فلحقه الفتى على مرحلتين من الرقة، فقال لي: يا فتى أين كنت؟ لم أرك! قال: يا أبا عبدالرحمن! كنت محبوساً بدين. قال: وكيف خلصت؟ قال: جاء رجل فقضى ديني، ولم أدر. قال: فاحمد الله، ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبدالله»(١).

ثانياً: تعظيم العلم واحترامه:

قال أحمد بن أبي الحواري: جاء رجل من بني هاشم إلى عبدالله بن المبارك ليسمع منه، فأبى أن يحدثه. فقال الشريف لغلامه: قم، فإن أبا عبدالرحمن لا يرى أن يحدثنا. فلما قام ليركب، جاء ابن المبارك ليمسك بركابه، فقال: يا أبا عبدالرحمن، تفعل هذا، ولا ترى أن تحدثني؟ فقال: «أذل لك بدني، ولا أذل لك الحديث»(٢).

قال بشر بن الحارث: سأل رجل ابن المبارك عن حديث، وهو يمشي، قال: «ليس هذا من توقير العلم» قال بشر: فاستحسنته جداً(٣).

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة عبدالله بن المبارك

أولاً: العناية بطلب العلم ونشره:

عن نعيم: سمعت ابن المبارك يقول: «عجبت لمن لم يطلب العلم، كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة؟!»(٤).

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٣٨٥، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٩.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٦٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٨.

وعن محبوب بن الحسن: «سمعت ابن المبارك يقول: من بخل بالعلم، ابتلي بثلاث: إما موت يذهب علمه، وإما ينسى، وإما يلزم السلطان فيذهب علمه»[(١)].

وعن ابن المبارك، قال: «أول منفعة العلم أن يفيد بعضهم بعضاً»[(٢)].

وعن المسيب بن واضح: «سمعت ابن المبارك قيل له: الرجل يطلب الحديث لله، يشتد في سنده. قال: إذا كان لله، فهو أولى أن يشتد في سنده»[(٣)]..

عن الفضيل بن عياض قال سئل ابن المبارك: «من الناس؟ فقال: العلماء»[(٤)].

وروى غير واحد: أن ابن المبارك قيل له: «إلى متى تكتب العلم؟ قال: لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعد»[(٥)].

وعن رسته الطالقاني، قال: قام رجل إلى ابن المبارك فقال: يا أبا عبدالرحمن في أي شيء أجعل فضل يومي؛ في تعلم القرآن، أو في طلب العلم؟ فقال: «هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك؟ قال: نعم، قال: فاجعله في طلب العلم الذي يعرف به القرآن»[(٦)]. أي: تفسيره وأحكامه.

☜ ثانياً: التحذير من أهل البدع:

قال علي بن الحسن بن شقيق، سمعت عبدالله بن المبارك يقول: «إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية»[(٧)].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٦٥، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٨.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٦٦.سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٨.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٦٦، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٩.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ١٦٦،

(٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ٢٨٠.

(٦) حلية الأولياء ٨/ ١٦٥.

(٧) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠١.

وعنه، قال: «ليكن مجلسك مع المساكين، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة»[(١)].

ثالثاً: العناية بالمنهجية الصحيحة في التلقي والاستدلال وحفظ العلم:

وعن ابن المبارك، قال: «ليكن عمدتكم الأثر، وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث»[(٢)].

وعن المسيب بن واضح: أنه سمع ابن المبارك - وسأله رجل عمن يأخذ - فقال: «قد يلقى الرجل ثقة وهو يحدث عن غير ثقة، وقد يلقى الرجل غير ثقة يحدث عن ثقة، ولكن ينبغي أن يكون: ثقة عن ثقة»[(٣)].

وقال أبو صالح الفراء: سألت ابن المبارك عن كتابة العلم، فقال: «لولا الكتاب ما حفظنا، وسمعته يقول: الحبر في الثوب خلوق العلماء»[(٤)]. والخلوق هو الطِيب.

رابعاً: الدعوة برفق وحكمة:

وعن ابن حميد، قال: «عطس رجل عند ابن المبارك، فقال له ابن المبارك: أيش يقول الرجل إذا عطس؟ قال: الحمد لله. فقال له: يرحمك الله»[(٥)].

خامساً: الدعوة إلى تزكية النفس:

عن المسيب بن واضح قال: سمعت ابن المبارك يقول: «حب الدنيا، والذنوب من القلب قد احتوشته، فمتى يصل الخير إليه؟»[(٦)].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٦٨، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٩.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٦٥. وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٩.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ١٧٠. تاريخ بغداد ١١/ ٣٨٨.

(٦) حلية الأولياء ٨/ ١٦٦. وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٨.

وقـال ابن المبارك: «لو اتقى الرجل مائة شـيء، ولم يتق شـيئاً واحداً، لم يك من المتقين، ولو تورع عن مائة شـيء، سوى واحد، لم يكن ورعاً، ومن كانت فيه خلة من الجهل، كان من الجاهلين، أما سـمعت الله يقول لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ من أجل ابنه: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]»(١).

وقال: «رب عمل صغير تكثره النية، ورب عمل كثير تصغره النية»(٢).

قـال: «إن البصـراء لا يأمنـون من أربع: ذنب قـد مضى لا يدرى مـا يصنع فيه الـرب عَزَّ وَجَلَّ وعمر قـد بقي لا يدرى مـا فيه من الهلكـة، وفضل قد أعطـي العبد لعله مكر واسـتدراج، وضلالة قد زينت، يراها هدى، وزيغ قلب ساعة فقد يسلب المرء دينه ولا يشـعر»(٣).

وقـال: « أهـل الدنيا خرجوا مـن الدنيا قبل أن يتطعموا أطيب مـا فيها قيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال: المعرفة بالله عَزَّ وَجَلَّ»(٤).

☜ سادساً: الدعوة إلى مكارم الأخلاق وحسن السلوك:

عن يحي بن المثنى قال: «سـئل ابن المبارك بحضور سـفيان بن عيينة عن مسألة، فقال: إنا نهينا أن نتكلم عند أكابرنا»(٥).

وقال ابن المبارك: «من اسـتخف بالعلماء؛ ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء؛

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٦.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ١٦٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٠.

ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان؛ ذهبت مروءته»[١].

وقال حبيب الجلاب: سألت ابن المبارك: «ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: غريزة عقل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: حسن أدب. قلت: فإن لم يكن؟ قال: أخ شفيق يستشيره. قلت: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل»[٢].

وروى عبدان بن عثمان، عن عبدالله بن المبارك، قال: «إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه؛ لم تذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ عن المحاسن؛ لم تذكر المحاسن»[٣].

وعن ابن المبارك، قال: «إذا عرف الرجل قدر نفسه، يصير عند نفسه أذل من كلب»[٤].

وعنه، قال: «لا يقع موقع الكسب على العيال شيء، ولا الجهاد في سبيل الله»[٥].

قال شقيق البلخي: «قيل لابن المبارك: إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم وآثارهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس، فإذا كان سنة ثمانين فالبعد من كثير من الناس أقرب إلى الله، وفر من الناس كفرارك من الأسد، وتمسك بدينك يسلم لك مجهودك»[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٦.
(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٧.
(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٨.
(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٩.
(٥) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٩.
(٦) حلية الأولياء ٨/ ١٦٤.

قال أبو وهب المروزي: «سـألت ابن المبارك: مـا الكبر؟ قال: أن تزدري الناس. فسـألته عن العجب؟ قال: أن ترى أن عندك شـيئاً ليس عند غيرك، لا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العجب»[١].

قال عبدالله بن محمد بن عبيد، دفع إليّ رجل من أهل مرو كتاباً فيه: سـئل عبدالله بـن المبـارك: ما ينبغي للعالم أن يتكرم عنه، قال: «ينبغـي أن يتكرم عما حرم الله تعالى عليه ويرفع نفسه عن الدنيا، فلا تكون منه على بال»[٢].

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٧.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٦٦.

المبحث الخامس

معالم دعوة القاضي أبي يوسف (ت١٨١هـ)

هـو الإمام، المجتهد، العلامة، المحدث، قاضي القضاة، أبو يوسـف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري، الكوفي[١].

من كبار طلاب أبي حنيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٢]، وقد حظي برعاية عظيمة من شيخه أبي حنيفة ورث من خلالها علم أبي حنيفة وأدبه وتعامله ونشره للعلم.

ويمكن إبراز معالم دعوة أبي يوسف من خلال النقاط التالية:

المطلب الأولصفات القاضي أبي يوسف الدعوية

المطلب الثانينماذج لمعالم دعوة أبي يوسف.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٣٥.

(١) سيأتي الحديث عن أبي حنيفة بتوسع عند الحديث عن أئمة الفقه الأربعة في الفصل القادم.

المطلب الأول

صفات القاضي أبي يوسف الدعوية

أولاً: الحرص على ملازمة العلماء والحرص على التعلم وتقدير أهل العلم:

فعن أبي يوسف، قال: «صحبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة، لا أفارقه فِي فطر وَلَا أضحى إِلَّا من مرض»(١).

وعنه قال: «كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مُقِّلٌ رَثُّ الحال»(٢).

ثانياً: حفظ الفضل لأهله وشكرهم عليه:

عن الْحسن بن أبي مَالك قالَ سَمِعت أبا يُوسُف يَقُول: «مَا صليت صَلَاة قطّ وَلَا غَيرهَا إلا دَعَوْت الله لأبي حنيفَة واستغفرت لَهُ»(٣).

ثالثاً: سعة العلم وفهمه وإتقانه:

عن محمد بن عمارة قال: رأيت أبا يوسف وزفر يوماً افتتحا مسألة عند أبي حنيفة من حين طلعت الشمس إلى أن نودي بالظهر، فإذا قضى لأحدهما على الآخر، قال له الآخر: أخطأت ما حجتك، فيخبره حتى كان آخر ذلك أن قضى لأبي يوسف على زفر حين نودي بالظهر، فقام أبو يوسف، قال: فضرب أبو حنيفة على فخذ زفر، وقال: لا تطعمن في الرياسة بأرض يكون هذا بها، وقال وكيع: كيف يقدر أبو حنيفة يخطئ! ومعه مثل أبي يوسف وزفر في قياسهما..

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص ١٠٠.
(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٤٠١.
(٣) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص ١٠٠.

قال أبو حنيفة يوماً: أصحابنا هؤلاء ستة وثلاثون رجلاً؛ منهم ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء، ومنهم ستة يصلحون للفتوى، ومنهم اثنان يصلحان يؤدبان القضاة وأصحاب الفتوى، وأشار إلى أبي يوسف وزفر[١].

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة أبي يوسف

◆ أولاً: الحث على طلب العلم والبذل فيه:

فمن نصائحه الجميلة لطلبة العلم: «العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، وأنت إذا أعطيته كلك من إعطائه البعض على غرر»[٢]، وقال أيضاً: «من أراد أن يتعلم الرأي فليأكل خبزاً، حتى يحرق كبده، ولا يأكل التين والعنب»[٣].

◆ ثانياً: الدعوة للارتباط بالكتاب والسنة:

قال يحيى بن يحيى التميمي: سمعت أبا يوسف عند وفاته يقول: «كل ما أفتيت به، فقد رجعت عنه، إلا ما وافق الكتاب والسنة»[٤].

وفي رواية، قال: دخلنا على أبي يوسف وهو مريض بجرجان، فقال: «اشهدوا أني قد رجعت عن كل ما أفتيت به الناس، إلا ما في القرآن، واجتمع عليه المسلمون»[٥].

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٦/ ٣٥٩.

(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٣٥٩.

(٤) تاريخ بغداد ١٦/ ٣٧٢.

(٥) مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي ص٧٣.

وعـن عمـرو الناقد قـال: «لا أرى أن أروي عـن أحد من أصحاب الـرأي إلا أبو يوسف فإنه كان صاحب سنة، وهو كثيراً ما يخالف أصحابه، ويتبع أهل الأثر إذا وجد فيه خبراً مسنداً»[١].

◆ ثالثاً: العناية بفهم العلم:

عن الحسن بن أبي مالك، يقول: قال أبو يوسف «مرضت مرضاً نسيت فيه كل ما كنت أحفظه حتى القرآن، ولم أنس الفقه لأن علمي بما سوى الفقه علم حفظ، وعلمي بالفقه علم هداية، كرجل غاب عن بلده مدة، ثم قدم أفتراه يغيب عن طريق منزله؟»[٢].

وعن بشـر بن الوليد قال: سمعت أبا يوسـف يقول: «سألني الأعمش عن مسألة؛ فأجبته فيها، فقال لي: من أين قلت هذا؟ فقلت: لحديثك الذي حدثتناه أنت، ثم ذكرت لـه الحديـث، فقال لي: يا يعقوب، إني لأحفظ هذا الحديـث قبل أن يجتمع أبواك، فما عرفت تأويله حتى الآن»![٣].

◆ رابعاً: الحرص على التعليم:

عن الحسن بن أبي مالك، يقول: قال أبو يوسف: «لو استطعت أن أشاطركم ما في قلبي من العلم لفعلت»[٤].

وقـال تلميـذه القاضـي إبراهيم بن الجـراح: «مرض أبو يوسـف، فأتيتـه أعوده، فوجدتـه مغمـى عليه. فلما أفاق قـال لي: يا إبراهيـم: ما تقول في مسـألة؟ قلت وأنت في هـذه الحالة؟ قال: لا بأس بذلـك، ندرس، لعله ينجو به ناج! ثم قال لي: يا إبراهيم:

---

(١) الكامل في الضعفاء ٧/ ١٤٥.

(٢) مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي ص٧٣.

(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٣٥٩.

(٤) مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي ص٦٦.

أيها أفضل في رمي الجمار، أن يرميها ماشياً أو راكباً؟ قلت يرميها راكباً. قال: أخطأت. قلت: يرميها ماشياً. قال: أخطأت! قلت: قل فيها، يرضى الله عنك. قال: أما ما كان يوقف عنده للدعاء، فالأفضل أن يرميه ماشياً، وأما ما كان لا يوقف عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه راكباً»[(١)].

عن عمار بن أبي مالك قال: ما كان فيهم مثل أبي يوسف، لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ولا بن أبي ليلى، ولكنه هو نشر أقوالهم، وبث علومهم[(٢)].

◆ خامساً: التحذير من مفسدات العلم:

قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف: «من طلب المال بالكيمياء[(٣)]، أفلس، ومن طلب الدين بالكلام، تزندق، ومن تتبع غريب الحديث، كذب»[(٤)].

عن بشر بن الوليد، سمعت أبا يوسف يقول: «العلم بالخصومة والكلام جهل، والجهل بالخصومة والكلام علم»[(٥)].

وكان يقول: «لا تطلب الحديث بكثرة الرواية؛ فترمى بالكذب، ولا تطلب الدنيا بالكيمياء فتفلس، ولا تحصل بيدك شيء، ولا تطلب العلم بالكلام؛ فإنك تحتاج تعتذر كل ساعة إلى واحد، وقال: العلم بالكلام جهل»[(٦)].

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ١/ ٣٦.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٥، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٨٢.

(٣) علم الكيمياء عند القدماء علم يراد به تحويل بعض المعادن إلى بعضها ولاسيما إلى الذهب، ولذا يقال: كيمياء: نقود مزيفة. ينظر: تكملة المعاجم العربية٩/ ١٨١.

(٤) الكامل في الضعفاء ٨/ ٤٦٦.

(٥) سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٧١.

(٦) تاريخ بغداد ١٦/ ٣٧٢.

وعن محمد بن شجاع، سمعت الحسن بن أبي مالك، سمعت أبا يوسف، يقول: «القرآن كلام الله، ومن قال: كيف ولم، وتعاطى مراء ومجادلة، استوجب الحبس والضرب المبرح»(١).

◆ سادساً: الحرص على الوحدة ونبذ الخلاف:

عن بكار بن قتيبة: سمعت أبا الوليد، قال: «لما قدم أبو يوسف البصرة مع الرشيد، اجتمع الفقهاء والمحدثون على بابه، فأشرف عليهم، وقال: أنا من الفريقين جميعاً، ولا أقدم فرقة على فرقة»(٢).

◆ سابعاً: العناية بتزكية النفس:

فقد كان أبو حنيفة يقول: «صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة»(٣).

وقال: رؤوس النعم ثلاثة: «فأولها نعمة الإسلام؛ التي لا تتم نعمة إلا بها، والثانية: نعمة العافية؛ التي لا تطيب الحياة إلا بها، والثالثة: نعمة الغنى؛ التي لا يتم العيش إلا بها»(٤).

---

(١) مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي ص٦٧.
(٢) مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي ص٦٧.
(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٣٥٩.
(٤) تاريخ بغداد ١٦/ ٣٥٩.

المبحث السادس

دعوة الإمام سفيان بن عيينة (تـ١٩٨هـ)

هو: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدث الحرم المكي، من الموالي، ولد بالكوفة، كان حافظاً ثقة، واسـع العلم كبير القدر وسكن وتوفي بمكة سنة: (١٩٨هـ)[1].

المطلب الأول صفات الإمام سفيان بن عيينة الدعوية.

المطلب الثاني نماذج لمعالم دعوة الإمام سفيان بن عيينة.

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٤٩٧، وحلية الأولياء ٧/ ٢٧٠، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٤.

المطلب الأول

صفات الإمام سفيان بن عيينة الدعوية

من أهم صفات الإمام سفيان بن عيينة الدعوية سعة علمه وإتقانه للعلم، فقد طلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علماً جماً، وأتقن، وجوَّد، وجمع، وصنف، وعمر دهراً، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد[(١)].

ولقد كان خلق من طلبة الحديث يتكلفون الحج، وما المحرك لهم سوى لقي سفيان بن عيينة؛ لإمامته وعلو إسناده، وجاور عنده غير واحد من الحفاظ

قال الإمام الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عيينة، لذهب علم الحجاز.. وجدت أحاديث الأحكام كلها عند ابن عيينة، سوى ستة أحاديث، ووجدتها كلها عند مالك سوى ثلاثين حديثاً.

فهذا يوضح لك سعة دائرة سفيان في العلم، وذلك لأنه ضم أحاديث العراقيين إلى أحاديث الحجازيين.

وارتحل، ولقي خلقاً كثيراً ما لقيهم مالك، وهما نظيران في الإتقان.

قال عبد الرحمن بن مهدي: كان ابن عيينة من أعلم الناس بحديث الحجاز.

وقال الشافعي: ما رأيت أحداً فيه من آلة العلم ما في سفيان بن عيينة، وما رأيت أكف عن الفتيا منه، قال: وما رأيت أحداً أحسن تفسيراً للحديث منه.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٥.

قال عبد الله بن وهب: لا أعلم أحداً أعلم بتفسير القرآن من ابن عيينة، وقال: أحمد بن حنبل أعلم بالسنن من سفيان.

وقال وكيع: كتبنا عن ابن عيينة أيام الأعمش.

وقال علي بن المديني: ما في أصحاب الزهري أحد أتقن من سفيان بن عيينة.

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: كان ابن عيينة ثبتاً في الحديث، وكان حديثه نحواً من سبعة آلاف، ولم تكن له كتب[١].

المطلب الثاني

نماذج لمعالم دعوة الإمام سفيان بن عيينة

ويمكن إبراز أهم معالم دعوة سفيان بن عيينة في النقاط التالية:

أولاً: الحث على طلب العلم والاستمرار عليه وحفظه:

قال سفيان: «أفضل العلم؛ العلم بالله، والعلم بأمر الله، فإذا كان العبد عالماً بالله، وعالماً بأمر الله فقد بلغ، ولم تصل إلى العباد نعمة أفضل من العلم بالله، والعلم بأمر الله، ولم يصل إليهم عقوبة أشد من الجهل بالله، والجهل بأمر الله»[٢].

وعن ابن الأعرابي قال: قال سفيان بن عيينة: «أرفع الناس منزلة: من كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء»[٣].

---

(١) ينظر هذه الأقوال في سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٧ وما بعدها باختصار.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٨١.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ٢٣٢.

وقال سفيان: «لو أن أهل العلم طلبوه - يعني: العلم - لما عِند الله؛ لهابهم الناس، ولكن طلبوا به الدنيا فهانوا على الناسِ»(١).

وسئل سفيان: من أحوج النّاس إلى طلب العلم؟ قال: «أعلمهم، لأنّ الخطأ منه أقبح»(٢)، وقال سفيان: «مثل العلم مثل دار الكفر ودار الإسلام، فإن ترك أهل الإسلام الجهاد جاء أهل الكفر فأخذوا الإسلام، وإن ترك الناس العلم صار الناس جهالاً»(٣).

سمعت سفيان بن عيينة يقول: كان أبي صيرفياً بالكوفة، فركبه دين، فحملنا إلى مكة، فصرت إلى المسجد، فإذا عمرو بن دينار، فحدثني بثمانية أحاديث، فأمسكت له حماره حتى صلى وخرج، فعرضت الأحاديث عليه، فقال: بارك الله فيك(٤).

وعن مجاهد بن موسى، قال: سمعت ابن عيينة يقول: «ما كتبت شيئاً قط إلا شيئاً حفظته قبل أن أكتبه»(٥).

ثانياً: العناية بصغار السن:

روى أحمد بن النضر الهلالي، سمعت أبي يقول: «كنت في مجلس سفيان بن عيينة، فنظر إلى صبي، فكأن أهل المسجد تهاونوا به لصغره، فقال سفيان: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[النساء:٩٤] ثم قال: يا نضر، لو رأيتني ولي عشر سنين، طولي خمسة أشبار، ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار، ثيابي صغار،

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٤٩.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٨١، وشعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٢٦٠. وجامع بيان العلم وفضله برقم (٤٣٩).
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢٨١.
(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٦٠.
(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٤، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦١.

وأكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونعلي كآذان الفار، أختلف إلى علماء الأمصار؛ كالزهري وعمرو بن دينار، أجلس بينهم كالمسمار، محبرتي كالجوزة، ومقلمتي كالموزة، وقلمي كاللوزة، فإذا أتيت قالوا: أوسعوا للشيخ الصغير، ثم ضحك»[(١)].

ثالثاً: الدعوة إلى العمل بالعلم وتعليمه للناس:

عن أبي معمر الهذلي، قال سفيان بن عيينة: «ليس العالم الذي يعرف الخير والشر، إنما العالم الذي يعرف الخير فيتبعه، ويعرف الشر فيجتنبه»[(٢)].

وقال: «العلم إذا لم ينفعك ضرك»[(٣)].

وقال: «الورع طلب العلم الذي به يعرف الورع، وهو عند قوم: طول الصمت، وقلة الكلام، وما هو كذلك. إنَّ المتكلم العالم أفضل عندنا وأورع من الجاهل الصامت»[(٤)].

وقال ابن الأشعث: «سمعت ابن عيينة يقول: من عمل بما يعلم، كُفِي ما لم يعلم»[(٥)].

وعن أبي أيوب سليمان بن داوود، قال سفيان بن عيينة: «كان يقال: إن العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة يزدد على الكثير منها شراً»[(٦)].

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٩.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٤.
(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ١٩٤. سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦٢.
(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦٥.
(٥) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦٨.
(٦) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٧.

وعن إبراهيم بن الأشعث، قال ابن عيينة: «كان يقال: أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة: رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه، ورجل له مال فلم يتصدق منه فمات فورثه غيره فتصدق منه، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلم غيره فانتفع به»[(١)].

وعن محمد بن ميمون الخياط، قال: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: «إذا كان نهاري نهار سفيه، وليلي ليل جاهل فما أصنع بالعلم الذي كتبت؟»[(٢)].

رابعاً: الدعوة إلى عدم احتقار غيرهم، وعدم التكبر بالعلم:

عن سفيان بن عيينة، قال: «من رأى أنه خير من غيره فقد استكبر، ثم ذكر إبليس»[(٣)].

وعن سنيد بن داوود، عن ابن عيينة، قال: «من كانت معصيته في الشهوة فارج له التوبة، فإن آدم عليه السلام عصى مشتهياً فغفر له، وإذا كانت معصيته في كبر فاخش على صاحبه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبراً فلعن»[(٤)].

خامساً: الدعوة إلى المفهوم الحقيقي للزهد:

قال أحمد بن أبي الحواري: «قلت لسفيان بن عيينة: ما الزهد في الدنيا؟ قال: إذا أنعم عليه فشكر، وإذا ابتلي ببلية، فصبر، فذلك الزهد»[(٥)].

وسئل ابن عيينة عن الزهد، قال: «الزهد فيما حرم الله، فأما ما أحل الله فقد أباحه الله، فإن النبيين قد نكحوا، وركبوا، ولبسوا، وأكلوا، لكن الله نهاهم عن شيء فانتهوا عنه،

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٨٨.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٧١.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢٧١.

(٤) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٢. وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦١.

(٥) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦٨.

وكانوا به زهاداً»[١].

وعن أحمد بن عبدة، عن ابن عيينة، قال: «الزهد في الدنيا: الصبر، وارتقاب الموت»[٢].

وقال النعمان بن عبدالسلام: سمعت سفيان بن عيينة يقول: «ليس من حب الدنيا طلبك منها ما لابد منه»[٣].

عن محمد بن النعمان: كان سفيان بن عيينة يقول: «أحب للرجل أن يعيش عيش الأغنياء، ويموت موت الفقراء، ثم قال سفيان: وقل ما يكون هذا»[٤].

سادساً: التحذير من القول على الله بلا علم:

قال علي بن المديني: «كان سفيان إذا سئل عن شيء، يقول: لا أحسن. فنقول: من نسأل؟ فيقول: سل العلماء، وسل الله التوفيق»[٥].

وعن محمد بن الصباح، قال: قال ابن عيينة: «إذا ترك العالم: (لا أدري) أصيبت مقاتله»[٦].

سابعاً: الدعوة لتزكية النفس والإقبال على الله:

عن عبدالرحمن بن بشر، سمعت ابن عيينة يقول: «غضب الله الداء الذي لا دواء

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦٩.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦٢.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٣، صفة الصفوة ٢/ ٢٣٢.

(٤) حلية الأولياء ٧/ ٣٠٤.

(٥) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٤. وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦٨.

(٦) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٨.

له، ومن استغنى بالله أحوج الله إليه الناس»[١].

وعن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: «لا تبلغوا ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله، ومن أحب القرآن فقد أحب الله، افقهوا ما يقال لكم»[٢].

ثامناً: الدعوة إلى البذل والتفرغ للعلم، واختيار الأفاضل من العلماء:

عن الحميدي، قال: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: «لا تدخل هذه المحابر بيت رجل إلا أشقى أهله وولده»[٣].

وقال سفيان بن عيينة مرة لرجل: ما حرفتك؟ قال: طلب الحديث. قال: «بشر أهلك بالإفلاس»[٤].

وعن علي بن الجعد، عن ابن عيينة، قال: «من زيد في عقله، نقص من رزقه»[٥].

عن محمد بن عمرو الباهلي قال سمعت ابن عيينة، يقول: «كنت أخرج إلى المسجد فأتصفح الخلق، فإذا رأيت كهولاً، ومشيخة جلست إليهم، فأنا اليوم قد اكتنفتني هؤلاء الصبيان»[٦].

تاسعاً: التذكير بنعم الله والواجب نحوها:

قال إسحاق بن أبي إسرائيل: سمعت سفيان بن عيينة يقول: «ما أنعم الله على

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٧٣.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٧.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٥. وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦١.
(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦١.
(٥) حلية الأولياء ٧/ ٢٧١. وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦١.
(٦) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٤.

العبـاد نعماً أفضل مـن أن عرفهم «لا إله إلا الله» فإن لا إله إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا»[١].

وعن أبي عبدالله الرازي: قال لي سـفيان بن عيينة: «يا أبا عبدالله، إن من شُـكر الله على النعمة أن تحمَدَه عليها وتسـتعين بها على طاعته، فما شـكر الله من استعان بنعمه على معاصيه»[٢].

عاشراً: سؤال الله العافية:

عن عمر بن السـكن قال كنت عند سـفيان بن عيينة، فقام إليه رجل من أهل بغداد فقال: يا أبا محمد، أخبرني عن قول مطرف: لأن أعافى فأشـكر؛ أحب إلى من أن أبتلي فأصـبر، أهـو أحب إليك أم قـول أخيه أبي العلاء: اللهم رضيت لنفسـي ما رضيت لي قال: فسكت عنه سكتة، ثم قال: قول مطرف أحب إلي، فقال الرجل: كيف وقد رضي هذا لنفسه ما رضيه الله له؟ فقال سفيان: «إني قرأت القرآن فوجدت صفة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ مـع العافية التي كان فيها: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص٣٠]، ووجدت صفة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ مـع البلاء الـذي كان فيـه: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص٤٤]، فاسـتوت الصفتان وهذا معـافي وهذا مبتلي، فوجدت الشـكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتـدلا كانت العافية مع الشكر أحب إلي من البلاء مع الصبر»[٣].

الحادي عشر: الدعوة إلى حفظ اللسان:

عن سعيد بن سليمان، قال: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: «الغيبة أشد من الدين،

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٢.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٨.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢٨٣.

الدين يقضى، والغيبة لا تقضى»(١).

وقال سفيان: «إذا أعجبك الصمت فتكلم، وإذا أعجبك الكلام فاسكت»(٢).

الثاني عشر: التحذير من البدع:

عن سوار بن عبدالله بن سوار، قال حدثنا أبي، قال: قال سفيان بن عيينة: «ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه، قال: وهي في كتاب الله، قالوا: وأين هي من كتاب الله؟ قال: أما سمعتم قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأعراف: ١٥٢] قالوا: يا أبا محمد، هذه لأصحاب العجل خاصة قال: كلا اتلوا ما بعدها ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢] فهي لكل مفتر، ومبتدع إلى يوم القيامة »(٣).

الثالث عشر: العناية بفقه التعليم والدعوة:

عمرو بن أبي مذعور، يقول: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: «لم أر فقيهاً قط يداري ولا يماري، ينشر حكمة الله، فإن قبلت حمد الله، وإن ردت حمد الله»(٤).

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٥.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٨١.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢٨٠.

(٤) حلية الأولياء ٧/ ٢٨٠.

الفصل الثالث

نماذج الدعوة في حياة الأئمة الأربعة

ويتضمن تمهيداً وأربعة مباحث:

المبحث الأول: دعوة الإمام أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ).

المبحث الثاني: دعوة الإمام مالك (ت ١٧٩هـ).

المبحث الثالث: دعوة الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ).

المبحث الرابع: دعوة الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ).

تمهيد

حيـاة أئمة الفقه المتبوعين مع الدعوة مليئة بالدروس والعبر، فهم مدارس دعوية خرجت علماء تفرقوا في جميع البلدان، مع أن في زمانهم من كان في مستواهم في العلم، ولكنهم تميزوا بصفات دعوية وتربوية وعلمية وربانية جديرة بالدراسة.

ومما تميزت به دعوة الأئمة الأربعة شمولها لجوانب كثيرة من مجالات الدعوة وأهمها:

١- الدعوة إلى الإيمان والترقي في شعبه ودرجاته.

٢- الدعوة بالقدوة الحسنة.

٣- الدعوة إلى تزكية النفس وحسن الخلق والسلوك.

٤- التركيز على بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة في جميع نواحي الدنيا والدين.

٥- العناية بالعلم والتعليم وطلاب العلم وأهل العلم.

٦- البذل والعطاء في سبيل دعوة الله تعالى.

فهم بذلك يسيرون على هدي النبي ﷺ وصحابته الكرام في الدعوة إلى الله، فكتب الله لعلمهم ودعوتهم الاشتهار.

المبحث الأول

دعوة الإمام أبي حنيفة (تـ١٥٠هـ)

هـو: النعمان بـن ثابت، التيمي بالـولاء، الكوفي، أبو حنيفة، إمـام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة ولد ونشـأ بالكوفة سـنة ٨٠هـ، وكان يبيع الخز ويطلـب العلم في صباه، ثم انقطـع للتدريس والإفتاء. وكان كريمـاً في أخلاقه، جواداً، حسن المنطق والصورة، جهوري الصوت توفي سنة ١٥٠هـ(١).

وكان للإمام أبي حنيفة دور بارز في الدعوة إلى الله تعالى، ظهرت آثاره في انتشـار مذهبه في الآفاق، ويمكن إبراز معالم دعوته في المطالب التالية:

المطلب الأول: الصفات الدعوية للإمام أبي حنيفة.

المطلب الثاني: نماذج لمعالم منهجية في دعوة أبي حنيفة.

المطلب الثالث: البذل والعطاء لإخوانه العلماء.

المطلب الرابع: النفقة على طلاب العلم.

المطلب الخامس: عنايته بالنابهين (أبو يوسف نموذجاً).

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٧٤.

المطلب الأول

الصفات الدعوية للإمام أبي حنيفة

أولاً: التواضع وقبول النصيحة والخشية من الله:

يقول زيد بن كميت أنه سمع رجلاً يقول لأبي حنيفة: اتق الله! فانتفض، واصفر، وأطرق، وقال: جزاك الله خيراً، ما أحوج الناس كل وقت إلى من يقول لهم مثل هذا(١).

ثانياً: العناية بالمظهر والهيبة وقلة الكلام:

يقول حماد بن أبي حنيفة: كان أبي جميلاً، تعلوه سمرة، حسن الهيئة، كثير التعطر، هيوباً، لا يتكلم إلا جواباً، ولا يخوض رَحِمَهُ اللهُ فيما لا يعنيه(٢).

فمن واجبات الداعية؛ الاهتمام بمظهره والعناية بشكله وملبسه، من غير إسراف ولا مخيلة؛ فإن الداعية يخالط الناس ويتجمعون حوله فلا ينبغي أن يجدوا منه ما ينفرهم عنه.

ثالثاً: الوقار وحسن السمت:

وعن ابن المبارك، قال: ما رأيت رجلاً أوقر في مجلسه، ولا أحسن سمتاً وحلماً من أبي حنيفة(٣).

رابعاً: حفظ الفضل للعلماء والدعاء لهم:

عندما بدأ أبو حنيفة يدرس للناس لم ينْسَ فضل شيخه وأستاذه حماد بن أبي

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٠.

سـليمان بل ظـل يذكره بالخير، ويدعو له حتى قال أبو حنيفـة لطلابه وهو يربيهم على الدعاء لمشـايخهم: «ما صليت صلاة منذ مات حماد إلا استغفرت له مع والدي، وإني لاستغفر لمن تعلمت منه علماً أو علمته علماً»[١].

خامساً: مشورة أهل الاختصاص مع إعمال العقل:

فعن أبي يوسـف قال: سـمعت أبا حنيفة يقـول: «لما أردت طلـب العلم جعلت أتخير وأشـاور. فقلت: أتحفـظ القرآن فأكون في موضع يأتيني الخلـق لقراءته، وأُعلم الناس القرآن. فقلت: يكون أحداث يحفظونه كما أحفظه.

ثم شـاورت فقيل لي: النحو. فقلت: إذا بلغت فيه الغاية جلسـت مع صبي أؤدبه لبعـض الملوك.. **ثم شـاورت** فقيل لي: الغريب والشـعر. فقلت: إذا بلغـت فيه الغاية صرت أمدح وأذم وأتصدق به.

فقلـت: الـكلام. ثم قلـت: إذا بلغـت فيـه الغاية قالـوا: زنديق، **ثـم قلت: الحديـث.** فقلت: إذا بلغت فيه الغايـة أردت أن أداري فيه الصبيان، وإن اجتمع علي جماعة أو قصدوني فأخرجت طرائف ما جمعت: قالوا: كذاب. فصار شيئاً علي إلى يوم القيامة.

قلـت: فالفقـه، فطلبت فيه عيباً فلـم أجد فيه. قلت: أول ما آخذ فيه أصير جليسـاً للعلماء والأشـياخ، وإن جرت مسألة في القرابة أو الجيران أو فريضة سألوني عنها؛ فإن كانت عندي معرفة وإلا قالوا يجب أن تسـأل الذين تجالسهم، فأسأل عنها، ويتوقعون جوابي عنها، فآتيهم بنبل وعلم ووقار، فمن أراد أن يطلب به ديناً بلغ أمراً حسناً جسيماً

---

(١) تاريخ بغداد٣/ ٣٣٤.

وصار إلى رفعة، ومن أراد العبادة والخير لم يستطع أحد أن يقول تعبد بلا علم ولا عقل!! وقيل: عَلم وعَمِل بعلمه»[١].

⌑ **سادساً: حرص أبي حنيفة على طلب العلم:**

وأُعجِب حماد بتلميذه أبي حنيفة حتى قال لمن حوله: «لا يجلس في صدر الحلقة بجواري غير أبي حنيفة»[٢].

المطلب الثاني

نماذج لمعالم منهجية في دعوة أبي حنيفة

أولاً: التزام السنة النبوية، ونبذ التقليد:

عن أبي حنيفة، أنه قال: ما جاء عن الرسول ﷺ فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة، اخترنا، وما كان من غير ذلك، فهم رجال ونحن رجال[٣].

وفي رواية: «وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم تخيرنا من أقوالهم ولم نخرج عنهم»[٤].

وقال: «إذا صح الحديث فهو مذهبي، لا يحل لمن يفتي من كتبي أن يفتي حتى يعلم من أين قلت»[٥].

قال أبو حنيفة: «لا ينبغي للرجل أن يحدث إلا بما يحفظه من وقت ما سمعه»[٦].

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص٦.

(٢) مشاهير أعلام الإسلام ١٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠١.

(٤) الإحكام، ابن حزم ٤/ ٥٧٣.

(٥) إيقاظ الهمم ص٦٢.

(٦) سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠١.

ثانياً: العناية بوجود المرجعية العلمية:

وورد أنه قيل لأبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في المسجد حلقة ينظرون في الفقه، فقال: ألهم رأس؟ قالوا: لا، قال: لا يفقه هؤلاء أبداً[١].

ثالثاً: التنبيه على عدم الاستعجال في التعليم والتصدر:

يقول أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بعد أن صحبتُ حمّاداً عشر سنين نازعتني نفسي لطلب الرياسة، فأردتُ أن أعتزله وأجلس في حلقة لنفسي، فخرجتُ يوماً بالعشيّ وعزمي أن أفعل، فلمّا دخلتُ المسجد رأيتُه ولم تطب نفسي أن أعتزله فجئتُ فجلستُ معه، فجاء في تلك الليلة نعي قرابة له قد مات بالبصرة، وترك مالاً وليس له وارث غيره، فأمرني أن أجلس مكانه، فما هو إلا أن خرج حتى وردت عليَّ مسائل لم أسمعها منه، فكنتُ أجيب وأكتب جوابي، ثم قَدِمَ، فعرضتُ عليه المسائل وكانت نحواً من ستين مسألة، فوافقني بأربعين وخالفني في عشرين، فآليتُ على نفسي ألا أفارقه حتى يموت و هكذا كان»[٢].

وقال أبو حنيفة: «من طلب الرياسة في غير حينه لم يزل في ذلٍّ ما بقي، واللبيب من صان نفسه عن تعرضها لما: يُعَدُّ فيه ناقصاً، وبتعاطيه ظالماً، وبإصراره عليه فاسقاً»[٣].

رابعاً: الدعوة للإقبال على العلم بالتقلل من الدنيا:

عن وكيع قال: سمعت رجلاً يسأل أبا حنيفة: بم يستعان على الفقه حتى يحفظ؟ قال: يَجمع الهم. قال: وبم يستعان على جمع الهم؟ قال: بحذف العلائق. قال: وبم يستعان على حذف العلائق؟ قال: تأخذ الشيء عند الحاجة ولا تزد»[٤].

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص٢٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٨٣.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص٢٥.

(٤) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص٩.

خامساً: الحرص على نفع المدعوين في شتى المجالات:

قيل للقاسم بن معن: ترضى أن تكون من غلمان أبي حنيفة؟ قال: ما جلس الناس إلى أحد أنفع من مجالسة أبي حنيفة[(١)].

ويقول قيس بن الربيع: «كان أبو حنيفة، ورعاً تقياً، مفضلاً على إخوانه»[(٢)].

ويقول تلميذه الإمام زُفَر قال: «جالستُ أبا حنيفة أكثر من عشرين سنة فلم أر أحداً أنصح للناس منه ولا أشفق عليهم منه، بذل نفسه لله تعالى، أمّا عامة النهار فهو مشتغل في العلم وفي المسائل وتعليمها، وفيما يُسأل من النوازل وجواباتها، وإذا قام من المجلس عاد مريضاً أو شيَّع جنازة أو واسى فقيراً أو وصل أخاً أو سعى في حاجة، فإذا كان الليل خلا للعبادة والصلاة وقراءة القرآن، فكان هذا سبيله حتى توفي رضي الله تعالى عنه»[(٣)].

سادساً: التحذير من آفات سلوكية وعلمية:

قال أبو حنيفة: «من طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب الدين بالجدال تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب»[(٤)].

المطلب الثالث

البذل والعطاء لإخوانه العلماء

رزق الله الإمام أبا حنيفة سعة في المال فوجه ذلك الرزق والخير إلى الدعوة إلى الله وأعمال الخير، التي كان من أعظمها وأكثرها نفعاً النفقة على العلماء.

فعن قيس بن الربيع قال: «إن أبا حنيفة كان يبعث بالبضائع إلى بغداد فيشتري

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٨.
(٢) سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٠.
(٣) روائع أبي حنيفة ص٩.
(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع٣/ ٤٣.

بها الأمتعة، ويحملها إلى الكوفة، ويجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة، **فيشتري بها حوائج أشياخ المحدثين وأقواتهم وكسوتهم وجميع حوائجهم، ثم يدفع باقي الدنانير والأرباح إليهم**، ثم يقول: أنفقوا في حوائجكم ولا تحمدوا إلا الله؛ فإني ما أعطيكم من مالي، ولكن من فضل الله عليّ فيكم»(١).

وعن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة «إنَّ أبا حنيفة حين حذق حماد ابنه سورة الحمد وهب للمعلم خمسمائة درهم»(٢).

وعن علي بن الجعد قال: «أُهْدِي إلى أبي حنيفة ألف نعل. فلما كان بعد ذلك أراد أن يشتري نعلاً، فقيل له: ما فعلت بتلك النعال؟ فقال: ما دخل بيتي منها شعرة وهبتها كلها لأصحابنا»(٣).

وعن مسعر قال: «كان أبو حنيفة إذا اشترى لعياله شيئاً أنفق على شيوخ العلماء مثل ما أنفق على عياله، وإذا اكتسى ثوباً فعل مثل ذلك. وإذا جاءت الفاكهة والرطب، وكل شيء يريد أن يشتريه لنفسه ولعياله، لا يفعل ذلك حتى يشتري لشيوخ العلماء مثله. ثم يشتري بعد ذلك لعياله، وكان إذا اشترى للصدقة أو لبر إخوانه شيئاً أجود ما يقدر عليه، وكان يتساهل فيما يشتريه لنفسه ولعياله»(٤).

وعن ابن عيينة قال: «كان أبو حنيفة كثير الصلاة والصيام، كثير الصدقة، فكان كل مال يستفيده لا يدع منه شيئاً إلا أخرجه، ولقد وجه إلي بهدايا استوحشت من كثرتها؛

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص٤٤.
(٢) تاريخ بغداد١٣/ ٣٦١.
(٣) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص٤٦.
(٤) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص٤٦.

فشكوت ذلك إلى بعض أصحابه، فقال لي: كيف لو رأيت هدايا بعث بها إلى سعيد بن أبي عروبة، وما كان يدع أحداً من المحدثين إلا بره براً واسعاً»[١].

وعـن الفضيل بن عياض قال: «كان أبو حنيفة معروفاً بكثرة الأفضال وقلة الكلام وإكرام العلم وأهله»[٢].

المطلب الرابع

النفقة على طلاب العلم

كان لطـلاب العلـم عنايـة خاصة عند أبـي حنيفـة في دعمهم وكفالتهـم وتلمس احتياجاتهم، فعن الحسن بن زياد قال: رأى أبو حنيفة على بعض جلسائه ثياباً رثة؛ فأمره فجلس حتى تفرق الناس وبقي وحده. فقال: له ارفع المصلى وخذ ما تحته فرفع الرجل المصلى فكان تحته ألف درهم. فقال له: خذ هذه الدراهم فغير بها حالك. قال الرجل: إني موسر وأنا في نعمة ولست أحتاج إليها. فقال له: ما بلغك الحديث **(إن الله يحب أن يرى أثر النعمة على عبده)**[٣]، فينبغي لك أن تغير حالك حتى لا يغتم بك صديقك»[٤].

وعن شريك قال: «كان أبو حنيفة طويل الصمت، كثير الفكر، دقيق النظر في الفقه لطيـف الاسـتخراج في العلم والعمـل والبحث، وكان يصبر على مـن يعلمه، وإن كان

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص٤٦.

(٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص٤٦.

(٣) مسـند أحمد ٤/ ٤٣٨(١٩٩٤٨) قال شعيب الأرناؤوط: إسـناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير فضيل بن فضالة القيسي فقد روى له النسائي وهو ثقة.

(٤) تاريخ بغداد١٣/ ٣٦١.

فقيراً أغناه وأجرى عليه وعلى عياله حتى يتعلم، فإذا تعلم قال له: قد وصلت إلى الغنى الأكبر بمعرفة الحلال والحرام»[(١)].

وهذا تلميذه أبو يوسف يقول عن شيخه: «أبو حنيفة زَيَّنه الله بالفقه والعلم والعمل والسخاء والبذل وأخلاق القرآن التي كانت فيه»[(٢)].

وعن النضر بن محمد قال: كان أبو حنيفة جميل الوجه، سري الثوب، عَطِرَ الريح. أتيته في حاجة وعلى كساء قرمسي، فأمر بإسراج بغله، وقال: أعطني كساءك وخذ كسائي، ففعلت. فلما رجع قال: يا نضر خجلتني بكسائك، هو غليظ، قال: وكنت أخذته بخمسة دنانير، ثم إني رأيته وعليه كساء قومته ثلاثين ديناراً[(٣)].

وقال عبدالله بن داوود الخريبي: «كنا عند أبي حنيفة، فقال رجل: إني وضعت كتاباً على خطك إلى فلان، فوهب لي أربعة آلاف درهم، فقال أبو حنيفة: إن كنتم تنتفعون بهذا فافعلوه»[(٤)].

المطلب الخامس

عنايته بالنابهين (أبو يوسف نموذجاً)

لقد كان لأبي حنيفة عناية خاصة بالنجباء من طلابه، ومن أشهرهم تلميذه أبو يوسف.

فعن أبي يوسف قال: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مُقِلٌّ رَثُّ الحال، فجاءني أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه، فقال أبي: يا بني لا تمد رجلك مع أبي

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص٤٥.
(٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص٤٥.
(٣) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٩.
(٤) سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٠.

حنيفة وأنت تحتاج إلى المعاش. قال: فَقَصَّرْتُ عن كثيرٍ من الطلب وآثرت طاعة أبي، **فتفقدني أبو حنيفة** رَضِوَاللَّهُعَنْهُ **وسأل عني**، فجعلت أتعاهد مجلسه فلما كان أول يوم آتيه بعد تأخري عنه قال: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش وطاعة والدي. فلما انصرف الناس دفع إلي صُرَّة وقال: استمتع بها، فنظرت فإذا فيها مائة درهم. وقال لي: الزم الحلقة وإذا فرغت هذه فأعلمني، فلزمت الحلقة، فلما مضت مدة يسيرة دفع إلي مائة أخرى(١).

ويقول أبو يوسف: توفي أبي وأنا صغير فأسلمتني أمي إلى قصار، فكنتُ أمر على حلقة أبي حنيفة فأجلس فيها، فكانت أمي تتبعني فتأخذ بيدي من الحلقة وتذهب بي إلى القصار، ثم كنت أخالفها في ذلك وأذهب إلى أبي حنيفة. فلما طال ذلك عليها قالت لأبي حنيفة: إن هذا صبي يتيم ليس له شيء إلا ما أطعمه من مغزلي، وإنك قد أفسدته علي. فقال لها: اسكتي يا رعناء، ها هو ذا يتعلم العلم، وسيأكل الفالوذج بدهن الفستق في صحون الفيروزج، فقالت: إنك شيخ قد خَرِفْتَ.

قال أبو يوسف: فلما وليت القضاء.. فبينا أنا ذات يوم عند الرشيد، إذ أتى بفالوذج في صحن فيروزج، فقال لي: كل من هذا فانه لا يصنع لنا في كل وقت. وقلت: وما هذا؟ فقال: هذا الفالوذج. قال: فتبسمت، فقال: مالك تتبسم؟ فقلت: لا شيء. فقال: لتخبرني. فقصصت عليه القصة، فقال: إن العلم ينفع ويرفع في الدنيا والآخرة. ثم قال: رحم الله أبا حنيفة فلقد كان ينظر بعين عقله، ما لا ينظر بعين رأسه»(٢).

وعن الفضل بن غانم قال: كان أبو يوسف مريضاً شديد المرض فعاده أبو

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٤٠١.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٠/ ١٨٠ مختصرة.

حنيفة مراراً، فصار إليه آخر مرة فرآه ثقيلاً فاسترجع، ثم قال: لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين، ولئن أصيب الناس بك ليموتن معك علم كثير.

ثم رزق العافية وخرج من العلة فأخبر بقول أبي حنيفة فيه؛ فارتفعت نفسه وانصرفت وجوه الناس إليه فعقد لنفسه مجلساً في الفقه وقصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة.

فسأل عنه؛ فأخبر أنه قد عقد لنفسه مجلساً وأنه بلغه كلامك فيه. فدعا رجلاً كان له عنده قدر. فقال: سر إلى مجلس يعقوب فقل له: ما تقول في رجل دفع إلى قصار ثوباً ليقصره بدرهم فسار إليه بعد أيام في طلب الثوب فقال له القصار ما لك عندي شيء وأنكره؟ ثم إن رب الثوب رجع إليه فدفع إليه الثوب مقصوراً؛ أله أجرة؟ فإن قال: له أجرة؛ فقل: أخطأت. وإن قال: لا أجرة له؛ فقل: أخطأت؟

فسار إليه فسأله؛ فقال: أبو يوسف: له الأجرة. فقال له: أخطأت. فنظر ساعة ثم قال: لا أجرة له. فقال له: أخطأت. فقام أبو يوسف من ساعته فأتى أبا حنيفة، فقال له: ما جاء بك إلا مسألة القصار. قال: أجل. فقال: سبحان الله من قعد يفتي الناس وعقد مجلساً يتكلم في دين الله وهذا قدره لا يحسن أن يجيب في مسألة من الإيجارات؟! فقال: يا أبا حنيفة علمني. فقال: إن كان قصره بعدما غصبه فلا أجرة له، لأنه إنما قصره لنفسه وإن كان قصره قبل أن يغصبه فله الأجرة. لأنه قصره لصاحبه. ثم قال: من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه»[1].

---

(١) تاريخ بغداد١٣/ ٣٥٠.

المبحث الثاني

دعوة الإمام مالك (ت ١٧٩هـ)

مالـك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبدالله: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، وإليه تنسب المالكية، مولده ٩٣هـ ووفاته ١٧٩هـ في المدينة[١].

يمكن بيان معالم دعوة إمام دار الهجرة الإمام مالك في مطلبين التالية:

المطلب الأول الصفات الدعوية للإمام مالك.

المطلب الثاني نماذج لمعالم منهجية في دعوة الإمام مالك.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٣ وما بعدها.

المطلب الأول

الصفات الدعوية للإمام مالك

○ أولاً: احتقار الذات والتواضع:

قال ابن وهب: «سمعت مالكاً وقال له ابن القاسم: ليس بعد أهل المدينة أحد أعلم بالبيوع من أهل مصر. فقال مالك: من أين علموا ذلك؟. قال: منك يا أبا عبدالله. فقال: «ما أعلَمُها أنا، فكيف يعلمونها بي»[١].

○ ثانياً: تقدير العلم وأهله:

عن عمر بن المحبر قال: قدم المهدي المدينة، فبعث إلى مالك، فأتاه، فقال لهارون وموسى: اسمعا منه، فبعث إليه، فلم يجبهما، فأعلما المهدي، فكلمه، فقال: يا أمير المؤمنين، العلم يؤتى أهله، فقال: صدق مالك، صيرا إليه، فلما صارا إليه، فقال له مؤدبهما: اقرأ علينا. فقال: إن أهل المدينة يقرؤون على العالم، كما يقرأ الصبيان على المعلم. فإذا أخطئوا أفتاهم، ولا يقرؤون. فقال: في هؤلاء قدوة، صيروا إليه، فاقرؤوا عليه، ففعلوا[٢].

وعن مصعب الزبيري قال: سأل هارون الرشيد مالكاً - وهو في منزله، ومعه بنوه- أن يقرأ عليهم. قال: ما قرأت على أحد منذ زمان وإنما يُقرأ عليّ، فقال: أخرج الناس حتى أقرأ أنا عليك، فقال: إذا مُنِعَ العام لبعض الخاص؛ لم ينتفع الخاص. وأمر معن ابن عيسى فقرأ عليه[٣].

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٧٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٦٣- ٦٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٦٦.

ثالثاً: الأدب مع العلم:

عن قتيبة قال: «كنا إذا دخلنا على مالك، خرج إلينا مزيناً مكحلاً مطيباً، قد لبس من أحسن ثيابه، وتصدر الحلقة، ودعا بالمراوح، فأعطى لكل منا مروحة»(١).

قيل لمالك: «لِمَ لَمْ تأخذ عن عمرو بن دينار؟ قال: أتيته، فوجدته يأخذون عنه قياماً، فأجللت حديث رسول الله ﷺ أن آخذه قائماً»(٢).

وعن إسماعيل بن أبي أويس قال: «سألت خالي مالكاً عن مسألة، فقال لي: قر. ثم توضأ، ثم جلس على السرير ثم قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وكان لا يفتي حتى يقولها»(٣).

قال الواقدي: «كان مالك يجلس في منزله على ضجاع ونمارق مطروحة يمنة ويسرة في سائر البيت لمن يأتي، وكان مجلسه مجلس وقار وحلم، وكان مهيباً، نبيلاً، ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط، وكان الغرباء يسألونه عن الحديث بعد الحديث، وربما أذن لبعضهم، فقرأ عليه، وكان له كاتب يقال له: حبيب، قد نسخ كتبه، ويقرأ للجماعة، فإذا أخطأ فتح عليه مالك، وكان ذلك قليلاً»(٤).

عن يحيى بن عبدالله بن بكير قال: «كان مالك إذا عرض عليه الموطأ تهيأ ولبس ثيابه وتاجه أو ساجه وعمامته، ثم أطرق فلا يتنخم ولا يبزق، ولا يعبث بشيء من لحيته حتى يفرغ من القراءة، إعظاماً لحديث رسول الله ﷺ»(٥).

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٦٤.
(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٦٨.
(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٦٦.
(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٨٠.
(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٣/ ٣٣.

قال الخزاعي: «كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج يحدث توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، وقلنسوته، ومشط لحيته. فقيل له في ذلك. فقال: أوقر به حديث رسول الله ﷺ»(١).

و«كان مالك بن أنس إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل، وتبخر، وتطيب، فإن رفع أحد صوته في مجلسه زبره، وقال: قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢]، فمن رفع صوته عند حديث رسول الله فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ»(٢).

وعن مالك، قال: «كان في نافع حدة، ثم حكى مالك: أنه كان يلاطفه ويداريه»(٣).

○ رابعاً: الحرص والتضحية والبذل في طلب العلم:

فقد «كان الإمام مالك حريصاً على الانتفاع من رواية الزهري إلى الحد الذي يجعله يذهب إلى بيته في يوم العيد فيجلس على بابه، لظنه أن هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب، وما أدخله ابن شهاب في يوم العيد إلا لما رأى من حرصه على العلم وقوة حافظته»(٤).

عن ابن مهدي قال: «لزمت مالكاً حتى ملني، فقلت يوماً: قد غبت عن أهلي هذه الغيبة الطويلة، ولا أعلم ما حدث بهم بعدي. قال: يا بني، وأنا بالقرب من أهلي، ولا أدري ما حدث بهم منذ خرجت»(٥).

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع٣/ ٤٣.
(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع٣/ ١١١
(٣) سير أعلام النبلاء ٥/ ٩٨.
(٤) انظر: شروح الموطأ (١٨).
(٥) سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٠٥.

قال الإمام مالك: «كنت آتي نافعاً نصف النهار وما تظلني الشـجر من الشمس إلى خروجه، فإذا خرج أدعه سـاعة كأني لم أرده ثم أتعرض له فأسـلم عليه وأدعه حتى إذا دخـل البلاط أقول له كيف قال ابن عمـر في كذا وكذا؟ فيجيبني، ثم أجلس عنده وكان فيه حِدَّةٌ، وكنت آتي ابن هرمز بكرة فما أخرج من بيته حتى الليل[(١)].

○ خامساً: احترام العلماء المتقدمين في العلم واستشارتهم:

قـال مالـك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أجبـت في الفتوى حتى سـألت من هو أعلم منـي: هل تراني موضعاً لذلك؟ سألت ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد، فأمراني بذلك.

قيل له: فلو نهوك؟ قال: كنت أنتهي، لا ينبغي للرجل أن يبذل نفسه حتى يسأل من هو أعلم منه[(٢)].

○ سادساً: القوة في الحق:

ضرب جعفر بن سليمان مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طلاق المكره، وحُمل على بعير، فقيل له: ناد على نفسـك، فقال: «ألا من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا مالك بـن أنس بن أبـي عامر الأصبحي وأنا أقول طلاق المكره ليس بشـيء»، فبلغ جعفر بن سليمان أنه ينادي على نفسه بذلك، فقال: أدركوه أنزلوه[(٣)].

وقـد رأينا في هذا الموقـف البلاء التي تعرض له مالـك رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتى ضرب وحمل على بعير، وما رأينا منه سخطاً أو تنازلاً عن مبادئه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بل صبراً وثباتاً على الحق.

(١) الشنف: القرط الأعلى، انظر: مختار الصحاح ص٣٥٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٦٢.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣١٦.

سابعاً: وضوح هدفه من طلب العلم:

وعن ابن وهب: «سمعت مالكاً يقول: ما تعلمت العلم إلا لنفسي، وما تعلمت ليحتاج الناس إلي، وكذلك كان الناس»[(١)].

ثامناً: الدقة في أخذ العلم:

قال عبدالمؤمن النسفي: سألت صالح بن محمد جزرة عن سفيان، ومالك، فقال: سفيان ليس يتقدمه عندي أحد، وهو أحفظ وأكثر حديثاً، ولكن كان مالك ينتقي الرجال، وسفيان أحفظ من شعبة، وأكثر حديثاً، يبلغ حديثه ثلاثين ألفاً، وشعبة نحو عشرة آلاف[(٢)].

المطلب الثاني

نماذج لمعالم منهجية في دعوة الإمام مالك

أولاً: العناية بتصحيح المعتقد والحكمة في الرد على المبتدعة:

جاء رجل مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: يا أبا عبدالله، الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء - يعني العرق - ثم رفع رأسه ورمى بالعود وقال: «الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة» وأمر به فأخرج[(٣)].

وفي هذا الموقف رأينا الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في غاية الحكمة والتبصر والأناة، فحين

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٦٦.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧١.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٢٥.

سأله الرجل تأنى وتبصر في الإجابة وجلس يفكر حتى علاه العرق، ثم من حكمته رأى أن يعامل ذلك الرجل بالشدة فأمر به فأُخرج.

ثانياً: الدعوة إلى تقوى الله والبعد عن المعاصي:

رحل الإمام الشافعي إلى الإمام مالك لطلب العلم، فقال الشافعي لمالك رحمهما الله: «أصلحك الله إني رجل مُطَلِّبي من حالي وقصتي.. فلما أن سمع كلامي نظر إلي ساعة وكانت لمالك فراسة، فقال لي ما اسمك؟ فقلت: محمد. قال: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن من الشأن..»[(١)].

ثالثاً: الدعوة إلى التمسك بالقرآن والسنة وترك الابتداع في الدين:

يقول عن نفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه...»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة. لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]. فما لم يكن يومئذ ديناً، فلن يكون اليوم ديناً»[(٣)].

رابعاً: التحذير من القول على الله بلا علم:

قال ابن وهب: سمعت مالكاً يقول: «اعلم أنه فسادٌ عظيمٌ أن يتكلم الإنسان بكل ما يسمع»[(٤)].

---

(١) تاريخ دمشق ٥١/ ٢٨٦.

(٢) تاريخ أصبهان ص١٥٥.

(٣) الاعتصام للشاطبي ١/ ٤٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٦٦.

واشتهر عن مالك أنه قال: «جنة العالم لا أدري، فإذا أغفلها أصيبت مقاتله»[١].

عن عمرو بن يزيد قال: «قلت: لمالك يا أبا عبدالله يأتيك ناس من بلدان شتى وأنفقوا نفقاتهم يسألونك عما جعل الله عندك من العلم!! تقول لا أدري!! فقال: يا عبدالله يأتيني الشامي من شامه والعراقي من عراقه والمصري من مصره؛ فيسألونني عن الشيء لعلي أن يبدو لي فيه غير ما أجيب به فأين أجدهم؟»[٢].

يقول ابن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ: سأل رجل مالكاً عن مسألة، فقال: لا أحسنها، فقال الرجل: إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها، فقال له مالك: فإذا رجعت إلى مكانك وموضعك فأخبرهم أني قد قلت لك إني لا أحسنها[٣].

ويقول الإمام مالك: «ما أجبت في الفتوى حتى سألت من هو أعلم مني: هل تراني موضعاً لذلك؟ سألت ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد، فأمراني بذلك. فقال له رجل: فلو أنهم نهوك؟ قال: كنت أنتهي، لا ينبغي للرجل أن يبذل نفسه حتى يسأل من هو أعلم منه»[٤].

➢ خامساً: الدعوة إلى الارتباط بالعلماء الثقات المتقنين المتخصصين الربانيين:

قال خالد بن خداش: «ودعت مالك بن أنس، فقلت: أوصني يا أبا عبدالله: قال: تقوى الله وطلب **الحديث** عند أهله»[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٧٧.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٢٤.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٢٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٦.

(٥) شروح الموطأ (٢٠).

وعـن مالك، قـال: لا يؤخذ العلم عن أربعة: سـفيه يعلن السـفه؛ وإن كان أروى النـاس، وصاحـب بدعة يدعو إلى هـواه. ومن يكذب في حديث النـاس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث. وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به(١).

وقال مالك لما سُئِل عن البسملة: «سـلوا عن كل علم أهله، ونافع إمام الناس في القراءة»(٢).

وعـن يحيى بن يحيى الليثي، قال: «كنا عند مالك، فاسـتؤذن لعبدالله بن المبارك بالدخول، فأذن له، فرأينا مالكاً تزحزح له في مجلسه، ثم أقعده بلصقه، وما رأيت مالكاً تزحزح لأحد في مجلسـه غيره، فكان القارئ يقرأ على مالك، فربما مر بشـيء، فيسأله مالـك: ما مذهبكم في هـذا؟ أو: ما عندكم في هذا؟ فرأيت ابن المبارك يجاوبه، ثم قام، فخرج، فأعجب مالك بأدبه، ثم قال لنا مالك: هذا ابن المبارك فقيه خراسان»(٣).

سادساً: الحث على البذل والتضحية في طلب العلم:

عن ابن القاسـم قال: كان مالك يقول: «إن هذا الأمر لن ينال حتى يذاق فيه طعم الفقر، وذكر ما نزل بربيعة من الفقر في طلب العلم، حتى باع خشب سقف بيته في طلب العلم، وحتى كان يأكل ما يلقى على مزابل المدينة من الزبيب وعصارة التمر»(٤).

عـن ابن وهب، قال لي مالـك: «العلم ينقص ولا يزيد، ولم يزل العلم ينقص بعد الأنبياء والكتب»(٥).

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٦٨.

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٣٣٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٠.

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ١/ ٤٦٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ٨/ ٦٥ .

سابعاً: الفقه والإخلاص الدعوي في نشر العلم:

قال محمد بن عمر، سمعت مالكاً يقول: لما حج المنصور، دعاني فدخلت عليه، فحادثته، وسألني فأجبته. فقال: عزمت أن آمر بكتبك هذه يعني الموطأ فتنسخ نسخاً، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة، وآمرهم أن يعملوا بما فيها، ويدعوا ما سوى ذلك من العلم المحدث، فإني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم.

قلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإن الناس قد سيقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سيق إليهم، وعملوا به، ودانوا به، من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، وإنّ ردَّهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه، وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم، فقال: لعمري، لو طاوعتني لأمرت بذلك(١).

ثامناً: مذاكرة العلم بين الدعاة:

فعن عون بن حكيم، قال: حججت مع الأوزاعي، فلما أتى المدينة، وأتى المسجد، بلغ مالكاً مقدمه، فأتاه، فسلم عليه، فلما صليا الظهر، تذاكرا أبواب العلم، فلم يذكرا باباً، إلا ذهب عليه الأوزاعي فيه. ثم صلوا العصر، فتذاكرا، كل يذهب عليه الأوزاعي فيما يأخذان فيه، حتى اصفرت الشمس، أو قرب اصفرارها، ناظره مالك في باب المكاتبة والمدبر(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٧٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/ ٥٥٥.

المبحث الثالث

دعوة الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ)

هـو محمـد بن إدريس بـن العباس بن عثمان ابن شـافع الهاشـمي القرشـي، أبو عبـدالله، أحـد الأئمة الأربعة، ولد في غزة سـنة ١٥٠هـ، وحمل منهـا إلى مكة وهو ابن سنتين. وقصد مصر وتوفي بها سنة ٢٠٤هـ[١].

ويمكن بيان دعوة الإمام الشافعي من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول الصفات الدعوية للإمام الشافعي.

المطلب الثاني نماذج لمعالم منهجية في دعوة الإمام الشافعي.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢.

المطلب الأول

الصفات الدعوية للإمام الشافعي

أولاً: الإخلاص في تعليم العلم:

قال الشافعي: «وودت أن الناس تعلموا هذا العلم - يعني كتبه - على أن لا يُنسب إليَّ منه شيء»(١).

ثانياً: الجمع بين قوة العلم والجسم:

قال عمرو بن سواد: قال لي الشافعي: «كانت نهمتي في الرمي وطلب العلم، فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من عشرة عشرة، وسكت عن العلم، فقلت: أنت والله في العلم أكبر منك في الرمي»(٢).

ثالثاً: الأدب مع العلم:

فقد ورد أنه قيل للشافعي رضي الله عنه: كيف شهوتك للأدب؟ فقال: أسمع بالحرف منه مما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعاً فتنعم به. قيل: وكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره(٣).

رابعاً: البذل في سبل طلب العلم:

نشأ الشافعي فقيراً، قال الشافعي: «كنت يتيماً في حجر أمي، ولم يكن لها ما تعطيني للمعلم، وكان المعلم قد رضي مني أن أقوم على الصبيان إذا غاب، وأخفف عنه»(٤). فرضي الشيخ بأن يجلس مكانه وقت الحاجة، فاستأجر منه جهده.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٥٩، ٦٠.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص٥.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٠/ ١١.

وقال: «كنت أكتب في الأكتاف والعظام، وكنت أذهب إلى الديوان، فأستوهب الظهور، فأكتب فيها»[١].

قال أحمد بن أبي سريج: سمعت الشافعي يقول: «قد أنفقت على كتب محمد ستين ديناراً، ثم تدبرتها، فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثاً، يعني: رد عليه»[٢].

وعن أحمد بن عبدالرحمن بن وهب قال سمعت الشافعي يقول: «طالب العلم يحتاج إلى ثلاث؛ إحداها: **حسن ذات اليد**، والثانية: طول عمر، والثالثة: يكون له ذكاء»[٣].

◈ خامساً: الذكاء والفطنة، وقوة الحجة، وحضور البديهة:

قال المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قلت: إن كان أحد يخرج ما في ضميري، وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي، فصرت إليه، وهو في مسجد مصر، فلما جثوت بين يديه، قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمت أن أحداً لا يعلم علمك، فما الذي عندك؟ فغضب، ثم قال: أتدري أين أنت؟ قلت: نعم. قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون. أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قلت: لا. قال: هل تكلم فيه الصحابة؟ قلت: لا. قال: تدري كم نجماً في السماء؟ قلت: لا. قال: فكوكب منها: تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، مم خلق؟ قلت: لا. قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟! ثم سألني عن مسألة في الوضوء، فأخطأت فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم أصب في شيء منه. فقال: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات، تدع علمه، وتتكلف علم الخالق، إذا هجس في ضميرك ذلك، فارجع إلى الله، وإلى قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ١١.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٥.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ٢٥٢.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٦٣-١٦٤]

فاستدل بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك. قال: فتبت[(١)].

وقد رأينا في هذا الموقف فطنة الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وذكاءه في إدراك حال من يحاوره ومدى تأثره بأهل الكلام، ثم رأينا اتخاذه بناء على ذلك الأسلوب الأمثل في دعوته، مع قوة في الحجة والبرهان وحضور للبديهة.

◈ سادساً: العناية بنفسه وتزكيتها:

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاص

المطلب الثاني

نماذج لمعالم منهجية في دعوة الإمام الشافعي

◈ أولاً: اعتماده على حجته بالقرآن والسنة والعقل:

قال أبو بكر المستملي: رأيت الشافعي في المسجد الحرام وقد جعلت له طنافس، فجلس عليها، فأتاه رجل من أهل خراسان، فقال: يا أبا عبدالله! ما تقول في أكل فرخ الزنبور-حشرة-؟ فقال: حرام. فقال: حرام؟! قال: نعم، من كتاب الله،

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣١.

(٢) ديوان الإمام الشافعي، جمع محمد عفيف الزعبي ص ٥٤.

وسنة رسول الله، والمعقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

وحدثنا سفيان عن زائدة، عن عبدالملك بن عمير، عن مولى لربعي، عن حذيفة: أن رسول الله ﷺ قال: (**اقتدوا باللذين من بعدي؛ أبي بكر، وعمر**)[(١)]، هذا الكتاب، والسنة.

وعن إسرائيل، قال أبو بكر المستملي: حدثنا أبو أحمد، عن إسرائيل، عن إبراهيم بن عبدالأعلى، عن سويد بن غفلة: «أن عمر أمر بقتل الزنبور»[(٢)].

وفي المعقول: أن ما أمر بقتله فحرام أكله[(٣)].

ثانياً: التمسك بالقرآن والسنة، وترك البدع والأهواء:

قال الشافعي: «والله لأن يفتي العالم؛ فيقال: أخطأ العالم خير له من أن يتكلم فيقال: زنديق، وما شيء أبغض إلي من الكلام وأهله»[(٤)].

قال الإمام الذهبي تعليقاً على هذا الكلام: «هذا دال على أن مذهب أبي عبدالله أن الخطأ في الأصول ليس كالخطأ في الاجتهاد في الفروع»[(٥)].

وهذا الشافعي يقول: «إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ، فقولوا بسنة رسول الله ﷺ، ودعوا ما قلت». وفي رواية: «فاتبعوها ولا تلتفتوا إلى قول أحد...»[(٦)].

---

(١) جامع الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر و عمر رضي الله عنهما كليهما (٣٦٦٢)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن؛ وصححه الألباني رحمه الله: صحيح سنن الترمذي ٣/ ٥٠٢.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ٣٤٧، (١٠٠٥٧)؛ وقال النووي في المجموع ٧/ ٢٨٣: إسناده صحيح.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٨٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٩.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٩.

(٦) إيقاظ الهمم ص٧٢.

وقال: «لأن يلقى الله العبد بكل ذنب إلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الأهواء»(١).

عن المزني قال: سأل رجل الشافعي عن مسألة؛ فقال الشافعي: روي فيها كذا وكذا عن النبي ﷺ. فقال له السائل: يا أبا عبدالله تقول به؟ فرأيت الشافعي أرعد وانتفض وقال: «يا هذا أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً فلم أقل به!! نعم على السمع والبصر»(٢).

وقال: سمعت الشافعي وقد روى حديثاً فقال له بعض من حضر: تأخذ بهذا؟ فقال: «إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فأنا أُشهدكم أن عقلي قد ذهب. ومد يديه»(٣).

يقول الشافعي: حكمي في أهل الكلام(٤) أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر، ينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام(٥).

ثالثاً: الدعوة إلى الأخلاق العالية وحسن العلاقة مع الناس:

عن يونس بن عبدالأعلى قال: قال لي الشافعي: «يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه؛ فإياك أن تبادره بالعداوة وقطع الولاية؛ فتكون ممن أزال يقينه بشك. ولكن القه وقل له: بلغني عنك كذا وكذا. واحذر أن تسمي له المبلغ. فإن أنكر ذلك

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٦.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٢٥٦.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ٢٥٦.

(٤) هم الذين اعتمدوا في إثبات العقيدة على العقل، وقالوا إن ما اقتضى العقل إثباته من صفات الله ﷻ، فهو ثابت، وما لم يقتض العقل إثباته فإنه لا يثبت، ويسلكون في ذلك إحدى طريقين، فإن كان يمكنهم الطعن في هذا الدليل أي في ثبوت هذا الدليل طعنوا فيه.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩.

فقل له: أنت أصدق وأبر؛ لا تزيدن على ذلك شيئاً. وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهاً لعذر فأقبل منه، وإن لم تر ذلك فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟ فإن ذكر ماله وجه من العذر فاقبل منه، وإن لم تر لذلك وجهاً لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ أثبتها عليه سيئة ثم أنت في ذلك بالخيار إن شئت كافأته بمثلها من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أقرب للتقوى وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]، فإن نازعتك نفسك بالمكافأة ففكر فيما سبق له لديك من الإحسان فعدها ثم أبدر له إحساناً بهذه السيئة ولا تبخسن باقي إحسانه السالف بهذه السيئة، فإن ذلك الظلم بعينه. يا يونس: إذا كان لك صديق فشد يديك به فإن اتخاذ الصديق صعب ومفارقته سهل»[(١)].

رابعاً: حسن العلاقة بالعلماء والدعاة وتحقيق الوحدة والائتلاف:

قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة[(٢)].

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ضياع العالم أن يكون بلا إخوان»[(٣)].

وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: «ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلهما مني إلا هبته واعتقدت مودته، ولا كابرني على الحق أحد ودافع الحجة إلا سقط من عيني»[(٤)].

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٢٥٢- ٢٥٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٢.

(٤) صفة الصفوة ٢/ ٢٥١.

وعن أحمد بن خالد الخلال قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: «ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ»[(١)].

وعن الحسين الكرابيسي يقول: سمعت الشافعي يقول: «ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحداً إلا ولم أبالِ بَيَّنَ اللهُ الحق على لساني أو لسانه»[(٢)].

خامساً: الدعوة إلى الصمت والتفكر والاهتمام بالنظافة، والانتفاع بالعلم:

عن الربيع بن سليمان قال: قال الشافعي: «استعينوا على الكلام بالصمت، وعلى الاستنباط بالفكر»[(٣)].

عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول: «من نظف ثوبه قل همه، ومن طاب ريحه زاد عقله»[(٤)].

قال الشافعي: «العلم ما نفع، ليس العلم ما حُفِظ»[(٥)].

سادساً: العناية بطلاب العلم ووصيتهم بما ينفعهم:

ومن ذلك حثه طلاب العلم على حفظ العلم، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من حضر مجلس العلم بلا محبرة ولا ورق؛ كان كمن حضر الطاحون بغير قمح»[(٦)].

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٢٥١.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٢٥١.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ٢٥٣.

(٤) صفة الصفوة ٢/ ٢٥٦.

(٥) حلية الأولياء ٩/ ١٢٣.

(٦) دعوة على منهاج النبوة١/ ١٠٩.

وعن الربيع قال: خرج علينا الشافعي ذات يوم ونحن مجتمعون فقال لنا: «اعلموا رحمكم الله أن هذا العلم يند كما تند الإبل[(١)]، فاجعلوا الكتب له حماة والأقلام عليه رعاة»[(٢)].

وإرشادهم إلى عدم الاستحياء في طلب العلم عند الخطأ، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «من ضُحِكَ منه في مسألة لم ينسها أبداً»[(٣)].

وتنبيههم على عدم الاستعجال في التصدر للتعليم والفتوى، فعن الربيع قال: قال الشافعي: «من طلب الرياسة فرت منه، وإذا تصدر الحَدَثُ فاته علم كثير»[(٤)].

عن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: «أشد الأعمال ثلاثة: الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يرجى ويخاف»[(٥)].

سابعاً: الدعوة إلى طلب العلم والارتباط العلماء:

قال الشّافعيّ: «طلب العلم أفضل من النّافلة»[(٦)]، وقال: «قراءة الحديث خير من صلاة التطوع»[(٧)].

قال الشافعي: «من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تكلم في الفقه نما قدره، ومن

(١) ند البعير: شرد.

(٢) تاريخ دمشق٥١/ ٤١٠.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ٢٥٣.

(٤) صفة الصفوة ٢/ ٢٥٢.

(٥) صفة الصفوة ٢/ ٢٥١.

(٦) سير أعلام النبلاء١٠/ ٢٣.

(٧) سير أعلام النبلاء١٠/ ٢٣.

كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه»[(١)].

وقال: «لا تسكنن بلداً لا يكونن فيه عالم ينبئك عن دينك، ولا طبيب ينبئك عن أمر بدنك»[(٢)].

وقال الشافعي: «العالم يُسْئَل عما يعلم وعما لا يعلم، فيثبت ما يعلم، ويتعلم ما لا يعلم، والجاهل يغضب من التعلم، ويأنف من التعليم»[(٣)].

ثامناً: العناية بمهارات التعلم والتعليم:

وعن الربيع قال: قلت للشافعي: «من أقدر الفقهاء على المناظرة؟ قال: من عود لسانه الركض في ميدان الألفاظ لم يتلعثم إذا رمقته العيون»[(٤)].

وعنه قال: قال الشافعي: «أحسن الاحتجاج: ما أشرقت معانيه، وأحكمت مبانيه وابتهجت له قلوب سامعيه»[(٥)].

ومن ذلك نصيحته لإخوانه المعلمين في آداب التعليم وفنونه: فعن نهشل بن كثير عن أبيه قال: أدخل الشافعي يوماً إلى بعض حجر هارون الرشيد ليستأذن له ومعه سراج الخادم، فأقعده عند أبي عبدالصمد مؤدب أولاد هارون الرشيد، فقال سراج للشافعي: يا أبا عبدالله هؤلاء أولاد أمير المؤمنين، وهذا مؤدبهم فلو أوصيته بهم؛ فأقبل عليه فقال: «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك، فإن

(١) سير أعلام النبلاء١٠/ ٢٤.
(٢) تاريخ دمشق٥١/ ٤١٠.
(٣) سير أعلام النبلاء١٠/ ٤١.
(٤) سير أعلام النبلاء١٠/ ٤١.
(٥) تاريخ دمشق٥١/ ٤١٠.

أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تكرهه علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه. ثم رَوِّهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه؛ فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم»(١).

تاسعاً: البذل المالي والتضحية في سبيل الدعوة:

عن المزني قال: «سمعت الشافعي يقول: السخاء والكرم يغطيان عيوب الدنيا والآخرة بعد أن لا يلحقهما بدعة»(٢).

قال الربيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تزوجت فسألني الشافعي كم أصدقتها؟ قلت: ثلاثين ديناراً عجلت منها ستة، فأعطاني أربعة وعشرين ديناراً»(٣).

قال محمد بن عبدالله بن عبدالحكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان الشافعي أسخى الناس بما يجد، وكان يمر بنا فإن وجدني وإلا قال قولوا لمحمد إذا جاء يأتي المنزل فإني لست أتغدى حتى يجيء، فربما جئته فإذا قعدت معه على الغداء؛ قال: يا جارية اضربي لنا فالوذج، فلا تزال المائدة بين يديه حتى تفرغ منه فتغدى»(٤).

وقال الحميدي: «قدم الشافعي مرة من اليمن ومعه عشرون ألف دينار، فضرب خيمته خارجاً من مكة فما قام حتى فرقها كلها»(٥).

عن محمد بن عبدالله بن عبدالحكم قال: «كان الشافعي من أسخى الناس. وكنت

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٢٥٥- ٢٥٦.

(٢) تاريخ دمشق٥١/ ٣٩٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٧.

(٤) تاريخ دمشق٥١/ ٤٠٣.

(٥) صفة الصفوة ٢/ ٢٥٦.

آكل مع الشافعي تمراً ملوزاً من هذه الجراب، فجاء رجل فقعد وأكل، وكان يجلس إليه، وكان الشافعي سخياً فلما فرغ من الأكل قال الرجل للشافعي: ما تقول في أكل الفجأة؟ فلوى عنقه وقال هلا كان السؤال قبل أن تأكل»[١].

وعن أبي ثور إبراهيم بن خالد قال: «كان الشافعي من أجود الناس وأسمحهم كفاً كان يشتري الجارية الصناع التي تطبخ وتعمل الحلواء، ويقول لنا: تشهوا ما أحببتم فقد اشتريت جارية تحسن أن تعمل ما تريدون، قال: فيقول: لها بعض أصحابنا اعملي لنا اليوم كذا وكذا، فكنا نحن الذي نأمرها بما نريد وهو مسرور»[٢].

عن إبراهيم بن محمد قال: «باع الشافعي ضيعة له بعشرة آلاف درهم، فنصبه على نطع بمنى فكل من أتاه حثا له، من الأشراف وأهل العلم وأهل الأدب بكفه حتى بقي شئ يسير..»[٣].

وعن ربيعة قال: «ناول إنسان الشافعي رقعة فيها: إنني رجل بَقَّال أبيع البقل ورأس مالي درهم، وقد تزوجت امرأة وأريد أن أدخل بها وليس لي إلا ذلك الدرهم، تعينني بشيء؟ فقال لي: يا ربيع أعطه ثلاثين ديناراً وأعذرني عنده. قال: قلت: أصلحك الله إن هذا تكفيه عشرة دراهم؟ قال: ويحك يا ربيع وما نصنع بثلاثين ديناراً!! أفي كذا أم في كذا. يَعُدُّ ما يصنع في جهازه أعطه ثلاثين ديناراً وأعذرني عنده»[٤].

---

(١) تاريخ دمشق ٥١/ ٣٩٨.
(٢) تاريخ دمشق ٥١/ ٤٠٣.
(٣) تاريخ دمشق ٥١/ ٣٩٨.
(٤) تاريخ دمشق ٥١/ ٤٠٠.

المبحث الرابع

دعوة الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ)

هـو أحمد بـن حنبل، أبـو عبدالله، الشـيباني الوائلي، إمـام أهل السـنة والجماعة والمذهـب الحنبلي، وولد ببغداد سـنة ١٦٤، سـافر لطلب العلم كثيـراً وابتلي فصبر، توفي ٢٤١هـ[١].

ويمكن بيان أوجه دعوة الإمام من خلال المطالب التالية:

المطلب الثاني نماذج لمعالم منهجية في دعوة الإمام أحمد.

المطلب الثالث عناية الإمام أحمد بأولاده.

المطلب الثالث عناية الإمام أحمد بأولاده.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢١٢ وما بعدها.

المطلب الأول

الصفات الدعوية للإمام أحمد

أولاً: الدعاء للعلماء:

عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي: يا أبت أي رجل كان الشافعي؟ سمعتك تكثر من الدعاء له! فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض»[(١)].

وعن الميموني قال: «سمعت أحمد بن حنبل يقول: ستة أدعو لهم في السحر أحدهم الشافعي»[(٢)].

ثانياً: الاعتراف بالفضل لأهله:

وكان أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «كان الفقه مقفلاً على أهله، حتى فتحه الله بالشافعي»[(٣)].

ثالثاً: العناية بحسن المظهر:

وعن عبدالملك بن عبدالحميد الميموني قال: «ما أعلم أني رأيت أحداً، أنظف ثوباً ولا أشد تعاهداً لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقى ثوباً وأشده بياضاً من أحمد بن حنبل»[(٤)].

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٦٦.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٦٦.

(٣) تاريخ دمشق٥١/ ٣٤٥، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٤١٠.

(٤) سير أعلام النبلاء١١/ ٢٠٨.

☜ رابعاً: عـزة النفس والابتعاد عما في أيدي الناس والكسب من عمل اليد:

عن أبي إسماعيل محمد بن إسماعيل السلمي قال: قال لي إسحاق بن راهوية: أخبرك عن أبي عبدالله بشيء: كنت أنا وهو باليمن عند عبدالرزاق، وكنت أنا فوق في الغرفة وهو أسفل، وكنت إذا جئت لموضع اشتريت جارية، فنزلت يوما فقلت: يا أبا عبدالله نحن فوق وأنت أسفل؛ ربما تحركنا، إن رأيت أن تكون فوق ونحن أسفل. فقال: لا. ذاك أرفق بي وأنا يسرني ما أنتم فيه فاطلعت على أن نفقته فنيت، فعرضت عليه فأبى. قلت: يا أبا عبدالله إن شئت قرضاً وإن شئت صلة؟ فأبى فنظرت فإذا هو ينسج التكك ويبيع وينفق»[1].

وعن إسحاق بن راهوية قال: «لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبدالرزاق انقطعت به النفقة، فأكرى نفسه من بعض الجمالين إلى أن وافى صنعاء، وقد كان أصحابه عرضوا عليه المواساة فلم يقبل من أحد شيئاً»[2].

وعن الرمادي قال: سمعت عبدالرزاق وذكر أحمد بن حنبل فدمعت عيناه، فقال: قدم وبلغني أن نفقته نفدت؛ فأخذت عشرة دنانير وأقمته خلف الباب، وما معي ومعه أحد، وقلت: إنه لا تجتمع عندنا الدنانير، وقد وجدت الساعة عند النساء عشرة دنانير، فخذها فأرجو ألا تنفقها حتى يتهيأ عندنا شيء، فتبسم. وقال لي: يا أبا بكر لو قبلت شيئاً من الناس قبلت منك، ولم يقبل»[3].

---

(١) تاريخ دمشق٥/ ٣٠٤.
(٢) سير أعلام النبلاء١١/ ٢١٤.
(٣) صفة الصفوة ٢/ ٣٤١.

وعن علي بن الجهم قال: كان له جار فأخرج إلينا كتاباً فقال: أتعرفون هذا الخط؟ قلنا: هذا خط أحمد بن حنبل! كيف كتب لك؟ قال: كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عيينة ففقدنا أحمد بن حنبل أياماً لم نره، ثم جئنا إليه لنسأل عنه، فقال لنا أهل الدار التي هو فيها: هو في ذلك البيت فجئنا إليه والباب مردود عليه، فقلنا له يا أبا عبدالله ما خبرك؟ لم نرك منذ أيام؟ فقال: سرقت ثيابي. فقلت له: معي دنانير فإن شئت فخذ قرضاً، وإن شئت فَصِلَة. فأبى أن يفعل. فقلت تكتب لي بأجره؟ قال: نعم. فأخرجت ديناراً، فأبى أن يأخذه وقال: اشتر لي ثوباً واقطعه بنصفين، فأومأ إلي أنه يأتزر بنصف ويرتدي بالنصف الآخر وقال: جئني بنفقته. ففعلت وجئت بورق فكتب لي وهذا خطه»[1].

وقال إسحاق بن موسى الأنصاريّ: «دفع إليّ المأمون مالاً فقال: اقسمه على أصحاب الحديث فإنَّ فيهم ضعفاً. فما بقي أحد إلا أخذ، إلا أحمد بن حنبل فإنَّه أبى»[2].

☜ خامساً: الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة:

قال الإمام أحمد: «إذا ذكر الموت هان عليّ كل شيء من أمر الدنيا، وإنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل، ما أَعْدِل بالفقر شيئاً»[3].

ومن أجمل ما رأيت في وصف زهد الإمام أحمد قول تلميذه: سليمان بن الأشعث السجستاني: «لقيت مائتين من مشايخ العلم، فما رأيت مثل أحمد بن حنبل لم يكن يخوض في شيء مما يخوض فيه النَّاس من أمر الدنيا. فإذا ذُكر العلم تكلم»[4].

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٣٠٢.

(٢) تاريخ دمشق ٥/ ٣٠٥.

(٣) تاريخ دمشق ٥/ ٣٢٤.

(٤) تاريخ دمشق ٥/ ٢٩١.

☜ سادساً: الهمة العالية والرحلة في طلب العلم:

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «رحلت في طلب الحديث والسنة إلى الثغور والشامات، والسواحل والمغرب والجزائر، وفارس وخرسان والأطراف، ثم عدت إلى بغداد»[١].

☜ سابعاً: حسن الخلق والسمت الحسن:

قال المروذي: لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أحمد، كان مائلاً إليهم، مقصراً عن أهل الدنيا، وكان فيه حلم، ولم يكن بالعجول، وكان كثير التواضع، تعلوه السكينة والوقار، وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا، لا يتكلم حتى يسأل، وإذا خرج إلى مسجده، لم يتصدر.. وكان حسن الخلق، دائم البشر، لين الجانب، ليس بفظ، وكان يحب في الله، ويبغض في الله، وإذا كان في أمر من الدين، اشتد له غضبه، وكان يحتمل الأذى من الجيران[٢].

☜ ثامناً: شدة حرصه على تطبيق السنة والعمل بالعلم:

قال المروذي: قال لي أحمد: ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به، حتى مر بي أن النبي ﷺ احتجم، وأعطى أبا طيبة ديناراً، فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت[٣].

☜ تاسعاً: الهيبة:

وقال أحمد بن شيبان: «ما رأيتُ يزيد بن هارون لأحد أشدّ تعظيماً منه لأحمد ابن حنبل، وكان يقعده إلى جنبه إذا حدثنا وكان يوقر أحمد بن حنبل ولا يمازحه»[٤].

---

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٤٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢١٨- ٢٢٠ باختصار.

(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢١٣.

(٤) الجرح والتعديل ١/ ٢٩٧.

وكان يزيد بن هارون صاحب طرافة، لكنَّه يتحرّز من ذلك عند الإمام أحمد، قال خلف بن سالم: «كنَّا في مجلس يزيد بن هارون، فمزح يزيد مع مستمليه، فتنحنح أحمد بـن حنبل، فضرب يزيد بيـده على جبينه، وقال: ألا أعلمتمـوني أنَّ أحمد ههنا حتى لا أمزح»[1].

عاشراً: الصبر:

وهـذا يظهر بشـكل كبير في محنة خلق القـرآن -كما يأتي بيانـه-، وفي صبره على الزهد في الدنيا، وطلب العلم والاجتهاد فيه، وتبليغ ذلك العلم.

قـال الأديب مصطفى صادق الرافعي في كتابه وحي القلم: «كنت لا أزال أعجب من صبر الإمام أحمد بن حنبل، وقد ضُرب بالسياط حتى غُشي عليه، فلم يتحول عن رأيه فعلمت الآن أنه لم يجعل في نفسه للضرب معنى الضرب، ولا عرف للصبر معنى الصبر الآدمي، ولكنه وضع في نفسه معنى ثبات السُنة وبقاء الدين، وأنه هو الأمة كلها لا أحمـد بـن حنبل، فلو تحول لتحول الناس، ولو ابتـدع لابتدعوا، فكان صبره صبر أُمةٍ كاملة، لا صبر فرد. وكان يضرب بالسـياط ونفسه فوق معنى الضرب، إذ لم يكن جسـمه إلا ثوباً عليه، وكان الرجل هو الفكرة ليس غير، هؤلاء قومٌ لا يرون فضائلهم فضائل، ولكنهم يرونها أمانات قد ائتمنوا عليها من الله، لكي تبقى بهم معانيها في هذه الدنيا، فهم يزرعون في الأمم زرعاً بيد الله، ولا يملك الزرع غير طبيعته، وما كان هذا الـذي يريد الإمام علـى غير رأيه وعقيدته إلا كالأحمق يقول لشـجرة التفاح: أثمري غير التفاح»[2].

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٢٩٧.

(٢) وحي القلم ٢/ ١٤٤.

المطلب الثاني

نماذج لمعالم منهجية في دعوة الإمام أحمد

أولاً: مناصحة الدعاة بلزوم التقوى والإقبال على الآخرة وقيام الليل:

وعن علي بن المديني قال: قال لي أحمد بن حنبل: «إني لأحب أن أصحبك إلى مكة وما يمنعني من ذاك إلا أني أخاف أن أملك أو تملني!! قال: فلما ودعته قلت: يا أبا عبدالله توصيني بشيء؟ قال: نعم. الزم التقوى قلبك، وألزم الآخرة أمامك»(١).

عن أبي عصمة بن عصام البيهقي قال: «بت ليلة عند أحمد بن حنبل فجاء بالماء فوضعه فلما أصبح نظر في الماء فإذا هو كما كان!! فقال: «سبحان الله رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل!! قال: قلت: مسافر. قال: وإن كنت مسافراً لحج »(٢).

ثانياً: الدعوة إلى الاهتمام بفهم العلم وحفظه:

اهتم الإمام أحمد بالسماع من فقه الشافعي وترك مجلس ابن عيينة !! فلما سئل عن ذلك قال: «إنك إن فاتك الحديث بعلوّ تجده بنزول، ولا يضرك ذلك - يعني: كوني راوياً لن يؤثر فيَّ كثيراً أن يموت ابن عيينة؛ فأروى الرواية ممن سمعها منه لاحقاً، فالنصوص باقية معهم- أما إن فاتك عقل هذا الفتى - يقصد الشافعي- فإني أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة، ما رأيتُ أحداً أفقه بكتاب الله تعالى من هذا الفتى القرشي»(٣).

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٣٤٠.

(٢) سير أعلام النبلاء١١/ ٢٩٨.

(٣) الجرح والتعديل ٧/ ٢٠٣.

وقد كان أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، يقولان: «كل من لا يكتب العلم لا يؤمن عليه الغلط»[(١)].

ثالثاً: الدعوة إلى اتباع السنة لا تقليد الأئمة:

قال الإمام أحمد: «لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا...»[(٢)].

رابعاً: تصحيح المفاهيم الخاطئة عند المدعوين:

سأل رجل الإمام أحمد بن حنبل فقال: «إني أريد الحج على قدم التوكل. فقال: اخرج وحدك. فقال: لا، إلا مع الناس. فقال له: أنت إذن متكل على أجربتهم[(٣)]»[(٤)].

خامساً: التحذير من البدع وأهلها وفقه التعامل في ذلك:

قال أبو داوود: قلت لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: أرى رجلاً من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة أترك كلامه؟ قال: لا، أو تُعْلِمهُ أنَّ الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعة. فإن ترك كلامه فكلّمه، وإلَّا فألحقه به[(٥)].

سادساً: توجيههم إلى فقه الأولويات:

وسئل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طلب العلم أحب إليك أو أرجع إلى أمي وكان السائل غريباً عن بلده فقال: «إذا كان العلم فيما لا بد منه أن تطلبه فلا بأس»[(٦)].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر ١/ ٣٣٠.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٤٣٠.

(٣) أجربتهم: جمع جراب وهو ما يوضع به متاع المسافر من طعام ونحوه قال في اللسان ١/ ٢٥٩ «الجِراب: الوِعاءُ مَعْرُوف، وقيل: هو المِزْوَدُ، والجمع أَجْرِبةٌ، والجِرابُ: وِعاءٌ من إهاب الشَّاءِ لا يُوعَى فيه إلا يابسٌ».

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ١٤-١٦.

(٥) طبقات الحنابلة ١/ ١٦٠.

(٦) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٤٥١رقم(١٧٠٥).

سابعاً: قبول النصيحة والثبات على الحق لكي لا يلبس على الناس:

يقول جعفر الأنباري: لما حمل أحمد إلى المأمون، أخبرت، فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان، فسلمت عليه، فقال: يا أبا جعفر، تعنيت[1]، فقلت: يا هذا، أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك، فو الله لئن أجبت إلى خلق القرآن، ليجيبن خلق، وإن أنت لم تجب، ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، لابد من الموت، فاتق الله ولا تجب.

فجعل أحمد يبكي، ويقول: ما شاء الله. ثم قال: يا أبا جعفر، أعد علي. فأعدت عليه، وهو يقول: ما شاء الله[2].

قد ورد في فتنة خلق القرآن أن المروذي قال: قلت: يا أستاذ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، قال: يا مروذي، اخرج وانظر. فخرجت إلى رحبة دار الخلافة، فرأيت خلقاً لا يحصيهم إلا الله، والصحف في أيديهم، والأقلام والمحابر. فقال لهم المروذي: ماذا تعملون؟ قالوا: ننظر ما يقول أحمد، فنكتبه. فدخل فأخبره. فقال: يا مروذي! أضل هؤلاء كلهم!!»[3].

فقد تحمل الإمام أحمد من البلاء ما لا يطيقه عامة البشر من أجل أن يصل الحق للناس، ولا يضلهم لكي يتخفف من العذاب، حتى قال عنه ابن الجوزي: «هذا رجل هانت عليه نفسه في الله تعالى فبذلها؛ كما هانت على بلال نفسه، وإنما تهون أنفسهم عليهم لتلمحهم العواقب. فعيون البصائر ناظرة إلى المآل، لا إلى الحال. فسبحان من أيده وبصره، وقواه ونصره»[4].

---

(١) من المعاناة: وهي المقاساة، عانى الشيءَ قاساه، ويقال عاناه وتَعَنَّاه وتَعَنَّى. لسان العرب (١٥/ ١٠١).

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٣٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٥٣-٢٥٤.

(٤) مناقب الإمام أحمد ص ٣٢٩-٣٣٠.

ثامناً: الحرص على تعليم العلم تحت أي ظروف:

عبدالرحمن بن أحمد وهو - حفيد بقي بن مخلد- قال: سمعت أبي يقول: رحل أبي من مكة إلى بغداد، وكان رجلاً بغيته ملاقاة أحمد بن حنبل، قال: فلما قربت بلغتني المحنة، وأنه ممنوع، فاغتممت غماً شديداً.. فذهبت أستدل على منزل أحمد بن حنبل، فدللت عليه، فقرعت بابه، فخرج إلي، فقلت: يا أبا عبدالله: رجل غريب، نائي الدار، هذا أول دخولي هذا البلد، وأنا طالب حديث ومقيد سُنة، ولم تكن رحلتي إلا إليك، فقال: ادخل ولا يقع عليك عين.

فدخلت، فقال لي: وأين موضعك؟ قلت: جئت من المغرب الأقصى، وبلدي الأندلس. قال: إن موضعك لبعيد، وما كان شيء أحب إلي من أن أحسن عون مثلك، غير أني ممتحن بما لعله قد بلغك. فقلت: بلى، قد بلغني، وهذا أول دخولي، وأنا مجهول العين عندكم، فإن أذنت لي أن آتي كل يوم في زي السؤال، فأقول عند الباب ما يقوله السؤال، فتخرج إلى هذا الموضع، فلو لم تحدثني كل يوم إلا بحديث واحد، لكان لي فيه كفاية. فقال لي: نعم. فقلت: فكنت آخذ عصاً بيدي، وألف رأسي بخرقة مدنسة، وآتي بابه فأصيح: الأجر - رحمك الله - والسؤال هناك كذلك، فيخرج إلي، ويغلق ويحدثني بالحديثين والثلاثة والأكثر، فالتزمت ذلك حتى مات الممتحن له، وولي بعده من كان على مذهب السنة، فظهر أحمد، وعلت إمامته، وكانت تضرب إليه آباط الإبل، فكان يعرف لي حق صبري، فكنت إذا أتيت حلقته فسح لي، ويقص على أصحاب الحديث قصتي معه، فكان يناولني الحديث مناولة، ويقرؤه علي، وأقرؤه عليه»[1].

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٩٢-٢٩٤، مختصراً.

تاسعاً: الدعوة إلى المفهوم الحقيقي للزهد:

الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: الزهد على ثلاثة أوجه: الأول: ترك الحرام وهو زهد العوام، والثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص، والثالث: ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين(١).

عاشراً: النصح لولاة الأمور، والتعامل الشرعي معهم:

قال الإمام أحمد بن حنبل: «وإني لأرى طاعةَ أميرِ المؤمنين في السرِّ والعلانيةِ، وفي عُسري ويُسري، ومَنشطي ومكرهي، وأثرةٍ عليَّ، وإني لأدعو اللهَ له بالتسديدِ والتوفيقِ في الليلِ والنهارِ»(٢).

وقد أدى الإمام أحمد نصيحته لولاة الأمور ملتزماً بالمنهج الإسلامي في ذلك، نصيحة لم تقلل من شأنهم وتدعو للخروج عليهم، وكذلك نصيحة لم يميع فيها أمور الدين ويتنازل عن الحق من أجل إرضائهم.

المطلب الثالث

عناية الإمام أحمد بأولاده

عن صالح بن أحمد بن حنبل: قال لي أبي: «جاءني أمس رجل كنت أحب أن تراه، بينا أنا قاعد في نحر الظهيرة، إذا برجل سلم بالباب، فكأن قلبي ارتاح، ففتحت، فإذا أنا برجل عليه فروة، وعلى رأسه خرقة، ما تحت فروه قميص، ولا معه ركوة جراب ولا عكاز، قد لوحته الشمس. فقلت: ادخل، فدخل الدهليز، فقلت: من أين أقبلت ؟

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ١٤.

(٢) البداية والنهاية ١٤/ ٤١٣.

قال: من ناحية المشرق أريد الساحل، ولولا مكانك ما دخلت هذا البلد، نويت السلام عليك. قلت: على هذه الحال؟ قال: نعم.

ما الزهد في الدنيا؟ قلت: قصر الأمل. قال: فجعلت أعجب منه. فقلت في نفسي: ما عندي ذهب ولا فضة، فدخلت البيت، فأخذت أربعة أرغفة، فخرجت إليه، فقال: أو يسرك أن أقبل ذلك يا أبا عبدالله؟ قلت: نعم. فأخذها، فوضعها تحت حضنه. وقال: أرجو أن تكفيني إلى الرقة؛ أستودعك الله»[١].

وكتب عبدالله بن أحمد، سمعت أبي وذكر الدنيا فقال: «قليلها يجزئ، وكثيرها لا يجزئ». وقال أبي وقد ذكر عنده الفقر: «الفقر مع الخير»[٢].

عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، قال: «سألت أبي رَحِمَهُ اللَّهُ عمن طلب العلم ترى له أن يلزم رجلاً عنده علم فيكتب عنه؟ أو ترى أن يرحل إلى المواضع التي فيها العلم فيسمع منهم؟ قال: يرحل يكتب عن الكوفيين والبصريين، وأهل المدينة ومكة، والشام، يلقى الناس يسمع منهم»[٣].

عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: «سمعت أبي يقول: طلب علو الإسناد من الدين»[٤].

وقد ورد أن عبدالله بن أحمد بن حنبل سمع من ابن المبارك صغيراً، فصنع أبوه طعاماً، ودعا الناس، وقال: «اشهدوا أن ابني سمع من عبدالله»[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء١١/ ٢٠٧- ٢٠٨.

(٢) سير أعلام النبلاء١١/ ٢٠٨.

(٣) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ١٣برقم (١١)

(٤) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ١٤برقم (١٢).

(٥) سير أعلام النبلاء ص١٢/ ٦.

الفصل الرابع

نماذج من الدعوة من حياة أئمة الكتب الستة

وفيه ست مطالب:

المبحث الأول: دعوة الإمام البخاري (ت٢٥٦هـ).

المبحث الثاني: دعوة الإمام مسلم (ت٢٦١هـ).

المبحث الثالث: دعوة الإمام أبي داوود (ت٢٧٥هـ).

المبحث الرابع: دعوة الإمام الترمذي (ت٢٧٩هـ).

المبحث الخامس: دعوة الإمام النسائي (ت٣٠٣هـ).

المبحث السادس: دعوة الإمام ابن ماجه (ت٢٧٣هـ).

المبحث الأول

دعوة الإمام البخاري (تـ٢٥٦هـ)

الإمام البخاري هو محمد بن إسماعيل البخاري، علم من أعلام الإسلام ألف كتابه الصحيح الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.

وبهذا كان للإمام البخاري دور كبير في الدعوة إلى الله في مجال مهم من مجالات الدعوة وهو حفظ السنة وتنقيتها ونشرها وفهمها.. وتميز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكثير من المميزات الدعوية التي أهلته للقيام بهذا العمل الدعوي المهم.

ومن هنا يمكن بيان دعوة الإمام البخاري في النقاط التالية:

◆ أولاً: سعة علمه وقوة حفظه ونهمه في طلب العلم وتقييده ونشره:

ما كاد البخاري يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى حفظ كتب ابن المبارك ووكيع، وغيرها من كتب الأئمة المحدثين، حتى بلغ محفوظه آلاف الأحاديث وهو لا يزال غلاماً.. وكانت بخارى آنذاك مركزاً من مراكز العلم، تمتلئ بحلقات المحدِّثين والفقهاء[1].

وعن رحلاته في طلب العلم يقول البخاري: «دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربع مرات، وأقمت بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد»[2].

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٦،٧.

(٢) فتح الباري ١/ ٤٧٨.

ويحدد عدد شيوخه فيقول: «كتبت عن ألف وثمانين نفساً، ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»(١).

قال أبو نعيم أحمد بن حماد: «هو فقيه هذه الأمة»(٢).

وقال أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي: «محمد بن إسماعيل البخاري أفقهنا وأعلمنا وأغوصنا وأكثرنا طلباً»(٣).

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: كان أبو عبدالله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحياناً، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري (يشعل) ناراً ويسرج، ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها(٤).

وروي عن البخاري أنه قال: لم تكن كتابتي للحديث كما كَتَبَ هؤلاء؛ كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته، وحمله الحديث إن كان الرجل فهماً، فإن لم يكن سألته أن يخرج إلى أصله ونسخته(٥).

وكان العباس الدوري يقول: ما رأيت أحداً يحسن طلب الحديث مثل محمد بن إسماعيل، كان لا يدع أصلاً ولا فرعاً إلا قلعه، ثم قال لنا: لا تدعوا من كلامه شيئاً إلا كتبتموه!(٦).

كان من كلام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما جلست للحديث حتى عرفت الصحيح من

---

(١) فتح الباري ١/ ٤٧٩.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٣١.

(٣) البداية والنهاية١١/ ٣٢.

(٤) تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٤٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٨٦.

(٦) سير اعلام النبلاء١٠/ ٨٦.

السقيم، وحتى نظرت في عامة كتب الرأي، وحتى دخلت البصرة خمس مرات أو نحوها، فما تركت بها حديثاً صحيحاً إلا كتبته، إلا ما لم يظهر لي»[١].

ويذكر البخاري السبب الذي جعله ينهض إلى هذا العمل، فيقول: «كنت عند إسحاق ابن راهويه، فقال: لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ؛ فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع الجامع الصحيح»[٢].

وقال أيضاً: «رأيت رسول الله ﷺ وكأنني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب عنه، فسألت بعض المعبرين، فقال لي: أنت تذبّ عنه الكذب؛ فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح»[٣].

◆ ثانياً: عبادته وحسن علاقته بربه:

قال الإمام البخاري: «ما وضعت في كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين»[٤].

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا دخلت أول ليلةٍ من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلِّي بهم، ويقرأ في كلِّ ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أنْ يختمَ القرآن.

وكان يقرأ في السَّحَر ما بين النِّصف إلى الثُّلث من القرآن، فيختم عند السَّحَر في كلّ ثلاث ليالٍ، وكان يختم بالنهار في كلِّ يومٍ ختمة، ويكون ختمه عند الإفطار كلَّ ليلة، وكان يصلِّي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، ويوتِر منها بواحدة[٥].

---

(١) فتح الباري ١/ ٤٨٨.

(٢) تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٤٢.

(٣) تدريب الراوي ١/ ٨٨.

(٤) تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٤٣، ٤٤٩.

(٥) انظر: تاريخ بغداد ٢/ ١٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٣٩.

◆ ثالثاً: حسن صفات الإمام البخاري الأخلاقية والسلوكية:

يقول الحسين بن محمد السمرقندي رَحِمَهُ اللَّهُ: كان محمد بن إسماعيل مخصوصاً بثلاث خصال مع ما كان فيه من الخصال المحمودة: كان قليل الكلام، وكان لا يطمع فيما عند الناس، وكان لا يشتغل بأمور الناس، كل شغله كان في العلم(١).

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ على حذر من الغيبة، يقول البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ معلقاً: قلت: صدق رَحِمَهُ اللَّهُ ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضعفه، فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا، وقلّ أن يقول: فلان كذاب، أو كان يضع الحديث، حتى إنه قال: إذا قلت: فلان في حديثه نظر، فهو متهم واه، وهذا قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبت أحداً، وهذا هو والله غاية الورع(٢).

وقد رأينا أن من الأعمال التي حرص البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ على تركها؛ الغيبة، حتى قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما اغتبت أحداً قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها»(٣).

◆ رابعاً: الكرم والسخاء والبذل في سبيل الدعوة:

روي الإمام محمد بن أبي حاتم في عناية البخاري به حيث قال: «كان أبو عبدالله يبني رباطاً مما يلي بخارى، فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك، وكان ينقل اللبن، فكنت أقول له: إنك تُكْفَى يا أبا عبدالله، فيقول: هذا الذي ينفعنا، وكان ذبح لهم بقرة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٤٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٣٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٤١.

وكان البخاري رحمه يتصدق بالكثير، يأخذ بيد صاحب الحاجة من أهل الحديث، فيناوله ما بين العشرين إلى الثلاثين، وأقل وأكثر، من غير أن يشعر بذلك أحد، وكان لا يفارقه كيسه.

ورأيته ناول رجلاً مراراً صرة فيها ثلاثمائة درهم- وذلك أن الرجل أخبرني بعدد ما كان فيها من بعد.

وكنت اشتريت منزلاً بتسعمائة وعشرين درهماً، فقال لي: إليك حاجة تقضيها؟ قلت: نعم. قال: ينبغي أن تصير إلى نوح بن أبي شداد الصيرفي، وتأخذ منه ألف درهم، وتحمله إلي. ففعلت. فقال لي: خذه إليك، فاصرفه في ثمن المنزل.

وأقبلنا على الكتابة، وكنا في تصنيف: الجامع. فلما كان بعد ساعة، قلت: عرضت لي حاجة لا أجترئ رفعها إليك، فظن أني طمعت في الزيادة. فقال: لا تحتشمني، وأخبرني بما تحتاج، فإني أخاف أن أكون مأخوذاً بسببك. قلت له: كيف؟ قال: لأن النبي ﷺ آخى بين أصحابه. فقلت له: قد جعلتك في حل من جميع ما تقول، ووهبت لك المال الذي عرضته علي، عنيت المناصفة. وذلك أنه قال: لي جوار وامرأة، وأنت عزب، فالذي يجب علي أن أناصفك لنستوي في المال وغيره، وأربح عليك في ذلك، فقلت له: قد فعلت - رحمك الله - أكثر من ذلك إذ أنزلتني من نفسك ما لم تنزل أحداً، وحللت منك محل الولد، ثم حفظ علي حديثي الأول، وقال: ما حاجتك؟ قلت: تقضيها؟ قال: نعم، وأسر بذلك. قلت: هذه الألف، تأمر بقبوله، واصرفه في بعض ما تحتاج إليه، فقبله. وذلك أنه ضمن لي قضاء حاجتي.

ودخل أبو عبدالله المنزل، وأخرج إلي كاغدة فيها ثلاثمائة درهم، وقال: أما إذ لم

تقبل ثمن المنزل، فينبغي أن تصرف هذا في بعض حوائجك. فجهدني، فلم أقبل. ثم كان بعد أيام، كتبنا إلى الظهر أيضاً، فناولني عشرين درهماً.

فقال: ينبغي أن تصرف هذه في شراء الخضر ونحو ذلك. فاشتريت بها ما كنت أعلم أنه يلائمه، وبعثت به إليه، وأتيت. فقال لي: بيض الله وجهك، ليس فيك حيلة، فلا ينبغي لنا أن نعني أنفسنا. فقلت له إنك قد جمعت خير الدنيا والآخرة، فأي رجل يبر خادمه بمثل ما تبرني إن كنت لا أعرف هذا، فلست أعرف أكثر منه»[١].

◆ خامساً: التعاون مع إخوانه الدعاة:

ومن ذلك نصيحتهم وتوجيههم إلى أهم وسائل الحفظ حيث تميز هو بذلك، قَالَ محمد بْن أَبِي حاتم: بلغني أن أبا عبدالله شرب دواء الحفظ يقال له: بلاذر، فقلت له يوما خلوة: هل من دواء يشربه الرجل، فينتفع به للحفظ؟ فقال: لا أعلم، ثم أقبل علي، وقال: «لا أعلم شيئاً أنفع للحفظ من نهمة الرجل، ومداومة النظر»[٢].

ومن ذلك التعاون معهم في الفتوى والقيام بما لا يستطيعونه، قال أبو عبدالله البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: سئل إسحاق بن إبراهيم عمن طلق ناسياً، فسكت ساعة طويلة متفكراً، والتبس عليه الأمر، فقلت أنا: قال النبي ﷺ: **(إن الله عَزَّ وَجَلَّ تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل به أو تكلم)**[٣]، وإنما يراد مباشرة هذه الثلاث العمل والقلب أو الكلام والقلب وهذا لم يعتقد بقلبه. فقال إسحاق: قويتني، وأفتى به[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٥٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٠٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره، والسكران والمجنون وأمرهما، والغلط والنسيان في الطلاق والشرك وغيره (٥٢٦٩).

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤١٤.

ويقول البخاري: «دخلت على الحميدي وأنا ابن ثمان عشرة سنة يعني أول سنة حج فإذا بينه وبين آخر اختلاف في حديث فلما بصر بي قال جاء من يفصل بيننا فعرضا علي الخصومة فقضيت للحميدي وكان الحق معه»[١].

◆ سادساً: الحث على طلب العلم والثبات عليه:

قال محمد بن العباس الفربري: وأملى يوماً علي -يعني البخاري- حديثاً كثيراً، فخاف ملالي، فقال: طب نفساً، فإن أهل الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجاراتهم، وأنت مع النبي ﷺ وأصحابه[٢].

وقد رأينا البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الموقف وهو يذكر بفضل العلم، وأنه يكفي طالب العلم فضلاً أنه يكون وهو يطلب الحديث مع النبي ﷺ وأصحابه، بينما أهل الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجاراتهم.

◆ سابعاً: تعظيمه للعلم وقوته في الحق وصبره على البلاء:

فلم يكد يستقر الإمام البخاري في موطنه الأصلي حتى طلب منه أميرها خالد بن أحمد الدهلي أن يأتي إليه ليُسمعه الحديث؛ فقال البخاري لرسول الأمير بعزة العالِم: «قل له إنني لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، فإن كانت له حاجة إلى شيء فليحضرني في مسجدي أو في داري، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان، فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة أني لا أكتم العلم»[٣].

فأخذ يحرض عليه ويسيء إليه، وقد أغرى به بعض السفهاء ليتكلموا في حقه،

---

(١) سير أعلام النبلاء١٢/ ٤٠١.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٤٥.

(٣) تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٦٤.

ويثيروا عليه النـاس، وفي نهاية الأمر قام بنفيه من المدينة بخارى، وظل البخاري بعيداً عن وطنه، صابراً على محنته، حتى توفاه الله[١].

◆ ثامناً: الدعوة من خلال التأليف:

مـن أهم جهود الإمام البخاري في الدعوة هو ما قـام به من مؤلفات كثيرة كان لها الأثر في حفظ السـنة وتنقيتها وإبراز أحاديث الرسـول ﷺ بتبويب وتصنيف دقيق يدل على فقه وإتقان وتحري صاحبه.. فهذه المؤلفات حفظت السـنة بل وحفظت المنهج الصحيح في تلقي السنة عن النبي ﷺ.

وقـد هيّأه للتأليـف والكتابة وأعانـه عليها ذكاؤه الحاد، وسـعة حفظـه، وذاكرته القوية، ومعرفته الواسعة بالحديث النبوي وأحوال رجاله من تعديل وتجريح، وخبرته التامّـة بالأسـانيد من صحيح وضعيف. وقـد وصلنا بعض كتبه وطُبعـت بينما لا يزال بعضهـا مفقوداً. وجُلّ مصنّفاته وكتبه لا تخرج عن السُـنّة والحديث وعلومه من رواية ودراية ورجال وعلل.

ومـن هذه المصنّفات: صحيـح البخاري والذي يعتبر عند أهل السـنة والجماعة أصح كتاب بعد القرآن الكريم.

وكذلك كتاب الأدب المفرد: بوّبه في عدّة مواضيع تُعنى بتهذيب الأخلاق وتقويم السلوك.

وكتـاب: قرة العينين برفع اليدين في الصلاة، وكتاب القراءة خلف الإمام، وكتاب خلـق أفعـال العبـاد، بيّن فيه الفـرق بيـن كلام الله وكلام العِبـاد وأن كلام الله صفة من صفاته وليس بمخلوق. وردّ على المعتزلة والجهمية

---

(١) الكاشف ٢/ ١٥٦.

وكتاب التاريخ الكبير: وهو موسوعة كبرى في التراجم، رتب فيه أسماء رواة الحديث على حروف المعجم.

وكتاب التاريخ الأوسط، وكتاب التاريخ الصغير وكتاب الكُنى، وكتاب الضعفاء الصغير وكتاب الضعفاء الكبير.

◆ تاسعاً: الدعوة من خلال التعليم:

فقد كان للإمام البخاري تلاميذ كثير من طلّاب العلم والرواة والمحدّثين، حملوا العلم عنه وبلغوه ونشروه، قال أبو علي صالح بن محمد جزرة: «كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد وكنت أستملي له، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفاً»(١).

وعن محمد بن يوسف الفربري أحد أكبر تلاميذ البخاري أنه قال: «سمع الصحيح من البخاري معي نحوٌ من سبعين ألفاً»(٢).

قال محمد بن أبي حاتم ورّاق البخاري: «كان أهل المعرفة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه وكان شاباً لم يخرج وجهه»(٣).

وقال يوسف بن موسى المروروذي: «كنت بجامع البصرة إذ سمعت منادياً ينادي: يا أهل العلم، قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري. فقاموا في طلبه، وكنت فيهم، فرأيت رجلاً شاباً يصلي خلف الأسطوانة، فلما فرغ أحدقوا به، وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء، فأجابهم. فلما كان من الغد اجتمع كذا كذا ألف، فجلس للإملاء»(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٣٣.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٣١.

(٣) طبقات الحنابلة ١/ ٢٧٧

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ١٥، ١٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٠٩.

ولم يقتصر الانتفاع من البخاري على التلاميذ بل شمل شيوخه، قال البخاري: «ما قدمت على أحد إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به»(١).

وقال أبو بكر الأعين: «كتبنا عن البخاري على باب محمد بن يوسف الفريابي، وما في وجهه شعرة فقلنا: ابن كم أنت؟ قال: ابن سبع عشرة سنة»(٢).

ومن أعيان من روى عن الإمام البخاري(٣):

من شيوخه: عبدالله المسندي، وعبدالله بن منير، ومحمد بن خلف بن قتيبة، وغيرهم.

من أقرانه: أبو حاتم الرازي، وأبو زرعة الرازي، وأبو بكر بن أبي عاصم، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، وغيرهم.

وممن أخذ عنه من كبار الحفّاظ: مسلم بن الحجاج، وابن خزيمة، وأبو عبدالرحمن النسائي، وأحمد بن سلمة النيسابوري، وأبو عيسى الترمذي، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وأبو القاسم البغوي، والحسين بن إسماعيل المحاملي.

وغيرهم الكثير وهم أكثر من أن يُحصوا، قال النووي: «وأما الآخذون عن البخاري، فأكثر من أن يحصروا»(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤١١، مقدمة فتح الباري ٤٨٩.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٩.

(٣) ينظر سير أعلام النبلاء١٢/ ٤٠١ وما بعدها باختصار.

(٤) تهذيب الأسماء ١/ ٧٣.

المبحث الثاني

دعوة الإمام مسلم (ت ٢٦١هـ)

هو الإمام الحافظ المجوِّد الحُجَّة الصادق، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري. وقُشَير قبيلة من العرب معروفة، ونيسابور مدينة مشهورة بخراسان من أحسن مدنها، وأجمعها للعلم والخير. وُلِد بنيسابور سنةَ ٢٠٦هـ.

أبرز تلاميذ الإمام البخاري وصاحب كتاب صحيح مسلم، ثاني أصح الكتب المصنّفة بعد صحيح البخاري، من أهم علماء الحديث عند أهل السنة والجماعة(١).

ويمكن بيان دعوة الإمام مسلم من خلال النقاط التالية:

أولاً: التواضع وتوقير أهل العلم والحرص على طلب العلم:

قال الحاكم: سمعت محمد بن يعقوب الحافظ يقول: سمعت أبي يقول: رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي البخاري يسأله سؤال الصبي(٢).

قال محمد بن حمدون بن رستم: سمعت مسلم بن الحجاج، وجاء إلى البخاري فقال: دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله(٣).

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٥٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٣٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٣٢.

ثانياً: سعة العلم وإتقانه:

قال محمد بن بشار يقول: «حُفَّاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بنيسابور، وعبدالله الدَّارِمِي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى»[١].

ونقل أبو عبدالله الحاكم أن محمد الفراء قال: «كان مسلم بن الحجاج من علماء الناس، ومن أوعية العلم»[٢].

وقال أحمد بن سلمة: «رأيتُ أبا زرعة وأبا حاتم يقدمان (مسلماً) في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما»[٣].

«وأجمع العلماء على جلالته، وإمامته، وعلو مرتبته، وحذقه في هذه الصنعة، وتقدمه فيها، وتضلعه منها. ومن أكبر الدلائل على جلالته، وإمامته وورعه وحذقه وقعوده في علوم الحديث واضطلاعه منها وتفننه فيها كتابه الصحيح الذي لم يوجد في كتاب قبله ولا بعده»[٤].

ثالثاً: العناية بمصدر العلم وتوثيقه والإتقان في ذلك:

فقد قال الإمام مسلم: «اعلم وفقك الله تعالى أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها، وثقات الناقلين لها من المتهمين أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه والستارة في ناقليه، وأن يتقي منها ما كان منها عن أهل التهم، والمعاندين من أهل البدع»[٥].

---

(١) تاريخ دمشق ٥٨/ ٨٩.

(٢) تاريخ دمشق ٥٨/ ٨٩.

(٣) سير أعلام النبلاء١٢/ ٥٦٣.

(٤) تهذيب الأسماء ٢/ ٩٠.

(٥) مقدمة صحيح مسلم ١/ ٨.

وقال الإمام مسلم رحمة الله عليه: «ما وضعت في هذا المسند شيئاً إلا بحجة، ولا أسقطت شيئاً منه إلا بحجة»(١).

وقال: «عرضت كتابي هذا المسند على أبي زرعة، فكل ما أشار علي في هذا الكتاب أن له علة وسبباً تركته، وكل ما قال إنه صحيح ليس له علة فهو الذي أخرجت»(٢).

ومن اتقانه أنه لم يستعجل في كتابته، قال أحمد بن سلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنت مع مسلم في تأليف صحيحه خمس عشرة سنة، وهو اثنا عشر ألف حديث»(٣).

رابعاً: الاهتمام بمظهره ونظافته:

قال أبو عبدالرحمن السلمي: رأيت شيخاً حسن الوجه والثياب، عليه رداء حسن، وعمامة قد أرخاها بين كتفيه، فقيل: هذا مسلم، فتقدم أصحاب السلطان، فقالوا: قد أمر أمير المؤمنين أن يكون مسلم بن الحجاج إمام المسلمين، فقدموه في الجامع، فكبر، وصلى بالناس(٤).

خامساً: التأليف وتوريث العلم:

من أبرز جهود الإمام مسلم التي خدم به الإسلام والمسلمين هو تأليف الكتب التي كتب الله لها القبول بين جميع الناس والمتخصصين في علم الحديث خاصة، ومنها الموجود والمفقود، فمن أهم الكتب الموجودة:

كتابه الصحيح وهو أشهر كتبه وأكثرها نفعاً وعلماً وفقهاً، ومن أمهات كتب

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٩٠.

(٢) سير أعلام النبلاء١٢/ ٥٦٨.

(٣) سير أعلام النبلاء١٢/ ٥٦٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٦٦.

الحديث النبوي عند أهل السنة والجماعة، وهو أحد كتب الجوامع، وثاني الصحيحين بعد صحيح البخاري، وأحد الكتب الستة.

وكذلك الكنى والأسماء. وكتاب التمييز يوضح منهج المحدّثين في نقد الحديث، وكتاب رجال عروة بن الزبير وجماعة من التابعين، وكتاب المنفردات والوحدان، وكتاب الطبقات، أو طبقات مسلم.

وعمل كذلك على صناعة الرجال الذين يحملون هذا العلم فكان له تلاميذ كثر رووا عنه منهم: علي بن الحسن بن أبي عيسى الهلالي، وهو أكبر منه، ومحمد بن عبدالوهاب الفرَّاء شيخه، والحسين بن محمد القباني، وأبو بكر محمد بن النضر بن سلمة الجارودي، وعلي بن الحسين بن الجنيد الرازي، وصالح بن محمد جزرة، وأبو عيسى الترمذي، وأحمد بن المبارك المُسْتَمْلِي، وعبدالله بن يحيى السرخسي القاضي، ونصر بن أحمد بن نصر الحافظ، وغيرهم كثير.

المبحث الثالث

دعوة الإمام أبي داوود (ت٢٧٥هـ)

هو الإمام الثبت، أبو داوود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتَانِيُّ، أحد حفاظ الحديث وعلمه بعلله، صاحب السنن. وُلِد بسجستان سنة (٢٠٢هـ).

فهـو من علماء السـنن الذين كان لهم جهـد كبير في نقل هـدي النبي ﷺ في إقامة الدين والدنيا..

ويمكن إبراز معالم دعوته في النقاط التالية:

⌑ أولاً: محبته للعلم وطلبه:

تلقـى العلم على علماء بلده، ثم ارتحل وطـوّف بالبلاد في طلب العلم وتحصيل الرواية، فزار العراق والجزيرة والشـام ومصر وكتب عن علماء هذه البلاد جميعاً، قال الخطيب: «وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزريين»[(١)].

وليس من شـك في أنّ هذه الرحلات قد وسـعت من مداركه وأكسبته خبرة علمية دعوية، ومعرفة بالناس وأحوالهم.

⌑ ثانياً: سعة العلم واتقانه:

قال الحافظ موسـى بن هـارون: «خلق أبو داوود في الدنيـا للحديث، وفي الآخرة للجنة، ما رأيت أفضل منه»[(٢)].

وأبلغ منه ما ذكره الحاكم أبو عبدالله يوم أن قال: «أبو داوود إمام أهل الحديث في

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٥٥.

(٢) طبقات الشافعية ٢/ ٢٩٣، وسير أعلام النبلاء١٣/ ٢١٢.

عصره بلا مدافعة»[(١)].

وقد عدّه الشيخ أبو الحسن الشيرازي في طبقات الفقهاء من جملة أصحاب أحمد بن حنبل، وكذا أبو يعلى في «طبقات الحنابلة» والعليمي في «المنهج الأحمد»[(٢)].

قال أبو بكر الخلال: «أبو داوود سليمان الأشعث، الإمام المقدّم في زمانه رجلٌ لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم، وبصره بمواضعها أحدٌ في زمانه، رجل ورع مقدم»[(٣)].

قـال أحمد بـن محمد بن ياسـين: «كان أبـو داوود أحد حفاظ الإسـلام لحديث رسول الله ﷺ وعلمه وعلله وسنده.. ومن فرسان الحديث»[(٤)].

وقال أبو حاتم بن حبان: «كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسـكاً وورعاً وإتقاناً، جمع وصنف وذبّ عن السنن»[(٥)].

وقال ابن منـده: «الذين أخرجوا وميزوا الثابت من المعلول والخطأ من الصواب أربعة: البخاري ومسلم، وبعدهما أبو داوود والنسائي»[(٦)].

وقال الذهبي: «كان رأساً في الحديث، رأساً في الفقه»[(٧)].

ثالثاً: نشره للعلم:

زار بلدان كثيرة، ومنها البصرة التي انتقل إليها بطلب من الأمير أبي أحمد الموفق

---

(١) تذكرة الحفاظ: ٥٩١-٥٩٢. وغيرها.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ١٦٢ والمنهج الأحمد ١/ ١٧٥.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ٥٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢١١.

(٥) تهذيب التهذيب ٤/ ١٧٢.

(٦) تهذيب التهذيب ٤/ ١٧٢.

(٧) نقلاً عن شذرات الذهب لابن العماد ٢/ ١٦٧.

الذي جاء إلى منزله في بغداد واستأذن عليه ورجاه أن يتخذ البصرة وطناً ليرحل إليها طلبة العلم من أقطار الأرض فتعمر بسببه فإنه قد خربت وهُجرت وانقطع الناس عنها لما جرى عليها من فتنة الزنج[١].

وهذا يدل على أمرين: الأول سعة علمه حيث عرف الناس علمه وقدره وفضله وشهرته، ثانياً: حاجة الناس للعلم وأهميته في إصلاح المجتمع، فقد لبى أبا داوود لمعرفته بقدراته وحاجة الناس إليه وقدرته على الإصلاح والتغيير.

رابعاً: تقواه وصلاحه ونسكه:

قال أحمد بن محمد بن ياسين: «كان أبو داوود: في أعلى درجة النسك والعفاف، والصلاح والورع»[٢].

وقد قال عنه ابن خلكان: «كان في الدرجة العالية من النسك والصلاح»[٣].

قال الذهبي: «كان أبو داوود ذا جلالة وحرمة وصلاح وورع حتى إنه كان يشبه بأحمد»[٤].

خامساً: الأمانة العلمية في نقل العلم:

وفي (السنن) لم يقتصر أبو داوود على الصحيح، بل خَرَّج فيه الصحيح والحسن والضعيف، وقد وضح منهجه فيه فقال: «ذكرت في كتابي الصحيح وما يشبهه وما يقاربه». وقال: «وما كان فيه وهن شديد بيَّنته، وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح، وبعضها أصح من بعض».

---

(١) طبقات الحنابلة ١/ ١٦٢، وانظر فتنة الزنج وتدمير البصرة سنة ٢٥٧ في تاريخ الطبري ٩/ ٤٨١ وما بعدها.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢١١.

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٤.

(٤) نقلاً عن شذرات الذهب لابن العماد ٢/ ١٦٧.

⌑ سادساً: لزوم هدي سلف الأمة:

قال الذهبي: «وبلغنا أنَّ أبا داوود كان من العلماء حتى إن بعض الأئمة قال: كان أبو داوود يشبه أحمد بن حنبل في هديه ودله وسمته، وكان أحمد يشبه في ذلك وكيع، وكان وكيع يشبه في ذلك بسفيان، وسفيان بمنصور ومنصور بإبراهيم، وإبراهيم بعلقمة، وعلقمة بعبدالله بن مسعود. وقال علقمة: كان ابن مسعود يشبه بالنبي ﷺ في هديه ودله»(١).

⌑ سابعاً: توقير العلم:

عن أبي بكر بن جابر خادم أبي داوود قال: كنت مع أبي داوود ببغداد، فصلينا المغرب، فجاءه الأمير أبو أحمد الموفق -يعني: ولي العهد- فدخل، ثم أقبل عليه أبو داوود، فقال: ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت؟ قال: خلال ثلاث. قال: وما هي؟ قال: تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطناً، ليرحل إليك طلبة العلم، فتعمر بك، فإنها قد خربت، وانقطع عنها الناس، لما جرى عليها من محنة الزنج. فقال: هذه واحدة.

قال: وتروي لأولادي (السنن). قال: نعم، هات الثالثة.

قال: وتفرد لهم مجلساً، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة. قال: أما هذه فلا سبيل إليها، لأن الناس في العلم سواء.

قال ابن جابر: فكانوا يحضرون بعد ذلك ويقعدون وبينهم وبين الناس ستر فيسمعون مع العامة(٢).

⌑ ثامناً: حرصه على السنة وتنقيتها من البدع:

ومما يدل على ذلك سؤاله للإمام أحمد، قال أبو داوود: قلت لأبي عبدالله أحمد

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢١٦.

بن حنبل: أرى رجلاً من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة أترك كلامه؟

قال: لا، أو تُعلَمهُ أنَّ الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعة. فإن ترك كلامه فكلّمه، وإلّا فألحقه به، قال ابن مسعود: المرء بخدنه[١].

ومن ذلك أنّ محمد بن علي الآجري قال: قلت لأبي داوود: أيهما أعلى عندك: علي بن الجعد أو عمرو بن مرزوق؟

قال: عمروٌ أعلى عندنا. عليُّ بن الجعد وُسِمَ بميسم سوء قال: «وما يسؤوني أن يعذب الله معاوية.. ابن عمر ذاك الصبي»[٢].

فأبو داوود يبين ويجرح علي بن الجعد ويذكر سبب الجرح وهو وقوعه في الصحابة.

⌑ تاسعاً: حرصه على تعليم أبنائه:

فقد كان حريصاً على أن يطلب أولاده العلم في وقت مبكر، ولذلك فقد كان يأخذهم معه ليحضروا مجالس العلم وليسمعوا.

فعن الحسن بن بندار قال: كان أحمد بن صالح يمتنع على المرد من رواية الحديث لهم تعففاً وتنزهاً ونفياً للمظنة عن نفسه. وكان أبو داوود يحضر مجلسه ويسمع منه، وكان له ابنٌ أمرد يحبُّ أن يسمع حديثه، وعرف عادته في الامتناع عليه من الرواية، فاحتال أبو داوود بأن شدّ على ذقن ابنه قطعة من الشعر ليتوهم أنه ملتحٍ، ثم احضره المجلس وأسمعه جزءاً.

فأخبر الشيخ بذلك، فقال لأبي داوود: أمثلي يعمل معه هذا؟

فقال له: أيها الشيخ لا تنكر عليَّ ما فعلته واجمع أمردي هذا مع شيوخ الفقهاء

(١) طبقات الحنابلة ١/ ١٦٠.

(٢) طبقات الحنابلة١/ ١٥٩.

والرواة فإن لم يقاومهم بمعرفته فاحرمه حينئذٍ من السماع عليك.

قال: فاجتمع طائفة من الشيوخ، فتعرض لهم هذا الأمرد مطارحاً، وغلب الجميع بفهمه[(١)].

فالإمام أبا بكر عبدالله بن أبي داوود، من أكابر الحفاظ ببغداد، وكان عالماً متفقهاً على والده ورحل به والده وأسمعه من محمد بن أسلم[(٢)].

عاشراً: تأليف الكتب وصناعة الرجال:

كان أبـو داوود رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المكثرين في التأليـف، وخصوصاً في فنون علم الحديث روايةً ودرايةً؛ فمن مؤلفاته: دلائل النبوة، وكتاب التفرد في السـنن، وكتاب المراسـيل، وكتاب المسـائل التي سـئل عنها الإمام أحمد، وله أيضاً ناسخ القرآن ومنسوخه، ومن أشهر كتبه، وأهمها كتاب السنن.

وكان لأبي داوود تلاميذ كثر كان لهم أثر دعوي كبير كذلك، فكان أشهر تلاميذه الإمـام الترمذي، والإمام النسـائي، وابنه الإمام أبو بكر بن أبـي داوود، وأبو عوانة، وأبو بشـر الدولابي، وعلي بن الحسـن بن العبد، وأبو أسـامة محمد بن عبدالملك، وأبو سـعيد بن الأعرابي، وأبو علي اللؤلُئِيُّ، وأبو بكر بن داسَـةَ، وأبو سـالم محمد بن سعيد الجلودي، وأبو عمرو أحمد بن علي، وغيرهم[(٣)].

(١) تاريخ دمشق ٢٩/ ٨١.
(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء١٣/ ٢٢٢.
(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٢٢.

المبحث الرابع

دعوة الإمام الترمذي (تـ٢٧٩هـ)

هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك. وقيل: محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن. وقيل: محمد بن عيسى بن سورة بن شداد بن عيسى السلميُّ الترمذيُّ الضرير. وقد وُلِد سنة (٢٠٩)، في قرية من قرى مدينة ترمذ[١].

وهو من علماء القرن الثالث الذين أفنوا أعمارهم في جمع السنة وفقهها وتنقيتها.

ويمكن بيان دعوة الإمام الترمذي في النقاط التالية:

أولاً: تميزه بصفات دعوية شاملة:

قال الحاكم: سمعت عمر بن علك يقول: مات البخاري فلم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى، في العلم والحفظ، والورع والزهد، بكى حتى عمي، وبقي ضريراً سنين[٢].

ثانياً: سعة علمه وقوة حفظه:

قال الذهبي: «الحافظ العالم، صاحب الجامع، ثقة، مجمع عليه.. رحل التِّرمِذي في طلب العلم، فذهب إلى خراسان والعراق ومكة والمدينة»[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٠.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧١.

وقال ابن حبان: «كان أبو عيسى ممن جمع وصنَّف، وحفظ وذاكر»[(١)].

وقال أبو سعد الإدريسي: «التِّرمِذي: أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث، صنف كتاب «الجامع» والتواريخ والعلل، تصنيف رجل عالم متقن، كان يُضرَب به المثَل في الحفظ»[(٢)].

قال ابن العماد الحنبلي: «الإمام التِّرمِذي تلميذ أبي عبدالله البخاري، ومشاركه فيما يرويه في عدة من مشايخه، سمع منه شيخه البخاري وغيره، وكان مبرزاً على الأقران، آية في الحفظ والإتقان»[(٣)].

قال الحافظ أبو يعلى القزويني: «محمد بن عيسى بن سَورةَ الحافظُ، متفقٌ عليه، له كتابٌ في السنن، وكلامٌ في الجرح والتعديل، روى عنه ابن محبوبٍ والأجلاء، وهو مشهورٌ بالأمانة والعلم»[(٤)].

وقال الترمذي: كنت في طريق مكة فكتبت جزأين من حديث شيخ، فوجدته فسألته، وأنا أظن أن الجزأين معي، فسألته، فأجابني، فإذا معي جزآن بياض، فبقي يقرأ علي من لفظه، فنظر، فرأى في يدي ورقاً بياضاً، فقال: أما تستحي مني؟ فأعلمته بأمري، وقلت: أحفظه كله. قال: اقرأ. فقرأته عليه، فلم يصدقني، وقال: استظهرت قبل أن تجيء؟

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٣.

(٢) تهذيب الكمال ١/ ١٧٢.

(٣) شذرات الذهب لابن العماد ٣/ ٣٢٧.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٧١.

فقلت: حدثني بغيره. قال: فحدثني بأربعين حديثاً، ثم قال: هات. فأعدتها عليه، ما أخطأت في حرف[(١)].

ثالثاً: تأليف الكتب وصناعة الرجال:

فقد حرص الإمام الترمذي على توريث علم الحديث رواية ودراية، فعمل على روايته وتعليمهم للناس.. فبرز في ذلك مجموعة من طلاب العلم حملة العلم من بعده، ومن أبرزهم: أبو بكرٍ أحمد بن إسماعيل السمرقندي، وأبو حامدٍ أحمد بن عبدالله بن داوود المروزي، وأحمد بن علي بن حسنويه المقرئ، وأحمد بن يوسف النسفي، وأسد بن حمدويه النسفي، والحسين بن يوسف الفربري، وحماد بن شاكرٍ الوراق، وداوود بن نصر بن سهيلٍ البزدوي، والربيع بن حيان الباهلي، وعبدالله بن نصر أخو البزدوي، وعبد بن محمد بن محمودٍ النسفي، وعلي بن عمر بن كلثومٍ السمرقندي، وغيرهم[(٢)].

وقام الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حرصاً منهم على الدعوة وبلاغها للناس، بتأليف مجموعة من الكتب تحفظ العلم وتضبطه للأجيال القادمة، ومن تلك الكتب: الجامع للسنن، وهو من أشهر كتبه وأهمها، وقد قال الترمذي عنه: «صنَّفت هذا المسند الصحيح وعرضته على علماء الحجاز فرضوا به، وعرضته على علماء العراق فرضوا به، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به، ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبيٌّ ينطق»[(٣)].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٣.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٢- ٢٧١.
(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/ ١٥٤.

وقال شيخ الإسلام إسماعيل الهروي: «جامع التِّرمِذي أنفعُ مِن كتاب البخاري ومسلمٍ؛ لأنهما لا يقف على الفائدة منهما إلا المتبحر العالم، والجامع يصلُ إلى فائدته كلُّ أحدٍ»(١).

ومـن مؤلفاته كذلك، العلل الصغـرى. وهو من ضمن كتاب الجامع، فهو مدخل له وجزء منه، وبيان لمنهجه، وكتاب الشمائل المحمدية.

(١) تهذيب الكمال ١/ ١٧٢.

المبحث الخامس

دعوة الإمام النسائي (تـ٣٠٣هـ)

هو الإمام الحافظ الثبت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني، النَّسَائي، صاحب السنن. أبو عبدالرحمن وُلد النَّسَائي بـ: «نَسَا» وهي مدينة بخراسان في سنة خمس عشرة ومائتين من الهجرة[(١)].

ويمكن بيان معالم دعوته في النقاط التالية:

○ أولاً: همته في طلب العلم:

رحل النَّسَائي في طلب العلم إلى خراسان، والحجاز، ومصر، والعراق، والجزيرة، والشام، والثغور، ثم استوطن مصر، ورحل الحفاظ إليه، ولم يبقَ له نظيرٌ في هذا الشأن[(٢)].

قال ابن كثير: «أبو عبدالرحمن النَّسَائي صاحب السنن، الإمام في عصره، والمقدَّم على أضرابه وأشكاله وفضلاء دهره، رحل إلى الآفاق، واشتغل بسماع الحديث والاجتماع بالأئمة الحذاق»[(٣)].

○ ثانياً: سعة علم الإمام النسائي:

قال الدارقطني: «كان النَّسَائي أفقهَ مشايخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار، وأعرفهم بالرجال»[(٤)].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٢٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٢٧.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ١٣١.

(٤) البداية والنهاية ١١/ ١٣٢.

قال الدارقطني: «كان أبو بكر بن الحداد الشافعي كثير الحديث ولم يحدث عن غير النسائي، وقال: رضيت به حجة بيني وبين الله تعالى[(١)].

قال الحاكم: «كلام النَّسَائي على فقه الحديث كثيرٌ، ومن نظر في سننه تحيَّر في حسن كلامه»[(٢)].

قال أبو سعيد بن يونس: «كان أبو عبدالرحمن النَّسَائي إماماً حافظاً ثبتاً»[(٣)].

قال ابن مَنْدَهْ: «الذين أخرجوا الصحيح وميزوا الثابت من المعلول، والخطأ من الصواب أربعةٌ: البخاري، ومسلمٌ، وأبو داوود، وأبو عبدالرحمن النَّسَائي»[(٤)].

قال ابن عدي: سمعت منصوراً الفقيه وأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي يقولان: أبو عبدالرحمن النَّسَائي إمامٌ من أئمة المسلمين»[(٥)].

قال ياقوت الحموي: «أبو عبدالرحمن النَّسَائي، القاضي الحافظ، صاحب كتاب السنن، كان إمام عصره في علم الحديث، وسكن مصر، وانتشرت تصانيفُه بها، وهو أحد الأئمة الأعلام، صنَّف السنن وغيرها من الكتب»[(٦)].

قال أبو الحجاج المزي: «أبو عبدالرحمن النَّسَائي: أحد الأئمة المبرزين، والحفاظ المتقنين، والأعلام المشهورين»[(٧)].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٣٢.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٣٠.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٣٣.
(٤) سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٣٥.
(٥) تهذيب الكمال ١/ ٣٣٣.
(٦) معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/ ٢٨١.
(٧) تهذيب الكمال ١/ ٣٢٩.

ثالثاً: عبادته وجهاده:

قال محمد بن المظفر الحافظ: سمعت مشايخنا بمصر يصفون اجتهاد النسائي في العبادة بالليل والنهار، ومواظبته على الحج والاجتهاد وأنه خرج إلى الفداء مع أمير مصر فوصف من شهامته وإقامته السنن المأثورة في فداء المسلمين، واحترازه عن مجالس السلطان الذي خرج معه، والانبساط في المأكل، وأنه لم يزل ذلك دأبه إلى أن استشهد بدمشق من جهة الخوارج(١).

قال الذهبي: «كان شيخنا مهيباً.. له أربع زوجات، فكان يقسم لهن، ومع ذلك فكان يصوم صوم داوود ويتهجد ويكثر من تلاوة القرآن»(٢).

رابعاً: مراعاة أحوال المدعوين:

سمعت محمد بن موسى المأموني - صاحب النسائي قال: سمعت قوماً ينكرون على أبي عبدالرحمن النسائي كتاب (الخصائص) لعلي رضي الله عنه وتركه تصنيف فضائل الشيخين، فذكرت له ذلك، فقال: دخلت دمشق والمنحرف بها عن علي كثير، فصنفت كتاب (الخصائص) رجوت أن يهديهم الله تعالى(٣).

وقد رأينا مراعاة النسائي رحمه الله لأحوال المدعوين في دمشق آنذاك، بتأليفه كتاب يناسب أحوالهم ويعالج الانحراف الواقع لديهم.

خامساً: عنايته بالتعليم، والتأليف:

طاف النسائي معظم أقاليم الإسلام، واستقر في مصر فترة طويلة، وارتفع بها شأنه وعلا ذكره، وأقبل عليه طلبة العلم والمحدثون وعموم الناس لسماع مجالسه.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٣١ تهذيب الكمال ١/ ٣٣٤.

(٢) شذرات الذهب ٤/ ١٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٢٩.

ويظهر هذا الأمر في دعوته من خلال كثرة تلاميذه الذين أصبحوا فيما بعد من كبار العلماء، ومن أشهرهم أبو بشرٍ الدولابي، وأبو جعفرٍ الطحاوي، وأبو علي النيسابوري، وحمزة بن محمدٍ الكناني، وأبو جعفرٍ أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس النحوي، وأبو بكرٍ محمد بن أحمد بن الحداد الشافعي، وعبدالكريم بن أبي عبدالرحمن النَّسَائي، والحسن بن الخضر الأسيوطي، وأبو بكرٍ أحمد بن محمد بن السني، وأبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، وخلقٌ كثيرٌ[١].

وألف رَحِمَهُ اللَّهُ مجموعة من الكتب حفظ بها السنة، ومن أهمها: كتاب السنن الكبرى في الحديث. وهو الذي عُرف به، وكتاب المجتبى، وهو السنن الصغرى، من الكتب الستة في الحديث، ومسند علي، وله كتاب التفسير في مجلد، وكتاب الضعفاء والمتروكون في رجال الحديث.

○ سادساً: أمانته وتحريه في التعليم:

وقال ابن الأثير في: «النسائي من أئمة الحديث والفقه الشافعي، له مناسك على مذهبه، وكان ورعاً متحرياً، شديد التحري والضبط لرواياته حتى إنه قد أتى أحد رواة الحديث المشهورين وهو -الحارث بن مسكين- وكان الحارث خائفاً من أمور تتعلق بالسلطان، فخاف من النسائي أن يكون عيناً عليه، فمنعه من دخول بيته، فكان النسائي يجيء فيقعد خلف الباب ويسمع، وكان بعدها إذا روى الحديث عن الحارث لا يقول: حدثنا حارث، إنما يقال: قال الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع، من شدة تحريه وصدقه وضبطه لألفاظ الرواية»[٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٢٧.

(٢) مقدمة كتابه جامع الأصول ١/ ١٩٦.

المبحث السادس

دعوة الإمام ابن ماجه (ت ٢٧٣هـ)

هو الإمام: محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، كنيته: أبو عبدالله، وُلد سنة (٢٠٩هـ) رحل ابن ماجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طلب العلم إلى العراق والبصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر والري[(١)].

فهو علم من أعلام السنة رواية ودراية وفقهاً، وكان له جهد كبير ومؤثر في الدعوة إلى الله تعالى يمكن إبرازه في النقاط التالية:

أولاً: سعة علمه وإتقانه:

قال أبو يعلى: «هو ثقةٌ كبيرٌ، متفقٌ عليه، محتج به، له معرفةٌ بالحديث وحفظٌ»[(٢)].

وقال ابن ناصر الدين: «ابن ماجه: أحد الأئمة الأعلام، وصاحب السنن، أحد كتب الإسلام، حافظ ثقة كبير»[(٣)].

قال ابن خلكان: «ابن ماجه، الحافظ المشهور، مصنف كتاب السنن في الحديث؛ كان إماماً في الحديث، عارفاً بعلومه وجميع ما يتعلق به»[(٤)].

قال أبو الحجاج المزي: «ابن ماجه القزويني الحافظ، صاحب كتاب «السنن» ذو التصانيف النافعة، والرحلة الواسعة»[(٥)].

---

(١) وفَيَات الأعيان لابن خلكان ٤/ ١٠٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٩.

(٣) شذرات الذهب ٣/ ٣٠٨.

(٤) وفَيَات الأعيان ٤/ ١٠٥.

(٥) تهذيب الكمال ٢٧/ ٤٠.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أبو عبدالله محمد بن يزيد، ابن ماجه القزويني مولى ربيعة، صاحب كتاب السنن المشهورة، وهي دالة على عمله وعلمه وتبحره واطلاعه واتباعه للسنة النبوية في الأصول والفروع(١).

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد كان ابن ماجه حافظاً ناقداً صادقاً، واسع العلم»(٢).

➢ ثانياً: معالم دعوة ابن ماجه من خلال تصنيفه وتبويبه للسنن:

قال محمد بن علي شارح سنن الإمام ابن ماجه: «ما أحسن صنيع المصنّف رحمه الله تعالى، وأنصع تبويبه، حيثما بدأ كتابه بـ«باب اتّباع سنة رسول الله ﷺ»، إشارة إلى تصنيفه في جمع سننه ﷺ، وتنبيهاً للطالب على أن الأخذ بهذه السنن هو الدين القويم، والصراط المستقيم.

ثم عقّب هذا الباب بأبواب الإيمان؛ لأنه الأساس لبناء المكلّف بيت العزّ والشرف.

ثم أتبعه بفضائل أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنهم مبلغوا هذه السنن إلى الأمة، فينبغي أن يعرف فضلهم، ويُشهر قدرهم.

ثم عقد باباً لذكر الخوارج الذين خرجوا على أهل الحقّ من أصحاب رسول الله ﷺ، وغيرهم؛ ليجتنب الناس بدعهم، وانحرافاتهم.

ثم أتبعه بـ«باب من سنّ سنة حسنةً، أو سيّئة»، و«باب من أحيا سنّة قد أميتت» حثّاً على نشر السنة القائمة، وإماتة السنة التي أُميتت.

ثم ختمه بأبواب العلم، إشارةً إلى أن هذه السنن إنما تحقّق، وتُنشر بتعلّمها، وتعليمها.

---

(١) البداية والنهاية ١٤/ ٦٠٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٩.

ثم دخل في المقصمود بادئاً بـ «كتاب الطهارة وسننها»، ومسلسلاً لأبواب السنن حسب تناسبها، والتئامها.

فلله درّه من مصنف مهذِّب، ومحدّث مرتّب، فجزاه الله تعالى أحسن الجزاء على ما أسداه إلى الأمة الإسلامية من سُنَن، وزفّه إليها من عطايا ومنن»[(١)].

ثالثاً: الدعوة من خلال التعليم والتأليف:

يخلد الزمان من كتب ابن ماجه (سنن ابن ماجه) أحد الصحاح الستة؛ وكان له تفسير للقرآن وصفه ابن كثير بأنه «تفسير حافل»، وله أيضاً كتاب في التاريخ أرَّخ فيه من عصر الصحابة حتى عصره، وقال عنه ابن كثير بأنه «تاريخ كامل»[(٢)].

لم يكن ليقتصر النشاط العلمي لابن ماجه على التأليف فقط، بل تعداه إلى التعليم وإلقاء المحاضرات والدروس، وكان أشهر من روى عنه وتتلمذ على يده علي بن سعيد بن عبدالله الغداني، وإبراهيم بن دينار الجرشي الهمداني، وأحمد بن إبراهيم القزويني جَدّ الحافظ أبي يعلى الخليلي، وأبو الطيب أحمد بن روح المشعراني، وإسحاق بن محمد القزويني، وجعفر بن إدريس، ومحمد بن عيسى الصفار، وأبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القزويني الحافظ، وغيرهم من مشاهير الرواة[(٣)].

(١) مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار الوهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه محمد بن علي ١/ ٢٧.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٦١.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٨.

الفصل الخامس

نماذج الدعوة في حياة أعلام السلف

ويتضمن ثمان مباحث:

المبحث الأول: دعوة الإمام ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ).

المبحث الثاني: دعوة الإمام ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ).

المبحث الثالث: دعوة الإمام العز بن عبدالسلام (ت٦٦٠هـ).

المبحث الرابع: دعوة الإمام النووي (ت٦٧٦هـ).

المبحث الخامس: دعوة الإمام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ).

المبحث السادس: دعوة الإمام الذهبي (ت٧٤٨هـ).

المبحث السابع: دعوة الإمام ابن القيم (ت٧٥١هـ).

المبحث الثامن: نماذج من دور نساء السلف في الدعوة إلى الله.

المبحث الأول

دعوة الإمام ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري رحمه الله تعالى، يُكنى بأبي جعفر، وعُرف بذلك، واتفق المؤرخون على أنه لم يكن له ولد يسمى بجعفر، بل إنه لم يتزوج أصلاً، ولكنه تكنَّى التزاماً بآداب الشرع الحنيف وُلِد سنة ٢٢٤هـ بآمُل عاصمة إقليم طبرستان[١].

ويمكن بيان معالم دعوته في المحاور التالية:

◈ أولاً: العفو وكظم الغيظ والإحسان مع القوة في الحق:

ولما كان يناظر مرة داوود بن علي الظاهري في مسألة، فوقف الكلام على داوود، فشق ذلك على أصحابه، فقام رجل منهم، وتكلم بكلمة مَضَّة وموجعة لأبي جعفر، فأعرض عنه، ولم يرد عليه، وترفَّع عن جوابه، وقام من المجلس، وصنَّف كتاباً في هذه المسألة والمناظرة[٢].

ولما كان محمد بن داوود الظاهري قد اتهم الطبري بالأباطيل، وشنَّع عليه، وأخذ بالرد عليه؛ لأن الطبري ناظر والده، وفنَّد حججه، وردَّ آراءه، فلما التقى الطبري مع محمد بن داوود تجاوز عن كل ذلك، وأثنى على علم أبيه، حتى وقف

(١) ينظر: البداية والنهاية ١١/ ١٦٥. معجم الأدباء ١٨/ ٤٨

(٢) معجم الأدباء ١٨/ ٧٨، ٧٩.

الولد عن تجاوز الحد، وإشاعة التهم على الطبري[(١)].

قال عنه ابن كثير: «وكان من العبادة والزهادة والورع والقيام في الحق لا تأخذه في ذلك لومة لائم،... وكان من كبار الصالحين»[(٢)].

ثانياً: العناية بتلاميذه ومؤلفاته:

كان للإمام الطبري تلاميذ كثر من أشهرهم: أحمد بن كامل القاضي، ومحمد بن عبدالله الشافعي، ومخلد بن جعفر، وأحمد بن عبدالله بن الحسين الجُبْني الكبائي، وأحمد بن موسى بن العباس التميمي، وعبدالله بن أحمد الفرغاني، وعبدالواحد بن عمر بن محمد أبو طاهر البغدادي البزاز، ومحمد بن أحمد بن عمر أبو بكر الضرير الرملي، ومحمد بن محمد بن فيروز، وخلق كثير غيرهم[(٣)].

وترك لنا الطبري ثروة علمية تدل على غزارة علمه، وسعة ثقافته،، ودقته في اختيار العلوم الشرعية والأحكام المتعلقة بها؛ ومن هذه المؤلفات:

١- جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف بتفسير الطبري.

٢- تاريخ الأمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبري.

٣- اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام، المعروف باختلاف الفقهاء وهو في علم الخلاف.

٤- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، وسماه القفطي (شرح الآثار) وهو كتاب في الحديث، بقيت منه بقايا طُبعت في أربع مجلدات.

---

(١) معجم الأدباء ١٨/ ٨٩.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ١٦٦.

(٣) ينظر: تاريخ بغدد ٢/ ٥٤٨. غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٧٢ و١٣٩، ١٤٠.

٥- آداب القضاة، وهو في الفقه عن أحكام القضاء وأخبار القضاة.

٦- أدب النفوس الجيدة والأخلاق الحميدة.

◈ ثالثاً: عنايته بالآثار جمعاً وتصحيحاً واعتماداً:

ويتضح هذا المعلم المهم من خلال منهج الإمام الطبري في التفسير: فقد لخصه الشيخ محمد الحلبي بقوله: «وهو تفسير ذو منهج خاص، يذكر الآية أو الآيات من القرآن، ثم يعقبها بذكر أشهر الأقوال التي أُثرت عن الصحابة والتابعين من سلف الأمة في تفسيرها، ثم يورد بعد ذلك روايات أخرى متفاوتة الدرجة في الثقة والقوة في الآية كلها أو في بعض أجزائها بناءً على خلافٍ في القراءة أو اختلاف في التأويل، ثم يعقِّب على كل ذلك بالترجيح بين الروايات واختيار أولاها بالتقدمة، وأحقها بالإيثار»[(١)].

وقال شيخ الإسلام: «وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي»[(٢)].

وقال ابن جرير: «إن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله ﷺ، أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه؛ لأن إصابته ليست إصابة موقن أو محق، وإنما هو إصابة خارص وظانّ، والقائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم، وقد حرَّم الله ذلك»[(٣)].

---

(١) الكلمة الافتتاحية في تفسير الطبري ١/ ٤.

(٢) مجموع الفتاوى الكبرى ١٣/ ٣٦١.

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن ١/ ٣٥.

رابعاً: سعة علمه وإتقانه:

قال عن نفسه: «حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا في التاسعة»(١).

قال عنه ياقوت الحموي: «أبو جعفر الطبري المحدِّث، الفقيه، المقرئ، المؤرِّخ، المعروف، المشهور»(٢).

وقال عنه محمد بن إسحاق بن خزيمة: «ما أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير»(٣)، وقال ابن كثير: «كان أحد أئمة الإسلام علماً وعملاً بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ»(٤).

وقال الإمام الذهبي: «الإمام الجليل، المفسر أبو جعفر، صاحب التصانيف الباهرة... من كبار أئمة الإسلام المعتمدين»(٥).

وقال عنه الذهبي أيضاً: «كان ثقة حافظاً صادقاً، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، عَلَّامةً في التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات واللغة، وغير ذلك»(٦).

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: «كان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى

---

(١) معجم الأدباء ١٨/ ٤٩.

(٢) معجم الأدباء ١٨/ ٤٠.

(٣) العبر في خبر من غبر ١/ ٤٦٠.

(٤) البداية والنهاية ١١/ ١٤٦.

(٥) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٩٨، ٤٩٩.

(٦) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٠.

رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم[(١)].

◈ خامساً: عدم التفاته للإغراءات المادية والمصالح الشخصية:

قال الفرغاني: وكتب إلي المراغي، قال: لما تقلد الخاقاني الوزارة وجه إلى أبي جعفر الطبري بمال كثير، فامتنع من قبوله، فعرض عليه القضاء فامتنع، فعرض عليه المظالم فأبى، فعاتبه أصحابه وقالوا: لك في هذا ثواب، وتحيي سنة قد درست، وطمعوا في قبوله المظالم، فباكروه ليركب معهم لقبول ذلك، فانتهرهم وقال: قد كنت أظن أني لو رغبت في ذلك لنهيتموني عنه، قال: فانصرفنا خجلين[(٢)].

◈ سادساً: الهمة العالية في التأليف والتدريس:

قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوماً لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا؟، قالوا: كم قدره؟، فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه!، فقال: إنا لله! ماتت الهمم، فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولما أن أراد أن يملي التفسير قال لهم نحواً من ذلك، ثم أملاه على نحو من قدر التاريخ[(٣)].

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٥٤٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٤.

حدث عبدالله بن أحمد بن جعفر الفرغاني أن بعض تلاميذ ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حصلوا أيام حياته منذ بلغ الحلم إلى أن توفي وهو ابن ست وثمانين، ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته، فصار منها على كل يوم أربع عشرة ورقة، وهذا شيء لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق[١].

(١) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الحموي ٦/ ٢٤٤٣.

المبحث الثاني

دعوة الإمام ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)

هو الشيخ الإمام العلامة، الحافظ المفسر، شيخ الإسلام مفخر العراق، جمال الدين، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي يرجع نسبه إلى محمد بن أبي بكر الصديق الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف. ولد سنة (٥١٠هـ)، والجوزي نسبة إلى شجرة جوز كانت في داره بواسط ولم يكن بواسط جوزة غيره، وقيل غير ذلك[(١)].

ويمكن بيان معالم دعوته في النقاط التالية:

أولاً: سعة علمه:

قال ابن الجوزي: «ولو قلتُ: إني طالعتُ عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بَعْدُ في الطلب، فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سِيَرَ القوم وقدْر هِمَمِهم وحِفظهم وعباداتهم، وغرائب علومهم - ما لا يَعرِفه مَن لَم يطالع»[(٢)].

وقال: «إنني رجل حبب إلي العلم من زمن الطفولة، فتشاغلت به، ثم لم يحبب إلي فن واحد منه، بل فنونه كلها، ثم لا تقتصر همتي في فن على بعضه، بل أروم استقصاءه،

---

(١) ينظر: الوافي بالوفيات ١٨/ ١٠٩، البداية والنهاية ١٣/ ٢٨، وشذرات الذهب ١/ ٤٧، وفيات الأعيان ٣/ ١٤٢.

(٢) صيد الخاطر، ص ٤٤١.

والزمـان لا يسـع، والعمر أضيق، والشـوق يقوى، والعجز يظهـر، فيبقى وقوف بعض المطلوبات حسرات»(١).

قال الذهبي: «وكان بحراً في التفسـير، علامة في السـير والتاريخ، موصوفاً بحسن الحديث، ومعرفة فنونه، فقيها، عليماً بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن وفهم وذكاء وحفظ واسـتحضار، وإكباب على الجمع والتصنيف، مع التصون والتجمل، وحسـن الشارة، ورشـاقة العبارة، ولطف الشـمائل، والأوصاف الحميدة، والحرمة الوافرة عند الخاص والعام»(٢).

قال عنه ابن رجب: إنه «الحافظ المفسر، الفقيه الواعظ، الأديب، جمال الدين أَبُو الفرج، المعروف بابن الجوري شيخ وقته، وإمام عصره»(٣).

وقـال أيضاً: «قرأت بخط الإمام ناصح الدين ابن الحنبلي الواعظ في حق الشـيخ أبي الفرج: اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره»(٤).

ويقـول الموفق عبداللطيف: «وله في كل علم مشـاركة، لكنه كان في التفسـير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين، ولديه فقه كافٍ»(٥).

◈ ثانياً: العناية بالتأليف وتنوعه حسب حاجة المجتمع:

قـال ابن العماد: « الواعـظ المتفنن، صاحب التصانيف الكثيرة الشـهيرة في أنواع العلـم؛ من التفسـير والحديث والفقـه، والزهد والوعظ، والأخبـار والتاريخ، والطب

(١) صيد الخاطر ١/ ٥١.
(٢) سير أعلام النبلاء٢١/ ٣٦٧.
(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٦١.
(٤) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٨٢.
(٥) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٨٢.

وغير ذلك.. لا يضع من زمانه شيئاً، يكتب في اليوم أربع كراريس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلداً إلى ستين، وله في كل علم مشاركة»[١].

ويقول ابن رجب: «ولم يترك فناً من الفنون إلا وله فيه مصنف»[٢].

وقال الذهبي: « قال أبو عبدالله بن الدبيثي: شيخنا جمال الدين صاحب التصانيف في فنون العلوم من التفسير والفقه والحديث والتواريخ وغير ذلك. وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه من سقيمه»[٣].

قال الذهبي: «ما عرفت أحداً صنف ما صنف»[٤] ومن أهم وأشهر مصنفاته:

زاد المسير في علم التفسير، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب، والوجوه والنظائر، والنَّاسِخ والمنسوخ، وفنون الأفنان في عيون علوم القرآن، والعلل المتناهية في الأحاديث الواهية، ومناقب أحمد بن حنبل، وصفوة الصفوة، وتلبيس إبليس، وصيد الخاطر، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، وبستان الواعظين ورياض السامعين.

ثالثاً: إتقانه حسن الوعظ:

قال الذهبي: «أحب الوعظ، ولهج به، وهو مراهق، فوعظ الناس وهو صبي.. وكان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديهاً، ويسهب ويعجب، ويطرب، ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة»[٥].

---

(١) شذرات الذهب ٦/ ٥٣٧ و٥٣٩ باختصار.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٨٥.
(٣) سير أعلام النبلاء٢١/ ٣٧٣.
(٤) سير أعلام النبلاء٢١/ ٣٦٧.
(٥) سير أعلام النبلاء٢١/ ٣٦٧.

قال ابن كثير: «وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله، وفي فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه وغوصه على المعاني البديعة، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية، بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك، بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة»[(١)].

فقد «كان من أحسن الناس كلاماً، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً»[(٢)].

رابعاً: نصحه لولاة الأمر وللعامة:

فقد قال مرة للأمير: يا أمير: «اذكر عند القدرة عدل الله فيك، وعند العقوبة قدرة الله عليك، ولا تشف غيظك بسقم دينك»[(٣)].

وقال يوماً في وعظه: «يا أمير المؤمنين، إن تكلمت، خفت منك، وإن سكت، خفت عليك، وأنا أقدم خوفي عليك على خوفي منك، فقول الناصح: اتق الله - خير من قول القائل: أنتم أهل بيت مغفور لكم كان عمر بن الخطاب يقول: إذا بلغني عن عامل لي أنه ظلم فلم أغيره فأنا الظالم، يا أمير المؤمنين. وكان يوسف لا يشبع في زمن القحط حتى لا ينسى الجائع، وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول قرقرا ولا تقرقرا، والله لا ذاق عمر سمناً ولا سميناً حتى يخصب الناس.. فبكى المستضيء وتصدق بمال كثير، وأطلق المحابيس وكسى خلقاً من الفقراء[(٤)].

---

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٣٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٧٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٧١.

(٤) ينظر: البداية والنهاية ١٣/ ٢٩، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٨٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٧٢.

خامساً: ذكاؤه في الإجابة عن الأسئلة:

فمن أحسن ما يحكى عنه -في هذا المقام- أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي -رضي الله عنهما-، فرضي الكل بما يجيب به أبو الفرج ابن الجوزي، فأقاما شخصاً سأله عن ذلك وهو على الكرسي في مجلس وعظه، فقال ابن الجوزي: أفضلهما من كانت ابنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك، فقالت السنة: هو أبو بكر رضي الله عنه؛ لأن ابنته عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله ﷺ، وقالت الشيعة: هو علي رضي الله عنه؛ لأن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ تحته[1].

وسأله آخر: أيما أفضل: أسبح أو أستغفر؟ قال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور[2].

سادساً: محاربته البدع والرافضة:

فقد كان زمان ابن الجوزي زمان فتن وبدع وبُعد عن الله تعالى، فكان لأصحاب البدع بالمرصاد، يقول عن نفسه: «وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون في المذاهب، فأعانني الله عز وجل عليهم. وكانت كلمتنا هي العليا»[3].

ووقف للشيعة والرافضة ولأكاذيبهم بالمرصاد، فقد كثروا وقويت شوكتهم في زمان الخليفة المستضيء، يقول ابن الجوزي فكتب صاحب المخزن إلى الخليفة: «إن لم تُقَو يدَ ابن الجوزي لم يطق دفع البدع». فكتب الخليفة بتقوية يدي، فأخبرت

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ١٤١- ١٤٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٧١.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٦٦.

الناس ذلك على المنبر، وقلت: «إن أمير المؤمنين، قد بلغه كثرة الرفض، وقد خرج توقيعه بتقوية يدي في إزالة البدع، فمن سمعتموه من العوام ينتقص الصحابة فأخبروني حتى أنقض داره، وأخلده الحبس، فإن كان من الوعاظ حفرته إلى المثال، فانكف الناس»[(١)].

◈ سابعاً: عنايته بتعليم أولاده وذريته:

قال الذهبي: «حدث عنه: ولده الصاحب العلامة محيي الدين يوسف أستاذ دار المستعصم بالله، وولده الكبير علي الناسخ، وسبطه الواعظ شمس الدين يوسف بن قزغلي الحنفي صاحب مرآة الزمان»[(٢)].

◈ ثامناً: إقبال الناس عليه وتأثيره فيهم وهيبتهم له:

«كان ذا حظ عظيم وصيت بعيد في الوعظ، يحضر مجالسه الملوك والوزراء وبعض الخلفاء والأئمة والكبراء، لا يكاد المجلس ينقص عن ألوف كثيرة، حتى قيل في بعض مجالسه: إن حزر الجمع بمائة ألف. ولا ريب أن هذا ما وقع، ولو وقع، لما قدر أن يسمعهم، ولا المكان يسعهم.. وأوقع الله له في القلوب القبول والهيبة[(٣)].

قال سبطه: سمعت جدي على المنبر يقول: «بأصبعي هاتين كتبت ألفي مجلدة، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألفاً، وكان يختم في الأسبوع»[(٤)].

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٧٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٦٧.

(٣) البداية والنهاية ١٣/ ٣٥.

(٤) تذكرة الحفاظ ٤/ ٩٣.

تاسعاً: حسن العبادة:

يقول ابن رجب الحنبلي: «وكان رَحِمَهُ اللهُ مع هذه الفضائل والعلوم الواسعة ذا أوراد وتأله، وله نصيب من الأذواق الصحيحة، وحظ من شرب حلاوة المناجاة. وقد أشار هو إلى ذلك. ولا ريب أن كلامه في الوعظ والمعارف ليس بكلام ناقل أجنبي مجرد عن الذوق، بل كلام مشارك فيه»(١).

وقد ذكر ابن القادسي: «أن الشيخ كان يقوم الليل ويصوم النهار، وله معاملات، ويزور الصالحين إذا جن الليل، ولا يكاد يفتر إذا جن الليل، ولا يكاد يفتر عن ذكر الله، وله في كل يوم وليلة ختمة يختم فيها القرآن.. ورأى رب العزة في منامه ثلاث مرات»(٢).

عاشراً: مجمل صفاته الدعوية:

قال: «وكان زاهداً في الدنيا، متقللاً منها.. ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها»(٣).

يقول ابن كثير: « وكان وهو صبي ديناً مجموعاً على نفسه لا يخالط أحداً ولا يأكل ما فيه شبهة، ولا يخرج من بيته إلا للجمعة، وكان لا يلعب مع الصبيان»(٤).

قال ابن الجوزي: «فما أذكر أني لعِبت في طريق الصبيان قط، ولا ضحِكتُ ضَحِكاً عالياً»(٥).

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٨٦.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٨٦.
(٣) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٧٣.
(٤) البداية والنهاية ١٣/ ٣٥.
(٥) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، ص ٤٦.

و«كان ابن الجوزي لطيف الصورة، حلو الشمائل، رخيم النغمة، موزون الحركات والنغمات، لذيذ المفاكهة، لا يضيع من زمانه شيئاً.. وله ذهن وقاد، وجواب حاضر..

وكان يراعي حفظ صحته، وتلطيف مزاجه، وما يفيد عقله قوة، وذهنه حدة، ولباسه أفضل لباس: الأبيض الناعم المطيب وكان يخضبها بالسواد إلى أن مات»[1].

ومن ذلك محبته لإخوانه الدعاة، فقد قال لأحدهم: «أنت في أوسع العذر من التأخر عني لثقتي بك، وفي أضيقه من شوقي إليك»[2].

(١) شذرات الذهب ٦/ ٥٣٩ باختصار.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٧١.

المبحث الثالث

دعوة الإمام العز بن عبدالسلام (ت٦٦٠هـ)

هو عزّ الدّين شيخ الإسلام أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالسّلام ابن أبي القاسم بن الحسن، الإمام العلّامة، وحيد عصره، سلطان العلماء، السّلميّ الدمشقيّ ثم المصريّ الشّافعي[(١)].

قال عنه الذهبي: «بلغ رتبة الاجتهاد، وانتهت إليه رئاسة المذهب، مع الزهد والورع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصلابة في الدين، وقصده الطلبة من الآفاق، وتخرّج به أئمة»[(٢)].

وقال عنه ابن السبكي: «شيخ الإسلام والمسلمين، وأحد الأئمة الأعلام، سلطان العلماء، إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها.. لم ير مثل نَفسه وَلَا رأى من رَآهُ مثله علما وورعاً وقياماً فِي الْحق وشجاعة وَقُوَّة جنان»[(٣)].

وقال عنه ابن دقيق العيد: «كان ابن عبدالسلام أحد سلاطين العلماء»[(٤)].

وهو من أعلام الإسلام المؤثرين الذين كان لهم أثر ودور دعوي كبير في زمانه

---

(١) ينظر ترجمته في: شذرات الذهب ٧/ ٥٢٢، والإعلام بوفيات الأعلام ص (٢٧٦) والوافي بالوفيات ١٨/ ٥٢٠- ٥٢٢ وطبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٢٠٩- ٢٥٥.

(٢) شذرات الذهب ٧/ ٥٢٣.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ٢٠٩.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ٢١٢.

وحتى بعد وفاته، ويمكن بيان معالم دعوته من خلال النقاط التالية:

أولاً: زهده في الدنيا والمناصب وإيثاره الآخرة:

فقد حكى قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن الشيخ لما كان بدمشق وقع مرة غلاء كبير حتى صارت البساتين تباع بالثمن القليل، فأعطته زوجته مَصاغاً لها، وقالت: اشتر لنا به بستاناً نَصيف به، فأخذ المصاغ، وباعه، وتصدق بثمنه، فقالت: يا سيدي اشتريت لنا؟ قال: نعم، بستاناً في الجنة، إني وجدت الناس في شدة فتصدقت بثمنه، فقالت له: جزاك الله خيراً[(١)].

ولما جاء أستاذ الدار الغِرز خليل برسالة الملك الأشرف بدمشق للشيخ العز بعزله عن الإفتاء، قال له: يا غرز من سعادتي لزومي لبيتي، وتفرغي لعبادة ربي، والسعيد من لزم بيته، وبكى على خطيئته، واشتغل بطاعة الله تعالى، وهذا تسليك من الحق، وهدية من الله تعالى إلي، أجراها على يد السلطان وهو غضبان، وأنا بها فرحان، والله يا غرز لو كانت عندي خلعة تصلح لك على هذه الرسالة المتضمنة لهذه البشارة لخلعت عليك، ونحن على الفتوح، خذ هذه السجادة صل عليها، فقبِلها وقبّلها، وودعه وانصرف إلى السلطان، وذكر له ما جرى بينه وبينه. فقال لمن حضره: قولوا لي ما أفعل به، هذا رجل يرى العقوبة نعمة، اتركوه، بيننا وبينه الله[(٢)].

قال ابن السبكي: «وحكي أنه كان مع فقره كثير الصدقات، وأنه ربما قطع من عمامته، وأعطى فقيراً يسأله إذا لم يجد معه غير عِمامته»[(٣)].

ثانياً: التواضع:

ومما يذكر له في ذلك أن نائب السلطنة في مصر عندما جاءه حاملاً سيفه ليقتل العز

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ٢١٢.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ٢٣٦.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ٢١٤.

لفتواه ببيع الأمراء المماليك قام لاستقباله، فاعترضه ابنه خشية عليه من القتل، فقال له: «يا ولدي، أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله»[(١)].

☜ ثالثاً: محاربة البدع:

«وقد ولي الخطابة بدمشق، فأزال كثيراً من بدع الخطباء ولم يلبس سواداً، ولا سجع خطبته، بل كان يقولها مترسلاً، واجتنب الثناء على الملوك، بل كان يدعو لهم، وأبطل صلاة الرغائب[(٢)] والنّصف[(٣)]»[(٤)].

☜ رابعاً: التعليم ونفع الناس:

قال السبكي: «.. ثم بنى السلطان مدرسة الصالحية المعروفة بين القصرين بالقاهرة وفوض تدريس الشافعية بها إلى الشيخ عز الدين فباشره وتصدى لنفع الناس بعلومه ولما استقر مقامه بمصر أكرمه حافظ الديار المصرية وزاهدها عبدالعظيم المنذري وامتنع من الفتيا وقال كنا نفتي قبل حضور الشيخ عز الدين وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه»[(٥)].

☜ خامساً: الشجاعة في الحق والصبر على الأذية فيه:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في الأحداث الواقعة في سنة ثمان وثلاثين وستمائة: «فيها سلم الصالح إسماعيل صاحب دمشق حصن شقيف أرنون لصاحب صيدا الفرنجي، فاشتد الإنكار عليه بسبب ذلك من الشيخ عز الدين بن عبدالسلام خطيب البلد، والشيخ أبي

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ٢١٦.

(٢) الرغائب: صلاة تصلى بين المغرب والعشاء ليلة أو جمع من رجب، وبيَّن العلماء أنها من البدع

(٣) النصف: أي ليلة النصف من شعبان، ولم يرد في فضل ليلة النصف من شعبان خبر صحيح، فلا يشرع تخصيصها، بعبادة معينة

(٤) شذرات الذهب ٧/ ٥٢٣

(٥) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ٢١١.

عمرو بن الحاجب شيخ المالكية، فاعتقلهما مدة، ثم أطلقهما وألزمهما منازلهما، وولي الخطابة وتدريس الغزالية لعماد الدين داوود بن عمر بن يوسف المقدسي خطيب بيت الآبار، ثم خرج الشيخان من دمشق، فقصد أبو عمرو الناصر داوود بالكرك، ودخل الشيخ عز الدين الديار المصرية، فتلقاه صاحبها أيوب بالاحترام والإكرام، وولاه خطابة القاهرة وقضاء مصر، واشتغل عليه أهلها»[١].

☜ سادساً: نصحه للراعي والرعية وتشجيعه على الجهاد:

ذكر السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لما دهمت التتار البلاد عقيب واقعة، وجبن أهل مصر عنهم، وضاقت بالسلطان وعساكره الأرض؛ استشاروا الشيخ عز الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: اخرجوا وأنا أضمن لكم على الله النصر، فقال السلطان له: إن المال في خزانتي قليل وأنا أريد أن أقترض من أموال التجار، فقال له الشيخ عز الدين: إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلي الحرام وضربته سكة ونقداً وفرقته في الجيش ولم يقم بكفايتهم ذلك الوقت اطلب القرض وأما قبل ذلك فلا، فأحضر السلطان والعسكر كلهم ما عندهم من ذلك بين يدي الشيخ، فامتثلوا أمره فانتصروا[٢].

☜ سابعاً: فقه الإنكار على ذوي السلطان:

ذكر الشيخ السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الشيخ عز الدين ذهب مرة إلى السلطان في يوم عيد، فشاهد العساكر مصطفين بين يديه ومجلس المملكة، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية، وأخذت

(١) البداية والنهاية ١٣/ ١٨١.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، السبكي (٨/ ٢١٥)

الأمراء تقبل الأرض بين يدي السلطان، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه: يا أيوب! ما حجتك عند الله إذا قال لك ألم أبوئ لك ملك مصر ثم تبيح الخمور؟!، فقال: هل جرى هذا؟، فقال: نعم، الحانة الفلانية يباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة، يناديه كذلك بأعلى صوته والعساكر واقفون، فقال: يا سيدي هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبي، فقال أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزُّخرُف:٢٢]، فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة.

يقول الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع هذا الخبر: يا سيدي كيف الحال؟ فقال: يا بني رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه لئلا تكبر نفسه فتؤذيه، فقلت: يا سيدي أما خفته؟ فقال: والله يا بني استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان قدامي كالقط(١).

☜ ثامناً: ترك المحاباة في تطبيق شرع الله:

ذكر السبكي رَحِمَهُ اللَّهُ أن الشيخ عز الدين رأى أن جماعة من أمراء المماليك لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، فبلغهم ذلك، فعظم الخطب عندهم فيه وأضرم الأمر، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً ولا شراء ولا نكاحاً، وتعطلت مصالحهم بذلك، وكان من جملتهم نائب السلطنة، فاستشاط غضباً واجتمعوا فأرسلوا إليه، فقال: نعقد لكم مجلساً وينادى عليكم لبيت مال المسلمين ويحصل عتقكم بطريق شرعي، فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه فلم يرجع، فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة حاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله في هذا الأمر وأنه لا يتعلق به، فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار وأركب عائلته على حمار آخر

(١) طبقات الشافعية الكبرى، السبكي: (٨/ ٢١١).

ومشى خلفهم خارجاً من القاهرة قاصداً نحو الشام، فلم يصل إلى نحو نصف بريد إلا وقد لحقه غالب المسلمين، لم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل لا يؤبه إليه يتخلف لا سيما العلماء والصلحاء والتجار وأنحاؤهم، فبلغ السلطان الخبر، وقيل له: متى راح ذهب ملكك، فركب السلطان بنفسه ولحقه واسترضاه وطيب قلبه فرجع، واتفقوا معهم على أنه ينادى على الأمراء، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه، فانزعج النائب وقال كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض والله لأضربنه بسيفي هذا، فركب بنفسه في جماعته وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده، فطرق الباب فخرج ولد الشيخ أظنه عبداللطيف فرأى من نائب السلطنة ما رأى فعاد إلى أبيه وشرح له الحال، فما اكترث لذلك ولا تغير، وقال: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله.

ثم خرج كأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة، فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب وسقط السيف منها وأرعدت مفاصله فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له، وقال: يا سيدي خبِّر إيش تعمل -أي: أي شيء تعمل-؟ قال: أنادي عليكم وأبيعكم، قال: ففيم تصرف ثمننا؟ قال: في مصالح المسلمين، قال: من يقبضه؟ قال: أنا، فتم له ما أراد، ونادى على الأمراء واحداً واحداً، وغالى في ثمنهم، وقبضه وصرفه في وجوه الخير، وهذا ما لم يسمع بمثله عن أحد رحمه الله تعالى ورضى عنه(١).

وقد رأينا في هذا الموقف الشيخ عز الدين بن عبدالسلام وهو يطبق شرع الله تعالى دون محاباة لأحد، فحين ثبت أن أولئك الأمراء ما زالوا رقيقاً، نادى بوجوب بيعهم حتى يحصل عتقهم بطريق شرعي، لكي تصح جميع تصرفاتهم، وما زال مصمماً رحمه الله على ذلك حتى طبقه عليهم.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ٢١٦.

المبحث الرابع

دعوة الإمام النووي (ت٦٧٦هـ)

هو يحيى بن شرف بن مُرِّيِّ بن حسن بن حسين بن محمد جمعة بن حِزام، ونسبته: (النَّـوَوِيُّ) إلـى نَوَى، من أعمال دمشـق، فهو الدمشـقي أيضاً إقامةً، والشـافعي مذهباً، والحزامـي قبيلة، والسـني مُعتَقَـداً، لقبه: لُقِّب بمحيي الدين - مـع كراهته له- لأنَّ تلك الألقاب كانت مُتداوَلة في عصره، ومع ذلك كان يَكرَه ذلك اللقب. وكنيته: أبو زكريَّا، مع أنَّه من العُلَماء العزَّاب، الذين آثَرُوا العلم على الزواج؛ وإنما كُنِّي لأنَّ ذلك من السُّنَّة.

ويمكن بيان معالم دعوته في النقاط التالية:

أولاً: زهده وورعه وتزكيته لنفسه:

قال الرشيد بن المعلم: «عذلت الشيخ محيي الدين في عدم دخوله الحمام وتضييق العيـش في مأكله وملبسـه وأحواله، وخوفتـه من مرض يعطله عن الاشـتغال فقال: إن فلانـاً صـام، وعبَدَ الله حتى اخضر جلـده وكان يمنع من أكل الفواكـه والخيار ويقول: أخاف أن يرطب جسمي ويجلب النوم، وكان يأكل في اليوم والليلة أكلة ويشرب شربة واحدة عند السحر»[(١)].

وقـال ابن العطار: «اشـتغل بالمراقبـة لأعمال القلـوب وتصفيتها من الشـوائب يحاسب نفسه على الخطوة بعد الخطوة»[(٢)].

---

(١) تذكرة الحفاظ، الذهبي ٤/ ١٧٥.

(٢) طبقات الشافعية، ابن قاضى شهبة ٢/ ١٥٥.

وقال الذهبي: «كان مجاهداً بنفسه يعمل بدقائق الورع والمراقبة وتصفية النفس من الشوائب ومحقها من أغراضها»[(١)].

وقال هو: «الشيخ الإمام القدوة، الحافظ الزاهد، العابد الفقيه، المجتهد الرباني، شيخ الإسلام، حسنة الأنام»[(٢)].

وقال السيوطي: «وكان شديد الورع والزهد.. تاركاً لجميع ملاذ الدنيا ولم يتزوج»[(٣)].

وقال ابن كثير: «أحد العباد والعلماء الزهاد، كان على جانب كبير من العلم والعمل والزهد والتقشف، والاقتصاد في العيش والصبر على خشونته، والتورع الذي لم يبلغنا عن أحد في زمانه ولا قبله بدهر طويل»[(٤)].

✍ ثانياً: الحرص على الوقت:

قال ابن العطار: ذكر لي شيخنا النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنه كان لا يضيع له وقتاً في ليل ولا نهار إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم حتى في ذهابه في الطريق يكرر أو يطالع وأنه بقي على هذا ست سنين»[(٥)].

✍ ثالثاً: صفات الإمام النووي الدعوية:

يقول ابن العطار: «اشتغل بالتصنيف والإشغال والنصح للمسلمين وولاتهم

---

(١) تذكرة الحفاظ، الذهبي ٤/ ١٧٥.
(٢) حاشية النبراوي على الأربعين النووية المسماة (عروس الأفراح) ص١٣ في مقدمة المحقق.
(٣) طبقات الحفاظ، للسيوطي ص ٥١٣.
(٤) طبقات الشافعيين لابن كثير ١/ ٩١٢.
(٥) طبقات الشافعية، ابن قاضى شهبة ٢/ ١٥٥.

مع ما هو عليه من المجاهدة لنفسه والعمل بدقائق الفقه والحرص على الخروج من خلاف العلماء»[١].

وقال السيوطي: كان «آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، تهابه الملوك تاركاً لجميع ملاذ الدنيا»[٢].

رابعاً: حرصه على طلب العلم والاجتهاد في تحصيله:

قَدِمَ به أبوه إلى دمشق، وكانت آنذاك مَحَطَّ العُلَماء وطلبة العلم، وكان عمره (١٩) سنة، فسَكَن المدرسة الروَاحِيَّة، وقد قال الإمام النَّوَوِيُّ نفسه: «وبقيت نحو سنتين لا أضع جنبي بالأرض، وأتقوَّت بجِرَاية المدرسة»[٣].

وذكَر الإمام ابن العطار أنَّ شيخه حكَى له عن نفسه أنه كان يقرأ كل يوم (١٢) درساً على مشايخه شرحاً وتصحيحاً، وقال: وكنت أعلِّق جميع ما يتعلَّق بها من شَرْح مُشْكِلٍ، ووضوح عبارة، وضبط لغة، وبارك الله تعالى لي في وقتي[٤].

خامساً: سعة العلم ودقة الفهم:

يقول ابن العطار: «كان حافظاً للمذهب الشافعي وقواعده وأصوله وفروعه، ومذاهب الصحابة والتابعين، واختلاف العلماء ووفاقهم وإجماعهم، وما اشتهر من ذلك جميعه وما هجر، سالكاً في كلها طريقة السلف[٥].

وقال السيوطي: «كان حافظاً للحديث وفنونه ورجاله وصحيحه وعليله رأساً في

(١) طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة ٢/ ١٥٥.
(٢) طبقات الحفاظ، للسيوطي ٥١٣.
(٣) المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي للسخاوي ص٢.
(٤) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٧٤.
(٥) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي لابن العطار ص٥.

معرفـة المذهب[١]، وقال: «وكان إماماً بارعاً حافظاً متقناً أتقن علوماً شـتى، وبارك الله في علمه وتصانيفه لحسن قصده»[٢].

وقال الإمـام ابـن كثير: «الشـيخ الإمـام، العلامة الحافـظ، الفقيه النبيـل، محرر المذهب ومذهبه، وضابطه ومرتبه»[٣].

وقـال محمـد بن علَّان: «شـيخ الإسـلام، علـم الأئمة الأعـلام، أوحـد العلماء العامليـن، والأوليـاء الصالحين، عيـن المحققين، وملاذ الفقهاء والمحدثين، وشـيخ الحفاظ، وإمام الحفاظ، وإمام أرباب الضبط المتقنين»[٤].

وقال التاج السبكي: «قال والدي: إنه ما دخلها -أي دار الحديث الأشرفية- أعلم ولا أحفظ من المزي، ولا أورع من النووي وابن الصلاح»[٥].

سادساً: الجمع بين التربية والتعليم:

وتميـز رحمـه الله تعالـى بالجمـع بيـن التربيـة والتعليـم، أي: تربية طلابـه وبين تعليمهـم، وضمَّن ذلك كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن ذلـك كتابه التبيان في آداب حملة القرآن: وهو كتـاب يحوي ما يجب على حامل القرآن الكريم من آداب، وأوصاف حفظته، وطلبته، وآداب معلم القرآن، وفضل تلاوته، وما أعد الله لأهل القرآن من إكرام.

وكذلك كتاب أدب المفتي والمستفتي.

---

(١) تذكرة الحفاظ، الذهبي ٤/ ١٧٥.
(٢) طبقات الحفاظ، للسيوطي ص ٥١٣.
(٣) طبقات الشافعيين ص٩١٠.
(٤) دليل الفالحين ١/ ٢٣.
(٥) طبقات الشافعية للسبكي ١٠/ ١٦٩.

سابعاً: وصية الإمام النووي بالعلماء وإكرامهم وتلبية احتياجاتهم:

كتب الشيخ محيى الدين ورقة إلى الظاهر بيبرس لما رَسَّمَ بأن الفقيه لا يكون مُنزَلاً في أكثر من مدرسة واحدة:

«بسم الله الرحمن الرحيم: الله تعالى أمر بالتعاون على البر والتقوى، ونصيحة ولاة الأمور وعامة العلماء، وأخذ على العلماء العهد، وتبليغ أحكام الدين ومناصحة المسلمين، وحث على تعظيم حرماته، وإعظام شعائر الدين، وإكرام العلماء وأتباعهم. وقد بلغ الفقهاء أنه رُسِمَ في حقهم بأن يغيروا عن وظائفهم، ويقطعوا عن بعض مدارسهم، فتنكدت بذلك أحوالهم، وتضرروا بهذا التضييق عليهم، وهم محتاجون، ولهم عيال، وفيهم الصالحون **والمشتغلون بالعلوم، وإن كان فيهم طائفة لا يلحقون مراتب غيرهم؛ فهم منتسبون إلى العلم** ويشاركون فيه. ولا يخفى مراتب أهل العلم وثناء الله تعالى عليهم وبيانه مزيتهم على غيرهم، وأنهم ورثة الأنبياء صلوات الله عليهم؛ فإن الملائكة تضع أجنحتها لهم، ويستغفر لهم كل شيء حتى الحوت في الماء.

واللائق بالجناب العالي إكرام هذه الطائفة والإحسان إليهم ومعاضدتهم، ورفع المكروهات عنهم، والنظر بما فيه من الرفق بهم، فقد ثبت في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ، إنه قال: **(اللهم من ولى من أمور أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به)**[(١)]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه كان يقول لطلبة العلم: «مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، وعن رسول الله ﷺ قال: **(إن رجالاً يأتونكم يتفقهون، فاستوصوا بهم خيراً)**[(٢)].

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل (٣٤٠٧).

(٢) جامع الترمذي ،كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الاستيصاء بمن يطلب العلم (٢٦٥٠)، وضعفه الألباني.

والمسؤول ألا يغير على هذه الطائفة شيء، وتستجاب دعوتهم لهذه الدولة القاهرة، وقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: **(هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم)**[(١)]. وقد أحاطت العلوم بما أجاب به الوزير نظام الملك حين لا ترد سهامهم بالأسحار؛ فاستصوب فعله، وساعده عليه. والله الكريم يوفق الجناب دائماً لمرضاته، والمسارعة إلى طاعته والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم»[(٢)].

✍ ثامناً: العناية بمدارس التعليم:

فقد قام الإمام النووي بالتدريس في المدرسة الإقبالية، نيابة عن ابن خلكان إلى آخر سنة ٦٦٩هـ، كما ناب النووي -أي صار نائباً- في مدرستي الفلكية والركنية.

وتولى النووي دار الحديث الأشرفية في الفترة ٦٦٥- ٦٧٦هـ؛ وهي أشهر دار في بلاد الشام لعلم الحديث، والمتعارف عليه ألا يلي مشيختها إلا عظيم وقته في العلم، وخصوصاً علم الحديث، ومن لقب بشيخ دار الحديث، نال في العلم أجل الألقاب، وقد وليها قبل النووي: تقي الدين بن الصلاح، وشهاب الدين أبو شامة المقدسي[(٣)].

✍ تاسعاً: كثرة تأليفه وتنوعه:

لقد بارَكَ الله - تعالى - في عمر الإمام النَّوَوِيِّ ووقته؛ فمع أن عمره (٤٥) سنة إلا أنَّه ترك مؤلَّفات سارَتْ بها الرُّكبان في حياته وبعد مَماتِه، وأصبَحت مَراجِع غنيَّة، ومَصادِر ثريَّة، ينهل منها العُلَماء وطلبة العلم والعامَّة، ولا تكاد تجد عالماً أو طالب

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الاستعانة بالضعفاء والصالحين في الحرب (١٠٦١).

(٢) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ١/ ٢٤٨.

(٣) ينظر: البداية والنهاية١٣/ ٢٩٧. والدارس في تاريخ المدارس ٦/ ٣٤.

علم بعدَ الإمام النَّوَوِيِّ - إلا ما شاء الله تعالى - إلا وقد استَفاد من مؤلفات الإمام النَّوَوِيِّ بواسطة وبغير واسطة، وهذه إحدى كرامات هذا الإمام الجليل(١).

ومن أشهر ما صنَّف النووي: شرح مسلم، وروضة الطالبين في المذهب الشافعي اختصرها النووي من كتاب الإمام الرافعي «الشرح الكبير».

وكتاب المنهاج، وهو من أكثر كتب النووي تداولاً، وقد اختصره من «المحرَّر» للرافعي.

وكتاب رياض الصالحين: لم يبلغ كتاب من كتب الحديث والوعظ من الانتشار والثقة ما بلغه هذا الكتاب.

والأذكار، والتبيان في آداب حملة القرآن، والأربعين النووية، وأدب المفتي والمستفتي.

عاشراً: حسن نصيحة ولاة الأمور(٢):

ومن ذلك تلطُّف النووي بالملك الظاهر ودعاؤه له: فقد كتب الإمام النوويُّ إلى ملِك عصره الظاهر بيبرس - ثمَّ ابنه السعيد - رسائلَ عِدَّة، كان يظهر فيها التلطُّف في خطابه، ويكثر من الدعاء له حين يذكره، كقوله: «أدام الله له الخيرات»، وقوله: «أعزَّ الله أنصارَه». وقوله: «وفَّقه الله لطاعته، وتولَّاه بكرامته».

وقال في إحدى رسائله: «ونحن نحبُّ للسلطان معالِيَ الأمور، وأكمل الأحوال، وما ينفعه في آخرتِه ودنياه، ويكون سبباً لدوام الخيرات له، ويبقى ذكره له على ممرِّ الأيام، ويخلد في سننِه الحسنَة، ويجد نفعَه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠]».

---

(١) حاشية النبراوي على الأربعين النووية المسماة (عروس الأفراح) ص٢٣ في مقدمة المحقق.

(٢) هذه الرسائل ساقها تلميذُه الوفي ابن العطار في تحفة الطالبين في ترجمة شيخنا الإمام النووي ص٨ وما بعدها.

وقـد يبتغـي له العذر بأنَّ الأخبار لا تصل إليه على حقيقتها، وفي ذلك يقول: «ولو رأى السلطانُ ما يلحق الناسَ من الشدائد، لاشتدَّ حزنه عليهم...، ولكن لا تُنهَى -أي: لا تُرفع- الأمورُ إليه على وجهها».

ومـن عباراتـه التي كتبها إلـى بيبرس قوله: «فبـالله أغِث المسـلمين يغثك الله، وارفُق بهم يَرفق اللهُ بك...، وإذا رفق السلطان بهم حصلَ له دعاء رسولِ الله ﷺ لمن رفـق بأمَّته، ونصره على أعدائـه، فقد قال الله تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ﴾ [محمـد: ٧]، وتتوفَّر له مِن رعيَّته الدعـواتُ، وتظهر في مملكته البَركات، ويبارك له في جميع ما يقصده من الخيرات».

المبحث الخامس

دعوة الإمام ابن تيمية (تـ٧٢٨هـ)

أحمد تقي الدين بن شهاب الدين عبدالحليم بن أبي البركات مجد الدين بن تيمية، الحرَّاني، الدمشقي (أبو العباس) ولادته: ولد بحرَّان سنة ٦٦١ هـ.

وهو شيخ الإسلام مجدد زمانه المجاهد بقوله وبنانه وسنانه، كتب الله لأقواله وأعماله القبول والتقديم والاختيار.. وكان له من الجهود الدعوية ما يمثل موسوعات علمية تاريخية.. وحسبنا هنا أن نقف وقفات عامة حول معالم لدعوته من خلال النقاط التالية:

◆ **أولاً: علمه وحفظه وذكائه:**

قال الذهبي عن ابن تيمية: «إنه صار من أكابر العلماء في حياة شيوخه... ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعةَ آلاف كُرَّاسٍ وأكثر، وفسَّر كتاب الله -تعالى- مدة سنين من صدره أيامَ الجُمَع، وكان يتوقَّد ذكاءً، وسماعاته من الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر من مائتي شيخ، ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله وصحيحه وسقيمه مما لا يُلحق فيه، وأما نقله للفقه ولمذاهب الصحابة والتابعين، فضلاً عن المذاهب الأربعة، فليس له نظير، وأما معرفتُه بالملل والنِّحَل، والأصول والكلام، فلا أعلم له فيه مثيلاً، ويدري جملةً صالحة من اللغة، وعربيَّتُه قوية جدّاً، وأما معرفته بالتاريخ والسير فعجبٌ عجيب»[1].

---

(١) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص ٢٦.

ويقول زميله في الدراسة علم الدين البرزالي: «قلَّ أن سمع شيئاً إلا حفِظه، وكان ذكيّاً كثير المحفوظ»[١].

وقال الذهبي: «ما رأيت أشد استحضاراً للمتون وعَزْوِها منه، وكانت السُّنَّة بين عينيه وعلى طرف لسانه»[٢].

وقال معاصره الزملكاني الذي كان خصمَه في مجلس المناظرة: «لم يُرَ من خمسمائة سنة أو أربعمائة سنة - والشك من الناقل - أحفظُ منه»[٣].

وقال الذهبي: «كان يتوقَّد ذكاءً»، ويقول في مكان آخر: «كان آية على الذكاء وسرعة الإدراك»[٤].

◆ ثانياً: حسن سيرته وأخلاقه:

قال الذهبي: نشأ يعني الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ اللهُ في تصون تام وعفاف وتأله وتعبد واقتصاد في الملبس والمأكل..

انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل والزهد والورع والشجاعة والكرم والتواضع والحلم والأناة والجلالة والمهابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الصدق والأمانة والعفة والصيانة وحسن المقصد والإخلاص والابتهال إلى الله تعالى وشدة الخوف منه ودوام المراقبة له والتمسك بالأثر والدعاء الى الله تعالى وحسن الأخلاق ونفع الخلق والاحسان اليهم

(١) الحافظ أحمد ابن تيمية لأبي الحسن الندوي، ص ١٠١، نقلاً عن الرد الوافر للألباني ص ٦٦.
(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١/ ٦١.
(٣) الرد الوافر ص ٢٩.
(٤) الرد الوافر ص ٢٩.

وكان رحمه الله تعالى سيفاً مسلولاً على المخالفين وشجاً في حلوق أهل الأهواء والمبتدعين واماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين طنت بذكره الأمصار وضنت بمثله الأعصار».

كان إماماً متبحراً في علوم الديانة صحيح الذهن سريع الإدراك سيال الفهم كثير المحاسن موصوفاً بفرط الشجاعة والكرم فارغاً عن شهوات المأكل والملبس والجماع لا لذة له في غير نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه(١).

◆ **ثالثاً: الصبر على البلاء مع السعادة القلبية:**

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد:١٣] وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة(٢).

◆ **رابعاً: موقفه من خصومه والعفو عنهم:**

قال القاضي زيد الدين ابن مخلوف قاضي المالكية يقول: ما رأينا أتقى من ابن تيمية لم نبق ممكناً في السعي فيه ولما قدر علينا عفا عنا(٣).

---

(١) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ص ٢٠.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ص ٤٨.

(٣) العقود الدرية، ابن عبدالهادي: ص ٢٩٨.

ومن كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيمن آذوه، في رسالة كتبها لأصحابه: « فلا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه علي أو ظلمه وعدوانه فإني قد أحللت كل مسلم وأنا أحب الخير لكل المسلمين وأريد بكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي وأما ما يتعلق بحقوق الله فإن تابوا تاب الله عليهم وإلا فحكم الله نافذ فيهم فلو كان الرجل مشكوراً على سوء عمله لكنت أشكر كل من كان سبباً في هذه القضية لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة لكن الله هو المشكور على حسن نعمه وآلائه وأياديه التي لا يقضى للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له وأهل القصد الصالح يشكرون على قصدهم وأهل العمل الصالح يشكرون على عملهم وأهل السيئات نسأل الله أن يتوب عليهم »[1].

قال ابن القيم: «وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد منهم قط وكان يدعو لهم وجئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذى له فنهرني وتنكر لي واسترجع ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم وقال: إني لكم مكانه ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه ونحو هذا من الكلام فسروا به ودعوا له وعظموا هذه الحال منه فرحمه الله ورضى عنه»[2].

وقال في الفتنة التي كانت بينه وبين ابن مخلوف: «وأنا والله من أعظم الناس معاونة على إطفاء كل شر فيها وفي غيرها وإقامة كل خير وابن مخلوف لو عمل مهما عمل والله ما أقدر على خير إلا وأعمله معه ولا أعين عليه عدوه قط ولا حول ولا

(١) العقود الدرية ص ٢٨١.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٣٤٥.

قوة إلا بالله هذه نيتي وعزمي مع علمي بجميع الأمور فإني أعلم أن الشيطان ينزغ بين المؤمنين ولن أكون عوناً للشيطان على إخواني المسلمين ولو كنت خارجاً لكنت أعلم بماذا أعاونه لكن هذه مسألة قد فعلوها زوراً والله يختار للمسلمين جميعهم ما فيه الخيرة في دينهم ودنياهم ولن ينقطع الدور وتزول الحيرة إلا بالإنابة إلى الله والاستغفار والتوبة وصدق الالتجاء فإنه سبحانه لا ملجأ منه إلا إليه ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

◆ خامساً: المشاركة في الجهاد:

ذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وقعة شَقْحَب التي جرت بين جيوش المسلمين من مصر والشام والتتر في رمضان سنة ٧٠٢هـ، وقد حضر ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الوقعة وكان له أثر كبير في النصر الذي نعم به المسلمون فحرض السلطان على القتال، وبشره بالنصر، وجعل يحلف له بالله الذي لا إله إلا هو: إنكم منصورون عليهم في هذه المرة، فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، وأفتى الناس بالفطر مدة قتالهم، وأفطر هو أيضاً، وكان يدور على الأطلاب والأمراء فيأكل من شيء معه في يده، ليعلمهم أن إفطارهم ليتقووا على القتال أفضل، فيأكل الناس، وكان يتأول في الشاميين قوله ﷺ: **(إنكم ملاقو العدو غداً، والفطر أقوى لكم)**[٢] فعزم عليهم في الفطر عام الفتح ووقعت المعركة ونزل النصر على المسلمين قريب العصر يومئذ، واستظهر المسلمون عليهم، ولله الحمد والمنة[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٧١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب أجر المفطر في السفر إذا تولى العمل (١١٢٠).

(٣) البداية والنهاية ١٨/ ٢٧.

◆ سادساً: الإخلاص لله وتجريد الفضل والتوفيق له دون سواه:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه من ذلك أمراً لم أشاهده من غيره، وكان يقول كثيراً: ما لي شيء، ولا مني شيء، ولا في شيء، وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

أنا المكدي وابن المكدي وهكذا كان أبي وجدي

وكان إذا أثني عليه في وجهه يقول: والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت، وما أسلمت بعد إسلاماً جيداً[(١)].

◆ سابعاً: حسن توريثه الدعوة لطلابه ومحبيه:

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية؛ صاحب التصانيف النافعة السارة التي انتفع بها الموافق والمخالف...»[(٢)].

◆ ثامناً: لزوم السنة والدليل:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تصرفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان: عبادات يصلح بها دينهم وعادات يحتاجون إليها في دنياهم، فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع. وأما العادات فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه والأصل فيه عدم الحظر فلا يحظر منه إلا ما حظره الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٥٢٠.

(٢) تقريظ لابن حجر على الرد الوافر، صفي الدين الحنفي ص ١٥.

وذلك لأن الأمر والنهي هما شرع الله والعبادة لا بد أن تكون مأموراً بها، فما لم يثبت أنه مأمور به كيف يحكم عليه بأنه عبادة وما لم يثبت من العبادات أنه منهي عنه كيف يحكم على أنه محظور ولهذا كان أحمد وغيره من فقهاء أهل الحديث يقولون: إن الأصل في العبادات التوقيف فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى»[١].

◆ تاسعاً: الكرم والجود في سبيل الدعوة:

«وكان ابن تيمية يخص جملة من تلاميذه بالمعايشة والاحتكاك المباشر والتربية العلمية والفكرية، وذلك في منزله وبعض مجالسه، حتى إنه كان يستضيف بعضاً منهم، خصوصاً الغرباء عن دمشق، الذين يلمس فيهم الذكاء والفطنة والحرص على العلم والجد، فكان يتناول معهم الطعام، ويلاطفهم، ويقوم بخدمتهم، فيرون منه أنموذجاً فاضلاً كريماً لحياة السلف الصالح، والعالم العامل والداعية الحكيم»[٢].

حدّث الشيخ علي الواسطي: «أنه كان بحضرة الشيخ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مدة طويلة، قال: فكان قوتنا في غالبها أنه كان في بكرة النهار يأتينا ومعه قدر نصف رطل خبزاً بالعراقي، فيكسر بيده لقماً، ونأكل منه أنا وهو جميعاً ثم يرفع يده قبلي، ولا يفرغ باقي القرص من بين يدي حتى أشبع، بحيث أني لا أحتاج إلى طعام إلى الليل، فيؤتى بعشائنا فيأكل هو معي لقيمات ثم يؤثرني بالباقي، وكنت أسأله أن يزيد على أكله فلا يفعل، وكان هذا رأينا في غالب مدة إقامتي عنده، وما رأيت نفسي أغنى منها في تلك المدة»[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٢٩/ ١٦.

(٢) منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله ٢/ ٧٥٣-٧٥٤.

(٣) الأعلام العلية في مناقب الشيخ ابن تيمية ص ٤٧- ٤٨.

◆ **عاشراً: بث روح الأمل والثبات في الناس والولاة وقت المحن والشدائد:**

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يسود الرجل الناس حتى يكون في نفسه مجتمع الخلق ثابتاً»(١).

يقول الإمام ابن قيم الجوزية عن شيخه ابن تيمية رحمة الله تعالى على الجميع:

«وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها»(٢).

◆ **الحادي عشر: دفاعه عن السنة ومحاربته البدع والمبتدعة:**

وقد ردَّ ابن تيمية على الفلاسفة والمناطقة والمتكلمة في كتابه الشهير «درء تعارض العقل والنقل» بالإضافة إلى رده على الماديين والعلمانيين والملاحدة.

وردَّ ابن تيمية على الشيعة في كتاب ماتع شهير إسمه «منهاج السنة النبوية» فنَّد فيه أدلة آيات وسادة وملالي الشيعة بأسلوب عقلاني صرف.

وردَّ ابن تيمية على الصوفية الخرافية التي تعطي لبعض البشر مكانة مقدسة غير مستحقة فكتب كتابه الشهير «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

ولم يكتف شيخ الإسلام ابن تيمية بهذه الردود العقدية بل استشعر الحاجة إلى تخليص الدين والفقه على وجه خاص، من التقليد الأجوف القائم على التبعية العمياء، مع احتفاظ الشيخ وتأكيده على احترامه لأئمة الدين من أصحاب المذاهب الأربعة،

(١) مجموع الفتاوي ١٧/ ٢٢٦.

(٢) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، ص ١١٠.

فكتب رسالته القصيرة «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» والتي تدعو إلى نبذ العصبية والتقليد لشيوخ المذهب وضرورة تقديم ما صح به الكتاب والسنَّة على أقوال الأئمة، ولا يجوز بأي حال تقديم قول عالم أو إمام كائناً من كان على ما صح ثبوتاً ودلالة من أقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

كما رد على الأشاعرة والماتريدية والمشبهة والمعطلة.. وكل من خالف منهج أهل السنة في العقيدة أو الشريعة.

◆ الثاني عشر: العدل والإنصاف في الرد على المبتدعة:

قال شيخ الإسلام: « كل من كان مؤمناً بما جاء به محمد ﷺ فهو خير من كل من كفر به، وإن كان في هذا المؤمن نوع من البدعة سواء كانت بدعة الخوارج أو الشيعة أو المرجئة أو القدرية أو غيرهم، فإن اليهود والنصارى كفار كفراً معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام. والمبتدع إذا كان يحسب أنه موافق للرسول لا مخالف له لم يكن كافراً به، ولو قدر أنه يكفر فليس كفره مثل كفر من كذب الرسول»[(١)].

ويقول: «ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطناً وظاهراً لكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة، فهذا ليس بكافر ولا منافق ثم قد يكون فيه عدوان وظلم يكون به فاسقاً أو عاصياً، وقد يكون مخطئاً مغفوراً له خطؤه، وقد يكون مع ذلك معه الإيمان والتقوى ما يكون معه من ولاية من الله بقدر إيمانه وتقواه»[(٢)].

ومن ذلك موقف شيخ الإسلام من الذين خالفوه وكفروه من أهل البدع، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا وأنا في سعة صدر لمن يُخالفني، فإنه وإن تعدى حدود الله فيَّ بتكفير أو

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٢٠١.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٥٣.

تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية فأنا لا أتعدى حدود الله فيه بل أضبط ما أقوله أو أفعله وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتماً بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس حاكماً فيما اختلفوا فيه...، وذلك أنك ما جزيت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه»(١).

ومن ذلك كلامه في التفضيل بين طوائف المبتدعة بحسب قربها من الحق وذكر ما في بعضها من صفات حسنة: فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرافضة فيهم من هو متعبد ورع زاهد، لكن ليسوا في ذلك مثل غيرهم من أهل الأهواء، فالمعتزلة أعقل منهم وأعلم وأدين، والكذب والفجور فيهم أقل منه في الرافضة، والزيدية من الشيعة خير منهم وأقرب إلى الصدق والعدل والعلم، وليس في أهل الأهواء أصدق ولا أعبد من الخوارج... ومع هذا فأهل السنة يستعملون معهم العدل والإنصاف ولا يظلمونهم، فإن الظلم حرام مطلقاً كما تقدم»(٢).

ومن إنصاف شيخ الإسلام أنه حينما يتعرض لعلماء فيهم بدعة فإنه يذكر محاسنهم ومحاولة الاعتذار لهم:

فمثلاً حينما نقل كلام أبي أمامة المالكي في أبي ذر الهروي قوله: «لعن الله أبا ذر الهروي، فإنه أول من حمل الكلام إلى الحرم وأول من بثه في المغاربة» علّق شيخ الإسلام على هذه العبارة فقال: «أبو ذر فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة وغير ذلك من المحاسن والفضائل ما هو معروف به»(٣).

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٤٥.
(٢) منهاج السنة ٥/ ١٥٧.
(٣) درء التعارض ٢/ ١٠١.

ثم يُحاول أن يعتذر لأبي ذر وأمثاله فيقول: «ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساعٍ مشكورة وحسنات مبرورة له من الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع والانتصار لأهل السنة ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، لكن لما التبس على الناس هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة، وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك منهم من يعظمهم لما لهم من المحاسن والفضائل ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل وخيار الأمور أوساطها»[(١)].

(١) درء التعارض ٢/ ١٠٢.

المبحث السادس

دعوة الإمام الذهبي (ت٧٤٨هـ)

إمام المحدثين ومؤرخ الإسلام شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي، الدمشقي الشافعي، ولد في دمشق سنة ٦٧٣هـ، وكان من أسرة تركمانية الأصل، وعمل والده بصنعة الذهب المدقوق، فبرع بها، وتميز وعرف بها.

وهو من أعلام الإسلام الذين أسهموا في نشر الدعوة من خلال تخصص ومجال مهم وهو معرفة الرجال.. ولذا فإنه مدرسة منهجية في تقييم الرجل..

ولذا فسنجمل معالم دعوته من خلال النقاط التالية:

أولاً: تخصصه الدعوي وإتقانه له وتميزه فيه:

يعد الإمام شمس الدين الذهبي واحداً من الأفذاذ القلائل في مسيرة علوم الحديث والرجال والتاريخ الإسلامي، وقد دلت آثاره العلمية على سعة أفقه وعلمه وحفظه، وقدرته الفائقة على نقد الرجال وتصوير التاريخ.

يقول تاج الدين السبكي: «شَيخنَا وأستاذنا الإِمَام الْحَافِظ.. مُحدث الْعَصْر، أستاذنا الحافظ أَبُو عبدالله بَصر لَا نَظِير لَهُ، وكنز هُوَ الملجأ إِذا نزلت المعضلة، إِمَام الْوُجُود حفظاً، وَذهب الْعَصْر معنى ولفظاً، وَشَيخ الْجرْح وَالتَّعْدِيل وَرجل الرِّجَال فِي كل سَبِيل»(١).

قال الصفدي: «حافظ لا يجارى، ولافظ لا يبارى، أتقن الحديث ورجاله، ونظر

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٩/ ١٠١، ١٠٢

علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأبان الإبهام في تواريخهم والإلباس، جمع الكثير، ونفع الجم الغفير، وأكثر من التصنيف، ووفر بالاختصار مؤونة التطويل في التأليف»[(١)].

وقال السيوطي: «الإمام الحافظ محدث العصر وخاتمة الحفاظ ومؤرخ الأعلام وفرد الدهر والقائم بأعباء هذه الصناعة..، طلب الحديث وله ثماني عشرة سنة، فسمع الكثير ورحل وعين بهذا الشأن وتعب فيه وخدمه إلى أن رسخت فيه قدمه»[(٢)].

وقال الشوكاني: «وَجَمِيع مصنفاته مَقْبُولَة مَرْغُوب فِيهَا، رَحل النَّاس لأَجلهَا وأخذوها عَنهُ وتداولوها وقرأوها وكتبوها فِي حَيَاته وطارت فِي جَمِيع بقاع الأَرْض، وَله فِيهَا تعبيرات رائقة وألفاظ رشيقة غَالِباً، لم يسْلك مسلكه فِيهَا أهل عصره وَلَا من قبلهم وَلَا من بعدهمْ، وَبِالْجُمْلَةِ فَالنَّاس فِي التَّارِيخ من أهل عصره فَمن بعدهمْ عِيَال عَلَيْهِ، وَلم يجمع أحد فِي هَذَا الْفَنِّ كجمعه وَلَا حَرَّره كتحريره»[(٣)].

وقد ترك الإمام الذهبي إنتاجاً غزيراً من المؤلفات بلغ أكثر من مائتي كتاب، شملت كثيراً من ميادين الثقافة الإسلامية، فتناولت القراءات والحديث ومصطلحه، والفقه وأصوله والعقائد والرقائق، غير أن معظم مؤلفاته في علوم التاريخ وفروعه، ما بين مطول ومختصَر ومعاجم وسير، ومنها: تاريخ الإسلام: وهو كتاب كبير الحجم عظيم النفع.

وسير أعلام النبلاء: وقد ألفه بعد تاريخ الإسلام وهو ليس مختصراً له.

وكتب أخرى منها: العبر في خبر من غبر، اختصار المستدرك للحاكم، ميزان الاعتدال

---

(١) الوافي بالوفيات ٢/ ١٦٣.

(٢) ذيل تذكرة الحفاظ ص٣٤٧-٣٤٨.

(٣) البدر الطالع ٢/ ١١١.

في نقـد الرجـال، تذكـرة الحفاظ، اختصـار تاريـخ بغداد للخطيـب البغـدادي، اختصار تاريخ دمشـق لابن عسـاكر، المغني في الضعفاء، ديوان الضعفـاء والمتروكين وخلق من المجهوليـن وثقات فيهم لين، تذهيب تهذيب الكمال في أسـماء الرجال، معجم الشـيوخ الكبير، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ميزان الاعتدال في نقد الرجال.

ثانياً: تلطفه مع المدعوين:

وقـد اعترف عبدالوهـاب بن تقي الدين السـبكي بفضل الإمام الذهبـي عليه بقوله:

«وَكنـت أَنا كثير الْمُلَازمَة للذهبي أمضي إِلَيْهِ فِي كل يَوْم مرَّتَيْنِ بكرَة وَالْعصر وَأما الْمزي فَمَا كنت أمضي إِلَيْهِ غير مرَّتَيْنِ فِي الْأُسْبُوع وَكَانَ سَبَب ذَلِك أَن الذَّهَبِيّ كَانَ كثير الملاطفة لي والمحبة فِي بِحَيْثُ يعرف من عرف حَال مَعَه أَنه لم يكن يحب أحداً كمحبته فِي وَكنت أَنا شَابّاً فَيَقَع ذَلِك مني موقعاً عَظِيماً وَأما الْمزي فَكَانَ رجلاً عبوساً مهيباً»[١].

ثالثاً: الصدق والأمانة مع النفس والغير:

وهـذا الإمام الحافظ مؤرّخ الإسـلام أبو عبـدالله الذّهبي رَحِمَهُ اللَّهُ أَلَّـف كتاب «ذيل ديـوان الضعفـاء» والعجيب الغريب أنّه أدرج نفسـه فيهم! فقال «محمـد بن أحمد بن عثمان الغافقي: سيّء الحفظ ليس بالمتقن ولا بالمتَّقي، سامحه الله تعالى»[٢].

رابعاً: الورع والإنصاف في الحديث عن الرجال:

وتجلـى ذلك مـع المبتدعة من ذلك كلامـه عن قتادة السدوسـي وكان ممن قال بالقـدر قـال في ترجمته: «ومع هذا فما توقف أحد في صدقـه وعدالته وحفظه ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يُريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، ثم إن الكبير من أئمة العلم

---

(١) طبقات الشافعية ١٠/ ٣٩٨.

(٢) ذيل ديوان الضعفاء ١/ ٥٦.

إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلله، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك»[١].

ويقول الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في إحدى المسائل خطأ مغفوراً له قمنا عليه، وبدّعناه، وهجرناه، لما سلم معنا لا ابن نضر، ولا ابن منده، ولا من هو أكبر منهما، ثم قال: والخوض في ذلك لا يجوز»[٢].

خامساً: الدعوة إلى طلب العلم وبيان صفات العلماء المتقنين:

قال الذهبي: «الأمانة جزء من الدين، والضبط داخل في الحذق، فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقياً ذكياً، نحوياً لغوياً زكياً، حيياً، سلفياً، يكفيه أن يكتب بيده مائتي مجلد، ويحصل من الدواوين المعتبرة خمسمائة مجلد، وأن لا يفتر من طلب العلم إلى الممات، بنية خالصة وتواضع، وإلا فلا يتعن»[٣].

سادساً: التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ:

قال الذهبي: «الكذب أس النفاق وآية المنافق، والمؤمن يطبع على المعاصي والذنوب الشهوانية لا على الخيانة والكذب، فما الظن بالكذب على الصادق الأمين صلوات الله عليه وسلامه وهو القائل: **(من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار)**[٤] فهذا وعيد لمن نقل عن نبيه ما لم يقله مع غلبة الظن أنه ما قاله فكيف حال من تهجم على رسول الله ﷺ وتعمد عليه الكذب وقوله ما لم يقل.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٧١.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٨٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ (١٠٩).

فإنا لله وإنا إليه راجعون ما ذي إلا بلية عظيمة وخطر شديد ممن يروي الأباطيل والأحاديث الساقطة المتهم نقَلَتُها بالكذب، فحقٌّ على المحدث أن يتورع في ما يؤديه وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته، ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكى نقلة الأخبار ويجرحهم جهبذاً إلا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن وكثرة المذاكرة والسهر والتيقظ والفهم مع التقوى والدين المتين والإنصاف والتردد إلى مجالس العلماء والتحري والإتقان وإلا تفعل:

فدع عنك الكتابة لست منها ... ولو سودت وجهك بالمداد

قال الله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فإن آنست يا هذا من نفسك فهماً وصدقاً وديناً وورعاً وإلا فلا تتعن، وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأى المذهب فبالله لا تتعب، وإن عرفت أنك مخلط مخبط مهمِل لحدود الله فأرحنا منك، فبعد قليل ينكشف البهرج ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فقد نصحتك، فعلم الحديث صَلِفٌ، فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت أن لا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب(١).

سابعاً: الرفع من شأن السلف والدفاع عنهم ومعرفة قدرهم:

وقال في آخر الطبقة التاسعة من «تذكرة الحفاظ»: «ولقد كان في هذا العصر وما قاربه من أئمة الحديث النبوي خلق كثير، وما ذكرنا عشرهم هنا، وأكثرهم مذكورون في تاريخي، وكذلك كان في هذا الوقت خلق من أئمة أهل الرأي والفروع، وعدد من أساطين المعتزلة والشيعة وأصحاب الكلام الذين مشوا وراء المعقول وأعرضوا عما

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ١٠ باختصار يسير.

عليه السلف من التمسك بالآثار النبوية، وظهر في الفقهاء التقليد وتناقص الاجتهاد، فسبحان من له الخلق والأمر.

فبالله عليك يا شيخ ارفق بنفسك والزم الإنصاف ولا تنظر إلى هؤلاء الحفاظ النظر الشزر، ولا ترمقنهم بعين النقص، ولا تعتقد فيهم أنهم من جنس محدثي زماننا، حاشا وكلا فما في من سميت أحد ولله الحمد إلا وهو بصير بالدين، عالم بسبيل النجاة، وليس في كبار محدثي زماننا أحد يبلغ رتبة أولئك في المعرفة، فإني أحسبك لفرط هواك تقول بلسان الحال إن أعوزك المقال: من أحمد؟ وما ابن المديني؟ وأي شيء أبو زرعة وأبو داوود؟!! هؤلاء محدثون، ولا يدرون ما الفقه وما أصوله، ولا يفقهون الرأي، ولا علم لهم بالبيان والمعاني والدقائق، ولا خبرة لهم بالبرهان والمنطق، ولا يعرفون الله تعالى بالدليل، ولا هم من فقهاء الملة!! فاسكت بحلم، أو انطق بعلم، فالعلم النافع هو ما جاء عن أمثال هؤلاء، ولكن نسبتك إلى أئمة الفقه كنسبة محدثي عصرنا إلى أئمة الحديث، فلا نحن ولا أنت، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذو الفضل. فمن اتقى الله راقب الله واعترف بنقصه، ومن تكلم بالجاه وبالجهل أو بالشر والبأو-وهو العجب- فأعْرِضْ عنه وذره في غيه فعقباه إلى وبال»[1].

ثامناً: بيان المنهج السليم في حديث الأقران عن بعضهم وأثره في تعزيز الثقة والمحبة للصحابة والتابعين وأهل العلم:

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوى وعصبية لا يلتفت إليه، بل يطوى ولا يروى، كما تقرر عن الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم - رضي الله عنهم أجمعين -، وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ١٥٠.

أكثر ذلك منقطع وضعيف، وبعضه كذب، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طيه وإخفاؤه، بل إعدامه، لتصفو القلوب وتتوفر على حب الصحابة، والترضي عنهم، وكتمان ذلك متعين عن العامة، وآحاد العلماء.

وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف، العري من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم، كما علمنا الله تعالى حيث يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع منهم، وجهاد محاء، وعبادة ممحصة، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم، ولا ندعي فيهم العصمة..

ثم قد تكلم خلق من التابعين بعضهم في بعض وتحاربوا، وجرت أمور لا يمكن شرحها، فلا فائدة في بثها، ووقع في كتب التواريخ، وكتب الجرح والتعديل أمور عجيبة، والعاقل خصم نفسه، وما نقل من ذلك لتبيين غلط العالم، وكثرة وهمه، أو نقص حفظه، فليس من هذا النمط، بل لتوضيح الحديث الصحيح من الحسن، والحسن من الضعيف[(١)].

تاسعاً: التواضع واتهام النفس المؤدي إلى مراقبتها:

قال الذهبي معلق: عون بن عمارة: «سمعت هشاماً الدستوائي يقول: والله ما أستطيع أن أقول: إني ذهبت يوماً قط أطلب الحديث أريد به وجه الله عز وجل.

قال الذهبي والله ولا أنا، فقد كان السلف يطلبون العلم لله فنبلوا، وصاروا أئمة يقتدى بهم، وطلبه قوم منهم أولاً لا لله وحصلوه، ثم استفاقوا وحاسبوا أنفسهم، فجرهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهد وغيره: «طلبنا هذا العلم

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٩٢ باختصار يسير.

ومـا لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النية بعـد»، وبعضهم يقول: «طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله»، فهذا أيضاً حسن، ثم نشروه بنية صالحة[١].

عاشراً: الدعوة للتدبر في الكتاب والسنة والتحذير من البدع وأهلها:

قـال الذهبي: «تدري ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن، وفسره الرسـول ﷺ قولاً وفعلاً، ولم يأت نهي عنه، قال ﷺ: **(من رغب عن سنتي فليس مني)**[٢].

فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله، وبإدمان النظر في «الصحيحين»، و«سنن النسائي»، و«ريـاض النواوي»، و«أذكاره»؛ تفلح وتنجح، وإياك وآراء عباد الفلاسـفة، ووظائف أهـل الرياضات، وجـوع الرهبان، وخطاب طيـش رؤوس أصحـاب الخلوات، فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة، فواغوثاه بالله، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم»[٣].

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٥٢.

(٢) صحيح البخاري كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (١٤٠١).

(٣) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤٠.

المبحث السابع

دعوة الإمام ابن القيم (تـ٧٥١هـ)

أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زيد الدين الزُّرعي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية، وقيم الجوزية هو والده فقد كان قيماً على المدرسة الجوزية بدمشق مدة من الزمن(١).

ويمكن بيان معالم دعوته في النقاط التالية:

⌑ أولاً: الصفات الدعوية والإيمانية لابن القيم:

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان حسن القراءة والخلق، كثير التودد، لا يحسد أحداً، ولا يؤذيه، ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد، وكنت من أصحب الناس له، وأحب الناس إليه، ولا أعرف من أهل العلم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جداً، ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع، ولا ينزع عن ذلك، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً، واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف، وبالجملة كان قليل النظير، بل عديم النظير في مجموعه، وأموره، وأحواله، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة»(٢).

---

(١) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٤٧، لابن رجب.

(٢) البداية والنهاية ١٨/ ٥٢٣)

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ترجمة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة -أي رقة نفسه-، والإنابة والاستغفار، والافتقار إلى الله، والانكسار له، والإطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أرَ في معناه مثله. وقد امتحن وأوفي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة، منفرداً عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ»[(١)].

⌑ ثانياً: الالتزام بالدليل وترك التعصب:

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس له على غير الدليل معول في الغالب وقد يميل نادراً إلى مذهب الذي نشأ عليه ولكنه لا يتجاسر على الدفع في وجوه الأدلة بالمحامل الباردة كما يفعله غيره من المتمذهبين بل لا بد له من مستند في ذلك، وغالب أبحاثه الإنصاف والميل مع الدليل حيث مال وعدم التعويل على القيل والقال، وإذا استوعب الكلام في بحث وطول ذيوله أتى بما لم يأت به غيره وساق ما ينشرح له صدور الراغبين في أخذ مذاهبهم عن الدليل وأظنها سرت إليه بركة ملازمته لشيخه ابن تيمية في السراء والضراء والقيام معه في محنه ومؤاساته بنفسه وطول تردده إليه»[(٢)].

⌑ ثالثاً: حفظه لفضل شيخه الإمام ابن تيمية:

وقد رأينا كيف كان تأثر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بشيخه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتى قال في نونيته ناصحاً من وقع في شباك شبهات أهل البدع:

يا قوم والله العظيم نصيحة ... من مشفق وأخ لكم معوان

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/ ٣٦٢.

(٢) البدر الطالع، الشوكاني ٢/ ١٤٤.

جربت هذا كله ووقعت في ... تلك الشباك وكن ذا طيران
حتى أتاح لي الإله بفضله ... من ليس تجزيه يدي ولساني
حبر أتى من أرض حران فيا ... أهلاً بمن جاء من حران
فالله يجزيه الذي هو أهله ... من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يداه يدي وسار فلم يرم ... حتى أراني مطلع الإيمان(١)

رابعاً: فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند ابن القيم:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فإنكار المنكر أربع درجات؛ الأولى: أن يزول ويخلفه ضده، الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه؛ فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة.

فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله كرمي النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك، وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيراً من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المجون ونحوها وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتبه الأولى، وهذا باب واسع؛ وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له: إنما

---

(١) الكافية الشافية، ابن القيم ص ١٤٣؛ توضيح المقاصد، ابن عيسى ٢/ ٧٢.

حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم[(١)].

⌑ خامساً: التحذير من علماء السوء:

وانظر إلى ابن القيم وقد شخص داء انصراف الناس عن العلماء والدعاة؛ قال: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون اليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم؛ فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً لكانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدّلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق»[(٢)].

⌑ سادساً: الموازنة بين الحسنات والسيئات:

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل ومأجور لاجتهاده؛ فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين»[(٣)].

⌑ سابعاً: حسن فقهه بالشريعة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها...»[(٤)].

---

(١) إعلام الموقعين ٣/ ١٢.

(٢) الفوائد، ابن القيم ص ٦١.

(٣) إعلام الموقعين ٣/ ٢٢٠.

(٤) إعلام الموقعين ٣/ ١١.

ثامناً: العدل والإنصاف مع المخالف:

يقول ابن القيم: «وهذه الشطحات للصوفية أوجبت فتنتين على طائفتين من الناس إحداها حجبت بها محاسن هذه الطائفة ولطف نفوسهم وصدق معاملتهم فأهدروها لأجل هذه الشطحات وأنكروها غاية الإنكار وأساؤوا الظن بهم مطلقاً، وهذا عدوان وإسراف فلو كان من أخطأ أو غلط تُرِك جملة وأهدرت محاسنه لفسدت العلوم والصناعات وطائفة حجبوا بما رأوه من محاسن القوم وصفاء قلوبهم وصحة عزائمهم وحسن معاملتهم عن رؤية عيوب شطحاتهم ونقصانها فسحبوا عليها ذيل المحاسن وأجروا عليها حكم القبول والانتصار لها.. ثم يقول: وهذا الشطحات التي تُرجى مغفرتها بكثرة الحسنات ويستغرقها كمال الصدق وصحة المعاملة وقوة الإخلاص وتجريد التوحيد ولم تُضمن العصمة لبشر بعد رسول الله ﷺ»[1].

تاسعاً: عنايته بالتأليف وتوريث العلم:

ضرب ابن قيم الجوزية بحظ وافر في علوم شتى يظهر هذا الأمر جَليّاً لمن استقصى كتبه التي كانت للمتقين إماماً، وأفاد منها الموافق والمخالف.

ومؤلفاته من أهم نتاجه الدعوي فهي تعتبر مرجعاً منهجياً لفقه السنة والدين والدعوة والمناظرة، ومن أهم تلك الكتب: الصواعق المرسلة، وزاد المعاد، ومفتاح دار السعادة، مدارج السالكين، الكافية الشافية في النحو، الكافية الشافية في الانتصار

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٤٠ باختصار.

للفرقة الناجية، الكلم الطيب والعمل الصالح، الكلام على مسألة السماع، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، اعلام الموقعين عن رب العالمين، الفروسية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، الطرق الحكمية.

ومن التوريث الدعوي كذلك عنايته بصناعة الرجال والذي يدل على ذلك أن تلامذته يمثلون أعلام الدعوة من بعده، ومنهم: ابن رجب الحنبلي، وابن كثير والذهبي، وابن عبدالهادي، والفيروزآبادي صاحب «القاموس المحيط».

⌑ عاشراً: التجرد في طلب الحق والدعوة إليه وذم التعصب:

فقد تميزت دعوة ابن القيم بتجرده رَحِمَهُ اللَّهُ في أبحاثه العلمية من كل هوىً نفسي، أو غرض ذاتي شخصي، وإنما كان يبتغي الوصول إلى الحق والصواب، ولو ظهر هذا الحق على لسان غيره.

فمن ذلك: أنه صوّب إثبات (الواو) في قوله ﷺ: **(إذا سلَّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم)** ثم قال: «فهذا ما ظهر لي في هذه اللفظة، فمن وجد شيئاً فليلحقه بالهامش، فيشكر الله له، وعباده سعيه، فإن المقصود: الوصول إلى الصواب، فإذا ظهر وضع ما عداه تحت الأرجل»(١).

ومن ذلك ذمُّ التقليد الأعمى، الذي يحمل المقلد على ترك ما جاء به النبي ﷺ لقول مُقَلَّدِهِ، فلا يرى الحق إلا مع إمامه، ولا يقبل من الدين إلا ما جاء من طريقه، ويصف ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ هذا النوع من التقليد المذموم بأنه: «الإعراضُ عن القرآنِ

(١) بدائع الفوائد ٢/ ١٧٧.

والسنن وآثارِ الصحابةِ، واتخاذُ رَجلٍ بعينه مِعْيَاراً على ذلك، وتركُ النصوص لقوله، وعرضها عليه، وقبول كل ما أفتى به، ورد كل ما خالفه»(١).

⌑ الحادي عشر: التنبيه على أهمية البصيرة في الدعوة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الداعي إلى الله -تعالى- لا يتم له أمره إلا بيقينه للحق الذي يدعو إليه، وبصيرته به، وصبره على تنفيذ الدعوة إلى الله؛ باحتمال مشاق الدعوة، وكف النفس عما يوهن عزمه ويضعف إرادته، فمن كان بهذه المثابة كان من الأئمة الذين يهدون بأمره تعالى»(٢).

(١) إعلام الموقعين ٢/ ١٧٧.

(٢) إعلام الموقعين -لابن القيم- (٤/ ١٠٣)

المبحث الثامن

نماذج من دور نساء السلف في الدعوة إلى الله

كان لنساء السلف دور كبير في الدعوة إلى الله تعالى، ولن نبالغ إذا قلنا إن المرأة هي «الجندي المجهول» في عملية الدعوة إلى الله تعالى فكل أمهات الدعاة وزوجاتهم لهن دور في الدعوة من حيث القيام بشؤونهم الخاصة من إطعام وتنظيف واحتواء نفسي وتهيئة لجو من الاستقرار الأسري وغير ذلك.

وهنا فقط سنذكر بعض النماذج إبرازاً لدور نساء السلف في الدعوة إلى الله:

أولاً: ابنة سعيد بن المسيب:

فهذا سعيد من المسيب رضي الله عنه زوَّج ابنته فلمَّا دخل زوجها بها وقعد معها، وأصبح الصَّباح أخذ رداءه يريد أن يذهب إلى سعيد رضي الله عنه فقالت: على رسلك إلى أين تذهب؟ قال: أذهب إلى درس سعيد، قالت: «ابق هنا فوالله إنَّ كلّ علم سعيد عندي»، فبقى عند زوجته فأخذ من علم سعيد[١].

ثانياً: أم سفيان بن عيينة:

عن وكيع رحمه الله قال: «قالت أم سفيان لسفيان: اذهب، فاطلب العلم حتى أعولك بمغزلي، فإذا كتبت عدة عشرة أحاديث، فانظر هل تجد في نفسك زيادة، فاتبعه، وإلا فلا»[٢].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٩.

ثالثاً: أم الحجاج بن يوسف المعروف بابن الشاعر:

عن حجاج بن يوسف المعروف بابن الشاعر أنه قال: «جمعت لي أمي مائة رغيف فجعلتها في جراب، وانحدرت إلى شبابة بن سوار بالمدائن فأقمت ببابه مائة يوم كل يوم أجيء برغيف فأغمسه في دجلة فآكله فلما نفد خرجت»[(١)].

رابعاً: أم ربيعة الرأي:

أم «ربيعة الرأي» شيخ الإمام مالك، حيث خرج زوجها فرُّوخ في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية، وترك ربيعة حملاً في بطنها، لتقوم هي على تنشئته وتربيته وتعليمه، وقد ترك عندها ثلاثين ألف دينار، ولما رجع بعد سبعٍ وعشرين سنة، دخل مسجد المدينة، فنظر إلى حلقة وافرة، فأتاها فوقف عليها، وإذا فيها مالك والحسن وأشراف أهل المدينة، ولما سأل عن صاحب هذه الحلقة أجابوه بأنه ربيعة بن أبي عبدالرحمن (ابنه)!!

فرجع إلى منزله وقال لزوجته وأم ولده: «لقد رأيت ولدك على حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها»، فقالت له: فأيهما أحب إليك: ثلاثون ألف دينار، أم هذا الذي هو فيه؟! فقال: لا -والله- بل هذا. فقالت: أنفقت المال كله عليه. قال: فوالله ما ضيَّعتيه[(٢)].

خامساً: أم الإمام مالك:

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانت أمي تعممني وتقول لي اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه»[(٣)].

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٢٤٠.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ٢٨٩،٢٩٠.

(٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك- القاضي عياض ١/ ٣١.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قلت لأمي: أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال فالبس ثياب العلم. فألبستني ثياباً مشمرة، ووضعت الطويلة على رأسي، وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن»(١).

ويقول الإمام مالك: «نشأتُ وأنا غلام، فأعجبني الأخذ عن المغنين، فقالت أمي: يا بني، إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يُلتَفَت إلى غنائه؛ فدع الغناء واطلب الفقه. فتركت المغنين وتبعت الفقهاء، فبلغ الله بي ما ترى»(٢).

سادساً: ابنة الإمام مالك:

فهذا الإمام مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعةً- كان يجلس في درس فيقرأ فاذا غلط أحد الطّلاب وهو يقرأ على الإمام مالك تدق ابنته الباب فيلتفت الإمام مالك ويقول: «أعد القراءة» فيعيدها فيجد أنّه أخطأ في لحنٍ أو كلمةٍ فيصحح الإمام -رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً- هذه القراءة(٣).

وعَنْ أَشْهَبَ أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ -عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ-، وَأَنَّهُ اشْتَرَى خَضِرَةً مِنْ جَارِيَةٍ، وَكَانُوا لَا يَبِيعُونَ الْخَضِرَةَ إلَّا بِالْخُبْزِ، فَقَالَ لَهَا: إذَا كَانَ عَشِيَّةً حِينَ يَأْتِينَا الْخُبْزُ فَائْتِينَا نُعْطِيك الثَّمَنَ، فَقَالَتْ: ذَلِكَ لَا يَجُوزُ، فَقَالَ لَهَا: وَلِمَ؟ فَقَالَتْ: لِأَنَّهُ بَيْعُ طَعَامٍ بِطَعَامٍ غَيْرُ يَدٍ بِيَدٍ. فَسَأَلَ عَنْ الْجَارِيَةِ فَقِيلَ لَهُ إنَّهَا جَارِيَةُ بِنْتِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى»(٤).

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك- القاضي عياض ١/ ٣١.

(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ٤/ ٢٢٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المدخل لابن الحاج، (١/ ٢١٥).

سابعاً: زوجة الأمام أحمد:

قال صالح بن أحمد بن حنبل: «قال لي أبي: كانت أمك في الغلاء تغزل غزلاً دقيقاً، فتبيع الأستار بدرهمين أو نحوه، فكان ذلك قوتنا»(١).

قال عنها الإمام أحمد: «أقمت مع أم صالح ثلاثين سنة، فما اختلفت أنا وهي في كلمة، ثم ماتت رحمها الله»(٢)، وهذا من الرعاية النفسية وتهيئة المحضن الأسري المناسب لتنشئة ورعاية العلماء وطلبة العلم.

ثامناً: أخت ابن حجر:

كذلك الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ الله فقد ربّته أخته سِتّ الرَّكب بنت علي بن محمد بن حجر، قال ابن حجر عنها: «كانت قارئة كاتبة أعجوبة في الذكاء وهي أمي بعد أمي»(٣).

وقال: «وكانت بي برة رفيقة محسنة جزاها الله عني خيراً، فقد انتفعت بها وبآدابها مع صغر سنها»(٤).

تاسعاً: معلمة الإمام ابن الجوزي:

كذلك من العلماء الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ الله ذكر أنّه من ضمن من أخذ عنهن العلم ثلاث نساء... الأولى فاطمة بنت محمد بن الحسين يقول عنها: «كانت شيختنا فاطمة واعظةً متعبدةً لها رباطٌ تجتمع فيه الزّاهدات سمعت هي من أبي جعفر بن أبي المسلمة وسمعت من أبي بكر الخطيب وغيرها» ثمَّ ذكر سنة وفاتها -رحمها الله-، يقول أيضاً: «أخذت العلم عن فاطمة بنت أبي حكيم»، قال عنها: «كانت شيختنا هذه خالة شيخنا أبي

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٠٩.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٨.

(٣) شذرات الذهب لابن العماد ٨/ ٦٠٣.

(٤) المعجم المؤسس للمعجم المفهرس مشيخة ابن حجر ٣/ ١٢٢.

الفضل بن ناصر وكانت خَيرةً -رحمها الله تعالى-، وأخذت العلم عن شهدة بنت جعفر بن السّراج وغيرها من العلماء وكان لها خطٌ حسنٌ يفوق كثيراً من خطوط العلماء»[(١)].

عاشراً: السيدة كريمة راوية صحيح البخاري:

قال الذهبي: «الشيخة العالمة الفاضلة المسندة أم الكرام، كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية المجاورة بحرم الله. سمعت من أبي الهيثم الكُشْمَيْهَني صحيح البخاري، وسمعت من زاهر بن أحمد السرخسي، وعبدالله بن يوسف بن باموية الأصبهاني وغيرهم... وكانت إذا روت قابلت بأصلها، ولها فهم ومعرفة مع الخير والتعبد... روت الصحيح مرات كثيرة... حدث عنها خلق كثير...!»[(٢)].

الحادي عشر: ستيتة بنت المحاملي:

العالمة الفقيهة المفتية، أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل. **تفقهت بأبيها**، وروت عنه، وعن إسماعيل الوراق، وعبدالغافر الحمصي... وحفظت القرآن، والفقه للشافعي، وأتقنت الفرائض، والعربية وغير ذلك...

قال البرقاني: كانت تفتي مع أبي علي بن أبي هريرة. وقال غيره: كانت من أحفظ الناس للفقه. وهي والدة القاضي محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي[(٣)]..

الثانية عشر: شُهْدَة بنتُ أَبِي نصر أحمد بن الفَرَج الدِّينَوَري الإبرِي، الكاتبة:

قال الذهبي: «هي فخر النساء.. مُسْنِدة العراق.. قال ابْن الدبيثي: امْرَأَة جليلة صالحة، ذات دِين، وورع، وعبادة. سمعَت الكثير وعُمرت، وصارت أسند أهل زمانها،

(١) المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٢١٢، ٢٢٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٩٨)

(٣) تاريخ بغداد، (١٦/ ٦٣٢)، وسير أعلام النبلاء، (١١/ ٤٨٢).

وعُني بها أبوها. وسمعت من طِراد بْن مُحَمَّد الزَّيْنَبي، وابن طلحة النعالي وجماعة كثر...

روى عَنْهَا الحفاظ الكبار أَبُو القاسم بن عساكر، وأبو سعد السمعاني.. وأبو الفرج ابن الْجَوْزي، وأبو مُحَمَّد بْن قُدَامة، والعماد إِبْرَاهِيم بْن عبدالواحد.. والقاضي أَبُو صالح الْجِيلي، والناصح ابْن الحنبلي، والفخر الإربلي... وشيخ الشيوخ أَبُو مُحَمَّد بْن حَمُّوَيْه... وخلق كثير.

قال أبو الفرج ابن الْجَوْزي: قرأت عليها كثيراً من حديثها. وكان لها خطٌ حَسَن.

وعاشت مخالِطة للدار ولأهل العلم. وكان لها بِر وخير. وقرِئ عليها الحديث سِنين، وعُمرت حتى قاربت المائة.

وقال الشَّيْخ المُوَفق، وقد سُئل عَنْهَا: «انتهى إليها إسناد بغداد»... وكان لها دار واسعة... وقل ما كانت تَرُدُّ أحداً يريد السماع.

وقال أَبُو سعد السمعاني فِي «الذيل» وذكرها، فقال: امْرَأة من أولاد المحدثين، متميزة فصيحة... وكانت مختصة بأمير المؤمنين المقتفي.... قرأتُ عليها «جزء الحفّار»[1].

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ١٢/ ٤٥٠.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

في الختام بعد هذا العرض لنماذج منهج التابعين وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان من أئمة السلف والسنة، نؤكد على أن حياة أئمة التابعين مليئة بالدروس والعبر، فهم مدارس دعوية خرجت علماء تفرقوا في جميع البلدان، مع أن في زمانهم من كان في مستواهم في العلم، ولكنهم تميزوا بصفات دعوية وتربوية وعلمية وربانية جديرة بالدراسة.

نؤكد على أن منهج السلف من التابعين ومن بعدهم في الدعوة يجتمع في أمور أساسية هي:

أولاً: ارتباطهم بالكتاب والسنة مصدراً للدعوة، ورجوعهم لفهم الصحابة والتابعين.

ثانياً: نشر العلم والتعليم والعناية بحفظ العلم وجمعه وتوريثه لمن بعدهم.

ثالثاً: حسن العمل والخلق والقدوة الحسنة ابتغاء وجه الله والدار الآخرة.

رابعاً: أن دعوتهم لم تتوقف، فما زال العلماء حتى الآن ينقلون عنهم، ويشرحون كتبهم ويستدلون باجتهاداتهم، ويعزون إلى ما جمعوه وأثبتوه في كتبهم، ويرشدون إلى التمسك بمنهجهم..

خامساً: دعوتهم إلى الإيمان والترقي في شعبه ودرجاته، وأن يكونوا قدوة حسنة للأمة.

سادساً: دعوتهم إلى تزكية النفس وحسن الخلق والسلوك، ومقارنة الأعمال للأقوال.

سابعاً: التركيز على بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة في جميع نواحي الدنيا والدين.

ثامناً: البذل والعطاء في سبيل الدعوة إلى دين الله تعالى.

تاسعاً: حرصهم على وحدة المسلمين واجتماعهم على الكتاب والسنة، والسعي لذلك قولاً وفعلاً.

عاشراً: حرصهم على التوريث الصحيح لمنهج الدعوة إلى الله وأساليبها الصحيحة الشرعية.

الحادي عشر: توسعهم في وسائل الدعوة إلى الله بحسب الحاجة، وتجدد أحوال المجتمعات.

الثاني عشر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة ثابتة لديهم، ومع ذلك لم ينكروا تجديد وسائل الدعوة، ولا اختلاف الأفراد فيها، بل أثنوا على ذلك.

الثالث عشر: لم نجد علماً من أعلام الأمة ليس له دورٌ في الدعوة إلى الله، بل اشترك علماء الأمة وقدواتها في السعي للدعوة إلى الله بشتى السبل والوسائل.

فهم بذلك يسيرون على هدي النبي ﷺ وصحابته الكرام في الدعوة إلى الله، فكتب الله لعلمهم ودعوتهم الانتشار.

وختاماً فإن الكمال عزيز وبلوغه صعب المنال وهذه محاولة بشر، أرادوا بها الخير لهم ولأمتهم ولإخوانهم في طريق الدعوة إلى الله، وعمل البشر لا يخلو من أخطاء وزلل، فما كان في هذا العمل من خير وصواب فمن توفيق الله وحده، وما كان فيه من

خطأ وزلل، فمنا ومن الشيطان، فمن وجد خللاً فليقومه، ومن وجد نقصاً فليكمله، فالله تعالى لا يضيع أجر المصلحين، ونسأل الله تعالى أن يغفره لنا، وأن يتجاوز عنا.

وآمل من إخواني القراء والباحثين والمهتمين بالعلم وأهله المسارعة في تصحيح الخطأ، أو زيادة البيان، وتوضيح أو بيان بعض المقترحات، ولا يبخلوا على إخوانهم بما تجود به قريحتهم من أفكار ومعلومات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

ثبت المصادر والمراجع

١- الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٢- أخبار أبي حنيفة وأصحابه، أبو عبدالله حسين بن على الصيمري، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧٦م.

٣- آداب الحسن البصري وزهده، ابن الجوزي، تحقيق: سليمان الحرش، دار النوادر، ط٣، ١٤٢٨هـ.

٤- الآداب الشرعية والمنح المرعية، الإمام أبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، بيروت.

٥- الإشراف في منازل الأشراف، عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان، المعروف بابن أبي الدنيا،، تحقيق: د نجم عبدالرحمن خلف، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١١هـ.

٦- الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٧- الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، أبي حفص البزار، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، دار الكتب الجديد، بيروت، ط١، ١٣٩٦هـ.

٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، دار الجيل، بيروت.

٩- الإعلام بوفيات الأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤١٣هـ.

١٠- الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، الناشر: دار الفكر - بيروت، ط٢، تحقيق: سمير جابر.

١١- اقتضاء العلم العمل، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩٧، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

١٢- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار التراث/ المكتبة العتيقة، القاهرة/ تونس، ط١، ١٣٧٩هـ، تحقيق: السيد أحمد صقر.

١٣- إيقاظ همم أولي الأبصار، صالح بن محمد بن نوح العمري الشهير بالفلاني، دار المعرفة، ١٣٩٨هـ، بيروت.

١٤- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف، بيروت.

١٥- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.

١٧- تاريخ أصبهان، أبو نعيم الأصبهاني، موقع الوراق، ط١، ١٣٩٣ هـ، تحقيق: زهير الشاويش.

١٨- تاريخ الإسلام في وفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، تحقيق: عمر تدمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ.

١٩- تاريخ الخلفاء، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، مطبعة السعادة، مصر، ط١، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد.

٢٠- تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المؤلف، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧ هـ.

٢١- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.

٢٢- تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣- تاريخ دمشق، على بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٤- تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي، علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان ابن العطار، نسخة المكتبة الشاملة، مرقمة آلياً.

٢٥- تدريب الراوي، السيوطي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط٢.

٢٦- تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبدالله، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

٢٧- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ابن جماعة الكناني، مع تعليقات تحقيق السيد محمد هاشم الندوي، دار المعالي ط ٣، ١٤١٩هـ.

٢٨- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض، تحقيق: أحمد بكير محمود،مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧م.

٢٩- تطبيق الشريعة، صالح ابن حميد، العدد الخامس من مجلة مجمع الفقه.

٣٠- التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب القرطبي الباجي، تحقيق: د. أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣١- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط:١، ١٤٠٦.

٣٢- تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد النعَيمي، جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط: ١، من ١٩٧٩- ٢٠٠٠م.

٣٣- تهذيب الأسماء واللغات، محي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٤- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤ه.

٣٥- تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠، تحقيق: د. بشار عواد معروف.

٣٦- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد ابن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٦هـ.

٣٧- الثقات لابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبو حاتم، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٩٣هـ.

٣٨- الثقات، أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح العجلى، الناشر: دار الباز، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٩- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين بن الأثير، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، والملاح، ودار البيان، ط١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

٤٠- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، ط: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ، تحقيق د:عبدالله بن عبدالمحسن التركي.

٤١- جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٤٢- جامع العلوم والحكم، عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت.

٤٣- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالرب، دار الفكر، بيروت لبنان.

٤٤- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي.

٤٥- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع الكتاب، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣، تحقيق: د. محمود الطحان.

٤٦- الجرح والتعديل، عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٢٧١.

٤٧- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبدالقادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، الناشر: مير محمد كتب خانه، كراتشي.

٤٨- حاشية النبراوي على الأربعين النووية (عروس الأفراح)، عبدالله النبرواي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٩- الحافظ أحمد ابن تيمية لأبي الحسن الندوي، دار القلم، الكويت.

٥٠- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٧م.

٥١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية بيروت.

٥٢- الخراج، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث.

٥٣- خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢١هـ.

٥٤- الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ.

٥٥- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق د.محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٥٦- دستور الأخلاق في القرآن، رسالة دكتوراة د. محمد عبدالله دراز، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٧- دعوة على منهاج النبوة، جمع وترتيب وتأليف، فريق عمل دار نشر نور الإسلام.

٥٨- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن علان، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٢٥ هـ.

٥٩- ديوان الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.

٦٠- ذم الكلام وأهله، أبو إسماعيل عبدالله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، تحقيق: عبدالرحمن عبدالعزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٦١- ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٦٢- ذيل ديوان الضعفاء والمتروكين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة، ط١، مكة.

٦٣- ذيل طبقات الحنابلة، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، الدمشقي، تحقيق: د عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١ ١٤٢٥ هـ.

٦٤- الرحلة في طلب الحديث، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر، تحقيق: نور الدين عتر.

٦٥- الرد الوافر، محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط١، ١٣٩٣، تحقيق: زهير الشاويش.

٦٦- روائع الأئمة الأربعة (روائع أبو حنيفة)، إسلام المازني، نسخة المكتبة الشاملة.

٦٧- الزهد الكبير، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الجنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٨هـ.

٦٨- الزهد لابن أبي حاتم، محمد بن إدريس بن المنذر الرازي، تحقيق: منذر سليم محمود الدومي، الناشر: دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م.

٦٩- الزهد، أحمد بن حنبل، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، ط٢، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٧٠- سبل الاستفادة من النوازل، د. خليل الميس المنشور في العدد ١٢ من «مجلة مجمع الفقه».

٧١- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٨٩مـ، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٧٢- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٨٩مـ، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٧٣- سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٧٤- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٧٥- سنن النسائي، المجتبى، الإمام النسائي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض،اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٧٦- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤٠٩هـ.

٧٧- سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري، تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٦، ١٤٠٤هـ.

٧٨- سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤ هـ.

٧٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحي بن أحمد بن محمد ابن العماد، تحقيق: محمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م.

٨٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، ط٨، ١٤٢٣ه.

٨١- شرف أصحاب الحديث، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر، تحقيق د. محمد سعيد خطي أوغلي، الناشر دار إحياء السنة النبوية، أنقرة.

٨٢- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

٨٣- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ،١٩٨٩مـ)، اعتناء أبو صهيب الكرمي.

٨٤- صحيح جامع الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ،١٩٨٨مـ.

٨٥- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٨٩مـ، اعتناء أبو صهيب الكرمي.

٨٦- صفة الصفوة، عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، دار المعرفة، بيروت، ط٢ ١٣٩٩.

٨٧- صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: محمد محي الدين الأصفر، دار الإشراق، ط١، ١٤١١هـ.

٨٨- ط٢، ١٤١٢هـ.

٨٩- طبقات الحفاظ، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٩٠- طبقات الحنابلة، محمد بن الحسن بن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٣٧٢هـ.

٩١- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبدالكافي السبكي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ، ط٢، تحقيق: محمود الطناحي، عبدالفتاح الحلو.

٩٢- طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ، ط١، تحقيق: د. الحافظ عبدالعليم خان.

٩٣- طبقات الشافعيين، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ.

٩٤- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد الزهري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

٩٥- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، المحقق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت

٩٦- العبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت.

٩٧- العزلة والانفراد لابن أبي الدنيا، تحقيق: مسعد عبدالحميد محمد السعدني، الناشر: مكتبة الفرقان - القاهرة.

٩٨- العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ.
٩٩- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن أحمد بن عبدالهادي بن قدامة المقدسي أبو عبدالله، دار الكاتب العربي - بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي.
١٠٠- عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم، ماجدة فيصل زكريا، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٠١- غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، مكتبة ابن تيمية.
١٠٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن على بن حجر العسقلاني، ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبدالباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ،١٩٨٦م.
١٠٣- الفوائد، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ.
١٠٤- قصر الأمل، أبو بكر عبدالله بن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر دار ابن حزم، سنة النشر ١٤١٧هـ، لبنان بيروت.
١٠٥- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة ط١، ١٤١٣هـ.
١٠٦- الكافية الشافية، متن القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤١٧هـ.
١٠٧- الكامل في الضعفاء، أبي أحمد بن عدي الجرجاني، شهرته: ابن عدي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، دار النشر: دار الكتب العلمية، البلد: بيروت.
١٠٨- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي الهندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: تحقيق: محمود عمر الدمياطي ١٤١٩هـ.
١٠٩- لسان العرب، محمد مكرم منظور، دار الصادر، بيروت، ط١.
١١٠- لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، مكتبة الإمام البخاري، ط١، ١٤١٢هـ.
١١١- المتفق والمفترق، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق: د. محمد صادق آيدن الحامدي، الناشر: دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م

١١٢ – مجلس في رؤية الله لمحمد بن عبدالواحد بن محمد الأصبهاني، مجلس إملاء لأبي عبدالله محمد بن عبدالواحد بن محمد الدقاق في رؤية الله، محمد بن عبدالواحد بن محمد الأصبهاني أبو عبدالله، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٩٧م، تحقيق: الشريف حاتم بن عارف العوني.

١١٣ – مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، تحقيق، محمد محيى الدين عبدالحميد، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١١٤ – المجموع شرح المهذب، للإمام ابي زكريا محي الدين بن شرف النووي، دار الفكر، بيروت.

١١٥ – مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب، عبدالرحمن بن قاسم الحنبلي، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

١١٦ – المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، الحسن بن عبدالرحمن الرامهرمزي، دار الفكر، بيروت، ط، ١٤٠٤هـ، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب.

١١٧ – مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١٤١٥هـ.

١١٨ – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٣، ١٤١٦ هـ.

١١٩ – المدخل، أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، دار التراث.

١٢٠ – مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١(١٤٠٤ – ١٩٨٤)، تحقيق: حسين سليم أسد.

١٢١ – مسند الإمام أحمد، الموسوعة الحديثية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١(١٤١٨هـ،١٩٩٧م)، بإشراف تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط.

١٢٢ – مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار الوهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه، محمد بن علي بن آدم بن موسى، ط١، ١٤٢٧هـ.

١٢٣ – مشاهير أعلام الإسلام، علي بن نايف الشحود، نسخة المكتبة الشاملة.

١٢٤ – مصنف ابن أبي شيبة، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة٣، ١٩٨٥م.

١٢٥ – معجم الأدباء «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.

١٢٦ – معجم الأدباء، ياقوت الحموي، مطبعة دار المأمون، مصر.

١٢٧ – المعجم المؤسس للمعجم المفهرس، أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط١، مجلد ١: ١٤١٣ هـ، مجلد: ٢-٤: ١٤١٥هـ.

١٢٨ – المعرفة والتاريخ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق: د أكرم العُمَري، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨١م.

١٢٩ – مكارم الأخلاق، لأبي بكر محمد بن جعفر السامري الخرائطي، تحقيق: سعاد سليمان إدريس ط/ الأولى١، ١٤١١هـ. مطبعة المدني.

١٣٠ – مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، عني بتحقيقه والتعليق عليه: محمد زاهد الكوثري، أبو الوفاء الأفغاني، الناشر: لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد الدكن بالهند، ط٣، ١٤٠٨ هـ.

١٣١ – مناقب الإمام أحمد، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر،ط٢، ١٤٠٩هـ.

١٣٢ – المنتخب من ذيل المذيل، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

١٣٣ – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٥٨.

١٣٤ – منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٣٥ – منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله، د/ عبدالله رشيد الحوشاني، دار إشبيليا، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

١٣٦ – المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد، عبد الرحمن العليمي، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط ومن معه، الدار: دار صادر.

١٣٧ – المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، نسخة المكتبة الشاملة.

١٣٨ – الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

١٣٩- مواقف التابعين وأتباعهم في الدعوة، سعيد بن وهف القحطاني، كتاب الكتروني منشور على موقع طريق الإسلام.

١٤٠- موسوعة شروح الموطأ - تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٤١- ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، تحقيق: علي محمد البجاوي.

١٤٢- هداية الساري في مقدمة فتح الباري، أحمد بن على بن حجر العسقلاني - ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبدالباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١٤٠١،١هـ.

١٤٣- الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.

١٤٤- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ.

١٤٥- وفيات الأعيان، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الكتب العلمية، بيروت.

فهرس المحتويات

الفصل الثاني
نماذج الدعوة في حياة أتباع التابعين

الفصل الثالث
نماذج الدعوة في حياة الأئمة الأربعة

الفصل الرابع
نماذج من الدعوة من حياة أئمة الكتب الستة